

المسائل الخلافية النحوية والصرفية في بعض مؤلفات علماء نيجيريا:
دراسة ونقد

تقديم الطالب:

منتقى عبد الرحمن السيوطي

MUNTAQO ABDUL-RAHMAN SAYUTY

الرقم الجامعي: 16/27/PAR008

العام الدراسي: رجب ١٤٤٢ هـ

فبراير ٢٠٢١ م

جامعة ولاية كوارا، مليتي-نيجيريا،
كلية الدراسات العليا.

المسائل الخلافية النحوية والصرفية في بعض مؤلفات علماء نيجيريا:

دراسة ونقد

تقديم الطالب:

منتقى عبد الرحمن السيوطي

MUNTAQO ABDUL-RAHMAN SAYUTY

رقم التسجيل: 16/27/PAR008

الليسانس: جامعة إلورن ٢٠٠٧م

الدبلوم المهني في التربية: كلية التربية لولاية كوارا ٢٠١٤م

الماجستير: جامعة الحكمة ٢٠١٦م

بحث مقدّم إلى قسم اللّغويات، واللّغات الإفريقية والأوروبية، كلية العلوم
الإنسانية والإدارية والاجتماعية-جامعة ولاية كوارا، مليتي، نيجيريا، تكميلاً
لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللّغة العربية.

تحت إشراف:

البروفيسور: حمزة إشولا عبد الرحيم

العام الدراسي: رجب ١٤٤٢هـ

فبراير ٢٠٢١م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح جدي الكريم، العالم القدير، الفقيه النبيه، المجدد الإسلامي في بلدة غاما وضواحيها، الشيخ عبد الرحمن السيوطي الذي غرس في قلبي حبّ القرآن والعربية منذ نعومة أظفاري، ونبذ ورائه حبّ غيرهما، حتى صرت شغوفاً بهما وحارب الشرك والمشركين وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أسلم على يديه خلق كثير، وأفنى حياته في درس وتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية حتى جاءه الأجل سنة ١٩٩٩م، ونبغ على يديه جمع غفير وعدد لا يستهان بهم من أبناء المسلمين في بلاد يوربا علماء ودعاة وأئمة ووعاظا، اللهم جازه بكلّ حرف علّمه وبكلّ كلمة أفاد، واجعل قبره روضة من رياض الجنة، ولا تجعله حفرة من حفر النيران، وألحقه بالنبیین والصّدّيقین والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. اللهم آمين.

شكر وتقدير

أشكر ربي أولاً، أحمدته تعالى على نعمة الإسلام والحياة والعافية، وكفى بهذه نعمة، حمدا يوافي نعمه، ويكافي مزيده، القائل في محكم تنزيله: ﴿...لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وأشكر كذلك والديّ العزيزين، أنسأ الله في عمرهما ورفع قدرهما وزاد في بركة أولادهما. ثم أمدّ يد شكري إلى جامعة ولاية كوارا، مليتي. مديراً وعمداء الكليات، ورؤساء الأقسام على وجه العموم، وأخصّ بالذكر عميد كلية الدراسات العليا، ورئيس شعبة اللغة العربية. كما لا يفوتني تقديم جزيل شكري وعظيم امتناني إلى مشرفي القدير الأب الحنون الذي حمل على عاتقه مسؤولية قراءة هذا البحث، وتصحيح أخطائه، ولا يزال يوجهني ويرشدني إلى ما فيه صلاحية البحث والباحث، مع كثرة شواغله الأكاديمية وواجباته الأسرية، وحركاته الدينية والقومية ذلكم الأستاذ الدكتور حمزة إشولا عبد الرحيم زاده الله في العمر طولا، وفي العمل بركة، وفي المال نمواً، وفي العافية دواما، وبارك الله في أبنائه وذرياته.

ثم أشكر جميع أساتذتنا في هذه الشعبة المباركة بداية من الأستاذ الدكتور مشهود محمود مُجّد جمبا، والدكتور مُجّد صالح جمعة ألاشو (رئيس القسم)، والدكتور عبد الرزاق الكاتي، والدكتور عبد الرفيع شئت، والدكتور تاج الدين (منسق برنامج الدراسات العليا)، والدكتور علي أوكوتا، والدكتور يحيى توين مرتضى، والدكتور يونس مُجّد جامع (باشورن) رئيس الشعبة، والدكتور كامل ألابي.

ولن أنسى شكر كل من ساعدني بطريق أو آخر في إنجاز هذا العمل أمثال الشيخ آدم يحيى مرتضى، والدكتور إسحاق أيوب بابا أوي، والدكتور معروف راجي أوييمي، والشيخ إبراهيم سعيد أولودمي (مدير دار الإرشاد والإسعاد، لاغوس، نيجيريا)، والدكتور عبد الرشيد المقدم (جامعة إلورن)، والشيخ مرتضى الحريري، وقد أكون كنودا إذا لم أشكر ذالكم الأستاذ المفضل صاحب الحركات العلمية المتفوقة نوح إبراهيم باز الله لدوره الفعّال وضيافته المعجبة أيام رحلتي إلى كانو للبحث الميداني سنة ٢٠١٥م، وحصلت -بفضل الله ثم بجهوده- على معلومات ساعدتني

بكثير إبان هذا البحث، وآخرين مما لا يسعني المجال ذكر أسمائهم، أشكركم جميعا وأتضرّع إلى
المولى العزيز أن يتولى جزائكم بارك الله فيكم وأحسن إليكم.

وأختتم سطور هذا الشكر بإصدائها إلى أسرتي الكريمة بدأ من زوجتي الوقورة وأبنائي
المحبوبين بلغنا الله ما نروم وبارك في حياتنا وحركاتنا وطول أعمارنا جميعا بالخيرات والإنجازات
والعافية الدائمة.

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ** فلسان حالي بالشكاية أنطق.

ملخص البحث

يسعى هذا البحث وراء الحركات النحوية والنشاطات الصرفية التي شارك فيها علماءنا النيجيريون لأجل رفع رؤية اللغة العربية عامة وانتشار الدرس النحوي بين أبناء هذه الديار خاصة، وأدت بهم هذه النشاطات إلى الاختلافات في بعض المسائل النحوية كل برأيه ووجهة نظره، وينتج إثر ذلك تأليف الكتب ونشر المقالات وتنظيم المؤتمرات وإلقاء الدروس السمعية والمرئية، وقام الباحث في هذه الأطروحة بعرض بعض هذه المسائل ودراستها ونقدها، ويتمحور ذلك في ستة أبواب، وفي الباب الأول: أساسيات البحث ابتداء من تعريف الموضوع وانتهاء إلى عرض المصادر والمراجع المهمة ذات الصلة بالموضوع. والباب الثاني ينص على تطوّر النحو العربي عبر العصور حينما يهتمّ الباب الثالث ببيان تطور النحو العربي في نيجيريا، كيف أقبل على درسه النيجيريون وماذا خلفه السابقون للاحقين من التراث النحوي، وجاء دور الباب الرابع الذي يبرز جهود هؤلاء العلماء في تلّكم المسائل النحوية واللغوية، وترجيح آرائهم والحكم لهم أو عليهم. قبل الباب الخامس الذي يقوم فيه الباحث هذه الاختلافات وجعلها في الميزان ليظهر قيمتها ويسجّل ما يرى في ذلك من الفوائد والمنافع لدارسي اللغة العربية في هذه الديار وغيرها. وانتهى البحث إلى الباب السادس الذي هو عبارة عن الخاتمة لأجل خلاصة البحث والنتائج التي توصل إليها الباحث قبل إبداء اقتراحاته وتوصياته ثم المصادر والمراجع العامة، وأتبع في هذا كلّ المنهج الوصفي التحليلي.

فهرس

ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
و	ملخص البحث
ز	فهرس

الباب الأول

أساسيات البحث

١	مقدمة
٣	الفصل الأول: التعريف بالموضوع
٧	الفصل الثاني: كلام وجيز حول موضوع البحث
١٠	الفصل الثالث: مشكلة البحث
١١	الفصل الرابع: أهداف البحث
١١	الفصل الخامس: أهمية البحث
١٢	الفصل السادس: منهج البحث
١٣	الفصل السابع: الدراسات السابقة
١٩	الفصل الثامن: عرض المصادر والمراجع المهمة ذات الصلة بموضوع البحث
٢٣	هوامش الباب الأول

الباب الثاني:

تطور النحو العربي عبر العصور

٢٦	الفصل الأول: أولية النحو العربي
٣٢	الفصل الثاني: النحو بين القديم والحديث
٥١	الفصل الثالث: المدارس النحوية وتأثيرها في النحو العربي
٥٧	الفصل الرابع: نماذج المسائل المختلف فيها بين البصريين والكوفيين

هوامش الباب الثاني ٦٥

الباب الثالث:

النحو العربي وتطوره في نيجيريا

الفصل الأول: أولية النحو العربي في نيجيريا ٧٢

الفصل الثاني: الكتب المعتمد عليها لدراسة النحو العربي في نيجيريا ٧٩

الفصل الثالث: بداية التأليف في النحو العربي في نيجيريا ٨٢

الفصل الرابع: النحاة الأوائل في نيجيريا ٨٤

الفصل الخامس: التراث النحوي النيجيري ٩٤

الفصل السادس: نماذج من مواقف بعض علماء نيجيريا في بعض القضايا النحوية

المختلف فيها..... ٩٨

الفصل السابع: موقف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام واكتشافاته في بعض

القضايا النحوية ٩٩

الفصل الثامن: الأستاذ الدكتور قاسم بدماصي النيجيري ورأيه في جهود ابن جني

عن استصحاب الأصل ١٢١

هوامش الباب الثالث ١٢٥

الباب الرابع:

المسائل الخلافية النحوية واللغوية لدى علماء نيجيريا

الفصل الأول: المدارس النحوية في نيجيريا ١٣٥

الفصل الثاني: أسباب الاختلافات النحوية واللغوية في مؤلفات علماء نيجيريا ١٣٧

الفصل الثالث: مسائل مختلف فيها بين العلماء النيجيريين ١٤٠

الفصل الرابع: مع الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام في استعمال واو العطف

مع "كتبه" في آخر المقالة ١٥٦

١٦٦	المآخذ النحوية والصرفية
١٧٢	الفصل السادس: المآخذ اللغوية والدلالية
١٦٧	بين الأستاذ عبد الواحد أربي وهيئة التدريس بمركز السلام أجوكورو في مسألتين لغويتين
١٧٩	الفصل السابع: بين عبد الفتاح يس وسميه عبد الفتاح سارومي في بعض القضايا اللغوية
١٨٧	الفصل الثامن: بين سعيد الرفاعي الإبداني ونوح إبراهيم الإلوري في استعمال حرف "في" مع "الأمس" أو "اليوم"
١٩٤	هوامش الباب الرابع

الباب الخامس:

حصيلة الاختلافات النحوية واللغوية في المجتمع النيجيري بين الواقع والاحتمال

٢٠٤	الفصل الأول: هل أضافوا إلى النحو العربي جديدا؟
٢٠٨	الفصل الثاني: أثر هذه الاختلافات في تعليم النحو العربي في نيجيريا
٢١١	الفصل الثالث: التقويم اللغوي والتعبيري في مؤلفات علماء نيجيريا
٢١٦	هوامش الباب الخامس

الباب السادس:

الخاتمة

٢١٧	الفصل الأول: خلاصة البحث
٢٢٠	الفصل الثاني: نتائج البحث
٢٢١	الفصل الثالث: إسهامات البحث
٢٢٢	الفصل الرابع: الاقتراحات والتوصيات
٢٢٤	المصادر والمراجع العامة

الباب الأول:

أساسيات البحث

مقدمة

ولقد أحيا الله تبارك وتعالى علم النحو والصرف على أيدي العلماء الأوائل منذ فجر الإسلام في القرن الأول الهجري ليصون القرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على رسول الله ﷺ من اللحن أولا وليرشد الألسن إلى الصواب عند النطق باللغة العربية ثانيًا.

ويُرى هؤلاء العلماء يوضّحون قواعد ومناهج يمشي عليها المتكلم ويتبعها الخطيب حتى يأتي حديثه بالمعنى المراد ويدركه المخاطب بالسهولة، من حيث لو تخلى الكاتب أو الخطيب عن هذه القواعد لاختل المعنى المرجوّ وليكون المتكلم في وادٍ والسامعون في وادٍ آخر. وقام هؤلاء العلماء بالتأليف والتدوين بعد ما قد وضعوا اللبنة الأولى لهذا العلم وترسخت قدماه لتخليده وتأييد آثاره وليستفيد منه الأجيال المتعاقبة واستطاعوا بذلك تأسيس المدرسة البصرية التي تعتبر أولى وأكبر المدارس النحوية قبل أن تفرعت منها مدارس أخرى كل بآرائها ووجهة نظرها نتيجة الاختلافات في النحو والصرف.

ولم يقلّ علماء نيجيريا شأنًا في هذا الصدد، من حيث شرعوا في درس وتدريس هذا العلم وأنتجوا الكتب وأنجبوا التلاميذ، السابقون منهم واللاحقون على السواء. وكون المدارس النحوية متعددة تجعل هؤلاء العلماء النيجيريين يختلفون فيما بينهم في بعض القضايا النحوية والصرفية ويصر كل على موقفه ويأتي بالحجج والبراهين لتدعيم وجهة نظره ورأيه، وهذه الاختلافات أدّت إلى تأليف الكتب وإعداد المقالات والدعوة إلى المؤتمرات لإظهار الحق على الباطل وإعلاء حجة فريق على آخر، الأمر الذي أدّى ببعضهم إلى المشاتمة والمشاجرة حينًا والقتال واللعنة حينًا آخر نتيجة عدم الإلتزام بأداب الحوار والنقاش.

وسيحاول الباحث في هذه الأطروحة المعنونة بـ: "المسائل الخلافية النحوية والصرفية في بعض مؤلفات علماء نيجيريا، دراسة ونقد" الإتيان ببعض هذه الكتب المؤلفة والآراء التي تفرد بها عالم عن آخر وحجة كل نفر في بعض الموضوعات النحوية والصرفية مع الترجيح. هذا ولم يكن الباحث خصما ولا حكما وإنما يدرس هذه الآراء دراسة نقدية ليعرف القارئ مدى حقيقة وقوة أدلة كل منهم وإلى أي مدرسة ينتمي رأيه وعلى أي كلام نحوي اعتمد عليه.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل جهود هؤلاء العلماء ويجعلها في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الفصل الأول: التعريف بالموضوع

إن كل بحث علمي أطروحة كان أو غيرها مهما كان مستواه الجامعي يرجي من الباحث تعريف موضوعه أولاً قبل الشروع في عملية البحث عنه من حيث يأتي بالمعاني المعجمية أو المدلول اللغوي لكل من الكلمات التي يترکب منها العنوان قبل المعنى الإجمالي.

وانطلاقاً من هذا يقدم تعريف هذا الموضوع الذي هو: "المسائل الاختلافية النحوية والصرفية في بعض مؤلفات علماء نيجيريا، دراسة ونقد"

يبدو أن هذا الموضوع ترکب من عشر كلمات هي: "المسائل، النحو، الصرف، بعض، مؤلفات، علماء، نيجيريا، عرض، نقد.

ولنعرف هذه الكلمات بالاختصار:

المسائل: جمع مسألة وهو مصدر سأل، يسأل، سؤالاً ومسألة، وقد يتعدى بنفسه أو بالباء أو بعن، مثلاً: سألته الشيء وسألته عن الشيء، ومثل الأخصش-رحمه الله-هذا الاستعمال بقوله: "خرجنا نسأل عن فلان وبفلان".^١ وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]. ولذلك ترى جميع البيانات التي أوردتها المفسرون في معنى هذه الآية لا تخرج عن دائرة كون الباء بمعنى "عن"، وقال الإمام الجوزي-رحمه الله-: "سأل سائل بعذاب واقع" أي: "سأل سائل عن عذاب واقع" وتكون الباء بمعنى "عن".^٢ ثم أتى شعري ليقوي به هذا البيان ولنعرف أن العرب ينطقونه هكذا وقال:

فإن تسألون بالنساء فإنني**خير بأدواء النساء طيب.^٣

وتعني المسألة في اللغة الإنجليزية بـ"Issue/Matter".^٤

وأما الخلافية: فمن خلف-يخلف ويخلف، خُلف، وخِلاف، ولها معان كثيرة منها النيابة لقوله تعالى: ﴿خُلِّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. قال الإمام الألويسي: "أي جاء بعدهم عقب سوء"^٥ إلا أن العرب في بعض

الأحيان يفرّقون بين الخلف - بسكون اللام-، وبين الخلف -بفتحها، ويطلق المسكونة على الدم والمفتوحة على المدح استشهدا بقول لبيد:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم ** وبقيت في خلفٍ كجلد الأجر. ^٦

ويفرّق بينهما أيضا بالابن الحقيقي الذي ناب مناب أبيه أو من كان بمنزلة الابن سواء من الأقراب وغيرها، وقال أبو حاتم: "الخلف بالسكون الأولاد، الجمع والواحد فيه سواء وبالفتح البدل ولدا كان أو غيره". ^٧

ومن معانيها أيضا الرائحة الكريهة، يقال خُلُوفٌ أصلها خلف وفي الحديث: "...خلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك..." ^٨. والخلف بمعنى: الريح الذي يخرج من فم الصائم. وأما الذي يقصد به الباحث هو الخلاف والذي يعني المخالفة والتّزاع الذي ينتج من عدم الاتفاق وهي مصدر خَالَفَ وجمع خَلْفٍ وهي على حسب أحد المعاني التي سجّله المعجم الوسيط: الشيء ضاده وخالف بين الشيئين ^٩ بغضّ النظر عن الاستعمال القرآني حيث يقول جلّ شأنه: ﴿...وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] فإنّها تعني في هذه الآية: "بعد، أي لا يلبثون بعدك".

النحوية: كلمة من نحأ، ينحو، نحو، وهو إعراب الكلام العربي ويستعمل لغة على القصد والطريق ويكون ظرفًا ويكون اسمًا. ^{١٠}

وينسب على "نحوي" وجمعها نحويون أو نحاة.

ويفيد الباحث بأن رأى من العلماء من أثبت لهذه الكلمة أي (النحو) سبع معان متباينة

يجمعها هذان البيتان:

للنحو سبع معان قد أتت لغة ** جمعتها ضمن بيت مفرد كملا

قصد ومثل ومقدار وناحية ** نوع وبعض وحرف فاحفظ المثالا. ^{١١}

ويقال لها بالإنجليزية Syntax.

الصرفية: هي كلمة من صرف يصرف صرف، والصرفية نسبة إلى الصرف وهو على حد تعريف ابن الحاجب: "علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب".^{١٢} وهو بالإنجليزية: "Morphology".

أما مدلولها اللغوي فلها معانٍ عدة نظرًا إلى الاستعمال المعجمي عند علماء اللغة ومن هذه المعاني: التحويل والنوائب، والمغادرة، والتغيير ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

"لا يقبل الله منه صرف ولا عدل" وقال يونس: الصرف الحيلة"^{١٣} وقال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا...﴾ (سورة الفرقان: ١٩) قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: (ما يستطيعون) يعني الآلهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم^{١٤} أي تحويله عنكم وتغييره ويقال أيضًا: صرف الدهر أي حدثانه ونوائبه، وصرفت الرجل عني فانصرف.^{١٥} ويعتبر العلمان (النحو والصرف) كراسين في جسد واحد لأنهما واحد أصلا قبل انفصالهما عن الآخر، وتطلق علم النحو على كليهما في القرون الأولى قبل استقلال علم الصرف عنه بفضل جهود علماء كوفة، وسوف يصل البحث إلى بيان هذه الجهود -إن شاء الله-.

بعض: جزء الشيء أو واحد الجماعة قيل في مختار الصحاح: "بعض الشيء واحد أبعاض"^{١٦} وفيما قيل عن بيان ما هو فرض الكفاية عند علماء الشريعة: "هو ما إذا قام به البعض سقط عن الباقيين".^{١٧}

مؤلفات: كلمة جمع، مفردتها مؤلّفة وهي مؤنّثة أصلها: أَلّف يؤلّف، تألّفًا، مؤلّف، مؤلّف وهي المزيد على الثلاثي بحرف واحد بتضعيف العين ومعناها جمع آراء وأفكار شتى في كتاب واحد يقال: أَلّف فلان صارت أمواله ألفا ويقال فلان من المؤلفين وبينهما جمع، والشيء وصل بعضه ببعض، والكتاب جمعه ووضع...^{١٨} والمراد بالمؤلّفات هنا؛ كل كتاب أو بحث أو مقالة تركها العلماء.

علماء: ويقصد هذا البحث بالعالم كلّ من له رأي أو تأليف في مسألة نحوية أو صرفية، ورجل عالم وعليم جمعه علماء وعُلام.^{١٩}

نقدية: النقد من نقد ينقد نقداً، ومن معانيها الاكتشاف وإبراز الشيء، وإظهار الجيد من الرديء، قال ابن فارس: "نقد: أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه... ومن الباب نقد الدرهم: وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك، ودرهم نقد: وازن جيد"^{٢٠} ويمكن القول بأن النقد "فنّ دراسة النصوص الأدبية وتفسيرها وتحليلها والحكم عليها أحياناً"^{٢١}.

دراسة ونقد: وأما دراسة وهو أن نعيد النظر في هذه القضايا وفي تلك المسائل الخلافية بينهم مع المراجعة بالدقة والانتباه إلى أماكن القصور فيها وانتقاد الحجج والدلائل التي اعتمد عليها كل فريق. ويقصد بدراسة ونقد في الإنجليزية: "Critique and Study".

إلى هنا انتهى تعريف مفردات العنوان وينطلق إلى تعريف العبارات المكوّنة في العنوان، ويكون ذلك في ثلاثة تقسيمات:

الأول: المسائل الخلافية النحوية والصرفية.

الثاني: مؤلفات علماء نيجيريا.

الثالث: دراسة ونقد.

١- **المسائل الخلافية النحوية والصرفية:** هي عبارة عن وجهات نظر كل فريق في مسألة من المسائل النحوية والصرفية وخاصة فيما اختلف فيه فريق عن الآخر حول بعض القضايا النحوية نتيجة تعدد مدارسها والقبائل التي ترجع إليها كل مدرسة عند الاستشهاد والاستدلال واحتجاج بعضهم بآيات قرآنية لعدم موافقة القراء بعضهم بعضاً وتعدد أوجه القراءات، وقد يوجد في مدرسة واحدة اختلافات بين علمائها.

فهذا يونس بن حبيب يخالف الخليل بن أحمد في بعض القضايا النحوية وذلك سببويه يخالفهما معاً حيناً أو يخالف أحدهما ويوافق الآخر حيناً آخر وكلهم بصريون.

٢- **مؤلفات علماء نيجيريا:** هي التراث العلمي الذي خلفه أولئك العلماء النيجيريون لإثراء المكتبات العربية والإسلامية وذلك خوضهم العميق في الدراسات العربية، وإحصاء هذه المؤلفات أو الإحاطة بها علماً يكون من الصعوبة بمكان لكثرتها، وكتبوا في ميادين شتى من تفسير وفقه وحديث وأدب وشعر وعروض وفلك ونحو وصرف وغيرها ومن بين هذه

المؤلفات ما غالت عليها يد الضياع وأكلتها الأرضة ومنها ما شهدت النور بعد ما نفخ عنها الغبار ورحم الله الأموات منهم وأمد في عمر الأحياء.

٣- **دراسة ونقد:** فَيُقَصَّدُ بهاتين الكلمتين هنا: تقديم أقوال العلماء وآرائهم حول مسألة نحوية أو صرفية، أما النقد فيعني النظر الدقيق في تلك الآراء مع إظهار ما بها من مآخذ إن وجدت أو محاسن إن ظهرت.

وجملة القول: إن هذا الموضوع "المسائل الخلافية النحوية والصرفية في بعض مؤلفات علماء نيجيريا: دراسة ونقد" عبارة عن دراسة أوجه الخلاف وأسبابه في بعض القضايا النحوية والصرفية في نتاجات هؤلاء العلماء من حيث الالتفات إلى حجة كل فريق للدراسة والتحليل مع الموازنة بينهما سواء في بعض مؤلفاتهم النحوية، والصرفية أم في مؤلفاتهم الأخرى سوى اللغوية ونبع من ذلك المآخذ اللغوية والنحوية والصرفية، شأنه في ذلك يشبه نوعا ما بشأن أبي البركات الأنباري في كتابه: "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين"، واقتداء بأولئك العلماء السابقين الذين اعتادوا دراسة المسائل الخلافية سواء الدينية، وغيرها، مثلما ما قام به الإمام أبوبكر محمد بن الحسن البغدادي في كتابه "مسألة الطائفتين"، وأيضا ابن قداح الهواري في "مسائله الفقهية"، ثم الشيخ شمس الدين النابلسي الدمشقي في كتابه الشهير: "المسائل المهمة فيما يحتاج إليه العاقد عند الخطوب المدلهممة أو ما سجّله أبو البقاء العكبري من الاختلافات النحوية وتناولها بأحسن وجه وأفصح بيان في كتاب أسماه: "مسائل خلافة في النحو".

الفصل الثاني: كلام وجيز حول موضوع البحث

تجدر الإشارة إلى أمور تدور حول موضوع هذا البحث لأته موضوع نحوي - كما يبدو - ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

أ. ما لعلم النحو والصرف من مكانة وفضل في اللغة العربية (ب) الغرض الذي من أجله وضع هذان العلمان (ج) فوائدهما في فهم النصوص الإسلامية والعربية معا (د) حقائق علمية لا يستغني عنها عالم إسلامي غيور على دينه لأن في جهلها جهل بعض التعاليم الإسلامية.

فضل علم النحو والصرف ومكانتهما في اللغة العربية:

ما لا يعتريه ريب هو أن لعلم النحو فضل جليل لا يستهان به في اللغة العربية ومكانة مرغوبة لدى الدارسين وهو من المواد التي تساعد الطالب في فهم الدرس ويساعده على إدراك العلوم العربية وفهمها فهما صحيحا ويفكه من قيود اللحن ويأخذ بيديه إلى الوقوف أمام أربع مهارات طالما توقع بعض العلماء في هوة الغفلة وتبدى فيهم أما كن القصور والنقصان وهي: مهارة الاستماع، ومهارة الكلام، ومهارة القراءة، ثم مهارة الكتابة، وقلما سلم طالب أو عالم من هذه النقاط الأربع بحيث لو نجح في واحدة قد يفشل في الأخرى، وكلّ من كان متقنا في النحو والصرف خبيراً بأسرارهما يعبرُ مع هذه المهارات عبور الصالحين المتقين في الصراط يوم المحشر. لذلك كان معظم العلماء السابقين يصفون علم النحو والصرف بأنواع الصفات الممدوحة ويلقون عليهما نعوتاً تغبطها بقية العلوم العربية والإسلامية ومن هذه الصفات ما قاله الشاعر إسحاق بن خلف البهراني رحمه الله:

النحو يصلح من لسان الألكن	**	والمرء يكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها	**	وأجلها نفعاً مقيم الألسن
والنحو مثل المدح إن ألقيته	**	في كل ضد من طعامك يحسن
لحن الشريف يحطه عن قدره	**	وتراه يسقط من لحاظ الأعين
وترى الدنى إذا تكلم معرباً	**	نال النباهة باللسان المعلن
ما ورث الآباء فيما ورثوا	**	أبناءهم مثل العلوم فأتقن. ^{٢٢}

الأمر الذي أذى ببعضهم إلى نفي جميع الصفات المحمودة عمّن لم يوجد لديه علم النحو ولا يعد من العلماء الأبرار ولا يعتد بكلامه أو يعتمد عليه، ويلمس هذا من قول بعض الحكماء:

من فاته النحو فذاك الأخرس	**	وفهمه في كل علم مفلس
وقدره بين الورى موضوع	**	وإن يناظر فهو المقطوع
لايهتدى في حكمة من ذكر	**	وماله في غامض من فكر. ^{٢٣}

الغرض الذى من أجله وضع هذان العلمان:

فاز هذا العلم بإقبال الناس عليه لأن الغرض الأساسي من وضعه في أول الوهلة صون اللسان وحماية الدين وبهذا العلم يدافع الإنسان عن نفسه لئلا يقع في الخطأ عند الكلام ويحفظ اللغة العربية من الدخيل، ويرجع سبب ذلك إلى كثرة الفتوحات ودخول الناس في دين الله أفواجا وبتدقيق النظر إلى هذا التاريخ وتتبع أصله يرى الباحث أن يختار موضوعا نحويا وصرفيا لكتابة أطروحته الأكاديمية فيه إذ أساس الغرض فهم القرآن وأحاديث الرسول، وجميع العلماء الأولين الذين وضعوا اللبنة الأولى لعلم النحو والصرف ومن لف لفهم قاموا بجميع هذه الحركات خدمة للدين وتعبدوا بمولفاتهم والقواعد النحوية والصرفية الموسوعة لأن الذى لا يفهم العربية قد لا يفهم القرآن ومن لحن في العربية يلحن في القرآن ويصعب عليه فهمه وإدراك أساريه وإن كان يوجد بعض المؤرخين من أرجع بداية اللحن في العربية إلى زمن بداية الإسلام منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال لرجل يلحن في كلامه: "أرشدوا أخاكم فقد ضل" ومع هذا لا يحتاج العرب إلى وضع علم يرشدهم لأن بلوى اللحن لا يعم البلاد إلا بعد امتزاج العرب بالأعاجم واعتناق غير العرب الإسلام واختلاطهم في الأصهار.

وتتمحور حماية الإسلام في الباعث الديني الذي دفع العرب إلى وضعه والحافظ الذي حفز بالباحث إلى اختيار هذا الموضوع النحوي، وإن كان هناك باعث آخر منها قومي ومنها اجتماعي لأن العرب بطبيعتهم الأصلية يحرصون على بقاء لغتهم الأصلية بدون الانحراف والزيغ ويبحثون عن كل شيء يعينهم على ذلك إضافة إلى أن بعض الأعاجم آنذاك في حاجة ماسة إلى قاعدة ترشدهم إلى الفهم والنطق الصحيح للعربية، ومع هذا وذاك فإن الباعث الديني تغلب على البواعث الأخرى لأن القرآن بين أيديهم وأحاديث الرسول أمامهم فوجب عليهم الحفاظ عليهما أولاً قبل الحفاظ على شيء آخر والعلم الوحيد الذي يساعدهم على ذلك هو علم النحو والصرف ولفوائدهما في فهم نصوص العربية والإسلامية لأن في اختلاط الفاعل مع المفعول مثلاً قد يؤدي بالإنسان إلى الكفر - فالعياذ بالله - وترى في هذا العلم حقائق علمية ثابتة لا يستغنى

عنها عالم إسلامي غير على دينه لأن جهلها جهل بعض التعليم الإسلامي عن طريق مباشر أو غير مباشر.

ووقع اختيار الباحث لمؤلفات علماء نيجيريا النحوية بالدراسة لكثرتها ولأهميتها وكباحث نيجيري يتمنى تخليد آثار علماء نيجيريا النحوية وإشعار العالم الإسلامي بما فيه العرب أن في نيجيريا علماء أكفاء في درس وتدريس علم النحو العربي مع كونهم أعاجم، ثم الاحتفاظ على تراثنا حتى لا تمحى ولا تندرس، كل هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى، يرى الباحث أن يلفت أنظار الناس ويجلب إنتباه دارسي العربية في هذه الديار إلى ما في هذه الكتب من الفوائد وخاصة ما تتعلق بالردود منها بين بعض الإخوة الباحثين سواء السابقين منهم والمعاصرين لأن معظم القراء يقتبسون منها اللوم والشتم وإلقاء ألقاب السوء من الإخوة بعضهم على بعض فحسب، ويرى الباحث في هذه الكتب خلاف ما يرون ويقتبس غير مقتبساًهم ولذلك يقوم بدراسة هذه الاختلافات في المسائل النحوية والصرفية خلال مكتوباتهم دراسة نقدية موازنة ليعرف من يحدد عن علم ومن يبنى حكمه على هواءه، كما فعل الأنباري وغيره من العلماء والباحثين المحققين السابقين.

الفصل الثالث: مشكلة البحث

لعلماء نيجيريا مؤلفات كثيرة أثروا بها المكتبة العربية الإسلامية، ولقد درس الباحثون تلك المؤلفات من جوانب عديدة مما يدلّ دلالة واضحة على اهتمام العلماء والدارسين بالعلوم العربية إلا أنّ البحث عن الاختلافات النحوية لم يستوف-بعد- في نيجيريا عناية كافية تستحقها نظراً إلى مستوى التركيب.

وتتجلى المشكلة التي يعالجها هذا البحث في سد فراغ أظهره هذه البحوث وثلمة حفرها هؤلاء الباحثون النيجيريون في أعمال أولئك الشيوخ القدامى والمحدثين، وقد اشتغل الكتاب بالكتابة عن نتائج علماء نيجيريا النحوية والصرفية من شرح كتبهم وإبراز مخطوطاتهم من حيز العدم إلى حيز الوجود وتحقيقها وجمع شتاتها ومقارنة آرائها من شرح الغموض وبيان المنظوم وتحليل المنثور وتنقيح المكتوب وإضافة بعض الآراء وما سوى ذلك من أعمال قيمة قد قدمها

الباحثون عن نيجيريا وعلمائها قبل هذا البحث ولكن هناك جانب جديد لم يتطرق إليه بحث ولم تتناوله دراسة - فيما يعلم الباحث - في تلك المؤلفات، ويتمثل ذلك في هذه النقاط الآتية: القضايا الخلافية النحوية لدى علماء نيجيريا، أسباب الاختلافات المسائل النحوية في نيجيريا، مؤلفات علماء نيجيريا في المآخذ النحوية واللغوية، والمدارس النحوية النيجيرية. وهذه النقاط وغيرها هي المشاكل التي يساهم الباحث في دراستها وتحليلها ومعالجتها في هذا البحث بإذن الله تعالى.

الفصل الرابع: أهداف البحث

يرمى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- (١) إبراز وتحليل مسائل الاختلاف في النحو والصرف بين العلماء في نيجيريا
- (٢) إلقاء الضوء حول الأسباب والعوامل المؤدية إلى الاختلافات بين العلماء النيجيريين
- (٣) موازنة المواقف المختلفة حول القضايا المطروحة للدراسة
- (٤) بيان بداية هذه الاختلافات النحوية والصرفية لدى العلماء النيجيريين.
- (٥) آثار الاختلافات اللغوية بين العلماء في نيجيريا.

الفصل الخامس: أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أهمية علم النحو والصرف أولا وآخرا، وفي كونه أول بحث علمي - فيما أعلم - تتناول بالدراسة الاختلافات النحوية في هذا المستوى. لأن الأبحاث السابقة مع ما درست من مؤلفات علماء نيجيريا النحوية وغيرها، لم تتطرق إلى المسائل الخلافية النحوية بينهم.

ويهتم الإنسان بأي عمل أو حركة نتيجة أهميته ومهامه، وإذا كان الأمر ذا أهمية بالغة فإن الجهات المعنية تهتم به أكثر. ولهذا البحث أهمية عظيمة لو تركها الباحث أو ضن بذكرها في هذه العجالة لاختلاف مكانه العلمي وبمستواه الأكاديمي وهذه الأهمية تتمثل فيما تأتي:

(١) يتناول جانباً ضنت أقلام الباحثين في تدوينه وتسجيله.

(٢) إظهار الموازنة في آراء علماء نيجيريا المختلفة.

(٣) بيان بعض أمور يجب الاجتناب عنها عند دراسة تأليف عالم أو نقد رأي مؤلف أو المقارنة بينه وبين غيره.

(٤) وهذه الأهمية أيضاً تتمحور حول كون هذا البحث يهدف إلى المسائل الخلافية النحوية والصرفية لا غير إذ بهما يسان اللسان عن الخطأ عند النطق باللغة العربية الصحيحة ويفهم الإنسان كلام ربّ الأنام فهما صحيحا ويرشدا الإنسان إلى الفهم العميق لكتاب الله تعالى وسنة رسوله وإلى كيفية الإستدلال بالآيات القرآنية ومعرفة أحكامها من دون إساءة الإستشهاد وإعمال الآية في غير موضعها على نحو ما نشاهده اليوم في جماعة بوكو حرام في نيجيريا حيث أنهم يهددون قوات الأمن ويخوفون البلاد اعتمادا على آيات وأحاديث أساءوا فهمها ووضعوها في غير محلها.

(٥) الاستفادة من كتب نحوية شتى والالتفات إلى أنواع الآراء والأقوال مع عدم الالتزام بمدرسة واحدة من المدارس النحوية الأصلية وعدم نقد رأي أو رد عبارة أو تلحين أسلوب أو نفي قضية إلا بعد البحث الدقيق والإطلاع على أمهات الكتب النحوية والاتصال بآراء علماء النحو المختلفة لأن الممنوع عند قوم قد يكون مقبولاً عند قوم آخر وربما حلال فرقة هو حرام فرقة أخرى لأن طعام الزيد قد يكون سُمّاً لعمره.

الفصل السادس: منهج البحث

إن طبيعة بحث علمي أو مقالة أكاديمية تقتضي المنهج الذي ينتهجه الكاتب عند الكتابة والإلقاء معا، فالسالك يبحث عن أيسر طرق يسلكه وأمكن سبل يمشي عليها حتى يصل إلى الغاية المنشودة، لأنّ أطروحة الدكتوراه عبارة عن جمع البحوث في بحث واحد. فالمنهج الذي يسلكه هذا البحث ويقوم عليه هو المنهج الوصفي التحليلي، والوصفي -على حدّ تعريف العلماء- هو "المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبر عنها كيفيا بوصفها وبيان خصائصها وكميا بإعطائها وصفا رقميا من خلال أرقام وجداول توضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى".^{٢٤}

وبما أن المنهج الوصفي - في جانب منه - يهتم بالإحصاء للوقوف على الظواهر اللغوية الأكثر شيوعاً في اللغة الواحدة فإن الدراسة ستقوم بإحصاء الشواهد والدلائل التي اعتمد عليها جمل كل مؤلف في كتابه والتي يميل إليها صاحبه عند الرد أو الخلاف.

أما التحليلي فهو منهج يقوم على تقسيم أو تجزئة الظواهر أو المشكلات البحثية إلى العناصر الأولية التي تكوّنها لتسهيل عملية الدراسة وبلوغ الأسباب التي أدت إلى نشوئها ويستخدم بالتزامن مع طرق علمية أخرى.^{٢٥}

هذا مع اعتراف البحث بوجود مقاييس النقد وأنواعه وأما منهجه في الدراسة النقدية فيقع ذلك في وصف كل رأي وتحليل حجته مع الترجيح إن دعى إلى ذلك.

الفصل السابع: الدراسات السابقة

مما لا نزاع فيه أنّ الباحثين قد أفنوا حياتهم في الكتابة عن نيجيريا وعلمائها مع نتاجهم على اختلاف أنواعها منها المقالات المنشورة في المجلات الأكاديمية المحكمة والمحكمة غير الأكاديمية وكتبوا في جوانب عديدة عن هؤلاء العلماء السابقين في نيجيريا، منها ما ركز على حياتهم وآثارهم أو نتاجهم الأدبية من شرح أشعارهم أو نقد وتحليل رسائلهم أو تحقيق وتعليق كتبهم أو إخراج مخطوطاتهم بما في ذلك نتاجهم النحوية والصرفية.

وأي بحث علمي أو أدبي شرع الباحث في الكتابة عن موضوعه سيلتقى ببحوث رجال لها علاقة مع عنوانه أثناء البحث أو عند جمع المعلومات ولو بتصرف يسير في وضع الموضوع أو الاختلاف نوعاً ما في صياغة العنوان، وهذه هي سنة الحياة في البحث العلمي الأكاديمي، وهذه الحقيقة هي التي مارسها هذا البحث من حيث رأى بحثاً علمية وأدبية تتعلق بعلماء نيجيريا إلا أنّه اهتم كثيراً في هذا الصدد بالبحوث المتعلقة بالجانب النحوي والصرفي عن علمائنا النيجيريين ومعظم عناوين هذه البحوث تختلف عن عنوان هذا البحث لأنه يتطرق إلى جانب المسائل الخلافية في مؤلفاتهم.

ومن هذه البحوث السابقة ما يأتي:

١- مساهمة علماء غرب أفريقيا في نمو وتطور النحو العربي دراسة لمنطقتي تمبكتو وبلاد هوسا في الفترة ما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين" للباحث/ مُحمَّد صالح حسين.

وهذا البحث عبارة عن أطروحة الدكتوراه قدمه هذا الباحث إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايروا كنو، للحصول على الدكتوراه عام ١٩٨٧م وهذا البحث من أوائل البحوث المكتوبة عن علماء نيجيريا وإنتاجهم النحوية - وإن لم يكن أولها، ولقد حاول ذلك الباحث في إبراز تاريخ يتعلق بالدرس النحوي وحركته في بلاد هوسا برمتها وأفادنا بالمنهج المتبعة عند الدرس وبعض الكتب المعتمد عليها وقتئذ مع الالتفات إلى المدارس النحوية الموجودة في بلاد هوسا آنذاك إلا أنه ركز حديثه على بلاد هوسا فحسب مع أن العنوان يحمل غرب إفريقيا بما فيه جنوب نيجيريا، وإبان كتابته لهذا البحث قد وُجد علماء أكفاء يدرّسون الطّلاب المادة النحوية في بلاد يوربا فلماذا لم يتصل بهم الباحث ولم يتطرق حديثه إليهم. وسيحاول الباحث الحالي ملأ هذا الفراغ وسدّ هذه الثلمة التي تركها ذلك البحث ثم هناك اختلافات في بعض التواريخ وتغييرات في أسماء بعض الكتب سيتطرّق هذا البحث الحالي إلى إظهارها وتحليلها.

٢- "مروى الصدى في علم الصرف للشيخ مُحمَّد بن صالح الفلاتي تحقيق وشرح الدكتور يحيى فاروق ثيط المحاضر بقسم اللغة العربية جامعة بايروا كنو نيجيريا. وأصل هذا الكتاب بحث علمي قدمه صاحبه إلى قسم اللغة العربية للحصول على شهادة الدكتوراه ثم تولى أخيراً دار الأمة لوكالة المطبوعات، نيجيريا بطبعه سنة ٢٠١٠م لما فيها من الفوائد الجليلة للنظم والشرح. وهو عبارة عن شرح وتحقيق لامية الشيخ مُحمَّد بن صالح الفلاتي وهي منظومة تصريفية عاج فيها صاحبها الموضوعات المتعلقة بعلم الصرف وخاصة تصريف الأفعال ويتمثل عدد أبيات هذه اللامية في تسعمائة وثلاثة وسبعون بيتا (٩٧٣) في ثلاثة وخمسين بابا من أبواب تصريفات الأفعال (٥٣).

وأنت القصيدة على البحر الطويل الذي هو:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

أما تحقيق وشرح الدكتور ثيبت فتبدوا في ثلاث مجلدات بعد ما أخرج كتابا.

٣- الإنتاجات النحوية العربية لبعض المؤلفين النيجيريين اليورباويين: "دراسة تحليلية وصفية"

إعداد: قاسم إبراهيم.

قدم هذا البحث إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة إلورن. وفاء لبعض متطلبات

الحصول على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، ويعتبر أحد البحوث التي تتركز على النحو العربي

أو تخص الجانب النحوي بالنسبة لشخصية وإنتاجات علماء بلاد يوربا خاصة.

ولقد حاول هذا الباحث أن يمر مرورا عابرا بما يشبه موضوع الاختلافات النحوية بعد ما

أتى بتاريخ دراسة العلوم العربية في بلاد يوربا وقسمها إلى أربع مراحل، فهي:

(١) مرحلة التكوين والوضع

(٢) مرحلة التطور والارتقاء

(٣) مرحلة النضوج والكمال

(٤) ومرحلة الترجيح.

وفي هذه المرحلة الأخيرة تطرق إلى ما يشبه الاختلافات النحوية في مؤلفات علمائنا

السالفين إلا أنه فقط أورد بعض هذه الاختلافات بدون النظر أو الاتيان بحجة كل فريق على

وجه العموم أو دراستها دراسة نقدية عميقة فلا غرو في ذلك، لأن المجال ليس مجال ذلك البحث

كما يبدو من عنوانه حتى لا ينتقل من موضوعه الأصيل إلى موضوع آخر ويلمس ذلك في مثاله

لما جرى بين العلامة الإلوري وبين الأستاذ برايما برى وذلك عند ما قام برايما برى للرد على كتاب

ألفه الإلوري أسماه: "الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا" وفي رد برايما برى قصيدة قرّظ بها وزير جنيد

ذلك الكتاب وهي في خمسة أبيات قال فيها:

لقد صدعت بما أمرت أخونا * وجلسوته من قبل كان فينا

أزهقت كلّ أباطل متمنيا * رضوان ربك لا تخاف مشينا

لا غرو بحثك فائق في عمقه ** وبيانه قلنا لذاك رضينا
لا فضّ فوك بما أقمت به أخي ** إظهار حق لا اتباع بطونا
من بطن كندة كان أو حبشي ** كل سواسي إن ذاك كفانا. ٢٦

حاول الأستاذ داؤود الفنلا أن يشير إلى أخطائها.

وكذلك في الذي جرى بين الدكتور سعيد الرفاعي والدكتور سعيد تميمين في رسالة جادت بها قريحة الدكتور سعيد تميمين وأخذه عليه الرفاعي في بعض مواقف نحوية وإنشائية. وهل للكاتب حجة فيما ذهب إليه أم لا؟ وهل رجح دليل الراد على مردوده أم لا؟ فهذه الأمور هي التي لم يذهب إليها الباحث. فيختلف البحث الحالي عن هذا البحث لأنه شمل هذه الجوانب التي تركها ذلك، ويتمثل ذلك في ترجيح الآراء وتحليل الأفكار لا بمجرد العرض والسرود.

٤ - تحقيق العوامل المائة للإمام عبد القاهر الجرجاني

للباحث عبد الرحمن أحمد الإمام، بحث حصل بها صاحبها على شهادة الليسانس سنة ١٩٨٩م، قدّمه إلى كلية اللغة العربية، جامعة الإمام بالرياض. وقام الباحث في تلك العوامل المائة المشهورة للجرجاني بالتحقيق والشرح حيث بيّن كلا من هذه العوامل وأقوال العلماء النحويين فيها ونال به الامتياز بالشرف.

٥ - اختيارات ابن يعيش النحوية والتصريفية: جمعا ودراسة وتقويما: للأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام

جمع فيه جميع آراء العلامة أبي البقاء موفق الدين ابن يعيش (وهو من علماء القرن السادس والسابع الهجريين) جمع الباحث جميع مواقفه واختياراته في شرحه لكتاب المفصل^{٢٧}، وفي هذه الاختيارات كلّها قام الأستاذ الدكتور أحمد الإمام بالجمع حيث جمعها والدراسة لأنه درسها بأسلوب علمي أكاديمي قبل تقويمها من حيث يرجح الآراء ويفضّل المواقف ويضيف إليها رأيه الخاص فكأنّه يحكم بين الرّمخشري وابن يعيش، وطبع سنة ٢٠١١م في مجلّد واحد تربو على خمسمائة وواحد والثلاثين صفحة (٥٣١) بعدما قد نال بها صاحبها شهادة الماجستير بالامتياز من جامعة الإمام بالرياض. ويعتبر هذا الكتاب أول نوعه في جهود ابن يعيش النحوية لأن ما

سبقه كتاب ألفه الدكتور عبد اللطيف مُجَّد الخطيب أسماه "ابن يعيش وشرح المفصل" بجامعة الكويت عام ١٩٩٩م، إنما اقتصر عمله في ذلك على شرح المفصل فقط، وأما أستاذنا الدكتور وسَّعت الدراسة إلى جميع أعمال ابن يعيش.

٦- الخطيب الشربيني وجهوده النحوية والتصريفية: للأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام

اجتهد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام في هذا الكتاب "الخطيب الشربيني وجهوده النحوية" بإيراد جميع الجهود التي بذلها الإمام مُجَّد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي المذهب والقاهري الوطن وهو من علماء القرن العاشر الهجري له مؤلَّفات عديدة قام الكاتب بجميع هذه المؤلَّفات قارئاً ومقتسباً منها جميع آرائه النحوية والتصريفية وهو أوسع من سابقه (اختيارات ابن يعيش)، فهذا يشمل جميع المؤلَّفات ويقتصر ذلك على كتاب واحد ولقد أفصح القول في ذلك مشرفه القدير الأستاذ الدكتور مُجَّد صلاح الدين بكر الأزهري في مقدّمته على الكتاب وقال: "وقد اضطرَّ هذا العنوانُ الباحث إلى أن يبحث كلَّ أعمال الشربيني النحوية والتصريفية في جميع مؤلَّفاته بعد أن كان مقتصرًا على تفسيره "السراج المنير" مما دعا الباحث إلى أن يشمر عن سواعد الجد ليله ونهاره...".^{٢٨} ولم يكتف الباحث بإيراد هذه الجهود فحسب بل يدرسها ويحللها ويقف على تخريج شواهد كتبه وتقديم جهوده قبل أن يضيف إليها رأيه الخاص، والكتاب في مجلدين كبيرين تقرب عدد صفحاته ألفين، وبالتحديد ألف وسبعمائة وأربعة (١٧٠٤). ويعتبر هذا الكتاب الأخير أكبر وأعظم ما ألَّف في النحو العربي في نيجيريا لأن "مروي الصدي في علم الصرف" للدكتور ثيپ الكنوي أكثر مجلداً من هذا لأنه في ثلاث مجلِّدات، وهذا في مجلدين، ولكن يقرب عدد صفحات أحدهما تلك الثلاثة، لأنَّ عدد صفحات مجلِّداته الثلاثة في حدود ستة وثلاثين بعد المائة والألف (١١٣٦)، والكاتب في هذه النتاجات النحوية الثلاثة (تحقيق العوامل المائة وهذين الكتابين) يرتبها على حسب حياة ووفيات هؤلاء العلماء، ففي الأول جهود الجرجاني وهو من علماء القرن الخامس الهجري، وجاء دور ابن يعيش في الثاني عاش في القرن السادس وتوفِّي في السابع الهجريين قبل الشربيني الذي يعدُّ من علماء

القرن العاشر الهجري. ومن بركة هذا الكتاب الأخير أنه كاد رجل أزهرى أن ينتحله لولا فضل الله ثم بجهود أحد أساتذة المؤلف في السعودية الذي أفشى هذا السرّ حتى اتصل بصاحب الكتاب الحقيقي هاتفياً.

٧- هبة المولى في بيان معاني "لا" تأليف الحاج أحمد الرفاعي بن مُجّد بلو الملقب باسم محله (أوكى أرى) إبادن

كتاب نظم نحوي تزيد على مائة بيتا قام فيها الناظم ببيان حرف "لا" النافية، وأنواعها واستعمالاتها في اللغة العربية ثم الاستثناء وأحكامه، وكأنّه نظم هذه الأبيات اعتماداً على الأحكام النحوية التي سجّلها صاحب المصباح المنير... نظراً لما قاله الناظم في البيت الرابع بقوله:
ولام ألف لما رأيت بيانه** تماماً بمصباحي المنير مفصلاً.^{٢٩}

ويعني (الناظم) في هذا البيت إلى أن كل ما يقوله عن حرف "لا" يقتبسه من تفصيلات صاحب المصباح المنير، ولعلّه يشير إلى كتاب: "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" للشيخ أحمد الفيومي الحموي، وفيه بعض الأحكام الخلافية عن حرف "لا" وهو من خير ما ألف في النحو العربي في هذه الديار.

٨- أسس الترجيح في كتب الخلاف النحوي: للباحثة فاطمة مُجّد طاهر حامد، بحث أكاديمي قدّمته صاحبه إلى كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا العربية فرع اللغة، جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بتخصّص النحو والصرف.

ويسعى هذا البحث وراء إبداء الأسس التي يبني عليها الترجيح عند الاختلافات النحوية أهي القياس والسماع أو غيرهما وستفيدنا هذه الباحثة إذا وصل البحث الحالي إلى تحليل المسائل النحوية الخلافية وترجيح آرائهم.

٩- ائتلاف النصر في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي، المتوفى سنة ٨٠٢هـ وحقّقه الدكتور/ طارق الجنابي، وعدد المسائل في هذا الكتاب مائتان وثلاث وعشرون مسألة تكلم المؤلف عن كلّ منها مع بيان أوجه

الائتلاف والاختلاف وخاصة بين البصريين والكوفيين مع ميله دائماً إلى ترجيح آراء الكوفيين^{٣٠} خلافاً للأنباري الذي يرجح آراء الكوفيين أكثر. ومنها أيضاً: "من قضايا النحو العربي في المجلات الجامعات في الديار النيجيرية": مقالة للدكتور قاسم إبراهيم الأيدوي، نشرتها جامعة لبنان سنة ٢٠١٥م، العدد ٢٠. و"دور الدارسين في تطوير النحو العربي في نيجيريا": مقالة نشرتها جمعية أسلن ٢٠١٩م للدكتور قاسم إبراهيم الأيدوي.

ثم: "المناظرات النحوية في نيجيريا: لمحات ونماذج" للدكتور قاسم إبراهيم الأيدوي، وهو عبارة عن بعض الاختلافات النحوية في صورة المناظرات العلمية في بعض المؤلفات النيجيرية أورد فيه صاحبه ملامح تشبه ما يطلق عليها المسائل الخلافية وأتى بنماذج عالجه وحللها بأسلوب يختلف عن أسلوب هذا البحث والكتاب في حوالي ثلاثين صفحة وزيادة طبع سنة ٢٠٢٠م. ١٠- "صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة وتوجيه": تأليف البروفيسور علي نائي سويد. ولقد تناول المؤلف بعض مسائل خالف بها بعض النحويين، منها تقسيم الجمل العربية إلى الاسمية والفعلية.

وللباحث وقفات مع هذا الكتاب الأخير إذا جاء أجلها إن شاء الله. وعلاوة على هذا، فإن هذه البحوث السالف الذكر وغيرها هي بعض الدراسات السابقة المشابهة لهذا البحث، ويختلف عنها في جوانب تخصّ مسائل الاختلاف أو القضايا الخلافية في النحو في مؤلفات علماء نيجيريا، لأنّها على كثرتها تناولت جوانب متعدّدة خالية من الاختلافات النحوية في نيجيريا.

الفصل الثامن: عرض المصادر والمراجع المهمة ذات الصلة بموضوع البحث:

فميدان البحث ليس للتجارب الشخصية إذ كل بحث علمي لا بد من أن يعتمد على تجارب الآخرين وليس من علامة النضوج أن يأتي الباحث بجميع المعلومات من رأيه ويعتمد على نفسه عند قبول رأي أورد رأي آخر أو عند تسجيل الحقائق العلمية بل الباحث الحقيقي هو الذي يقرأ من هنا وهناك ويعتمد على المصادر والمراجع القديمة والحديثة نظراً إلى موضوع البحث

وكل ما يحتاج إليه الباحث عند الكتابة قد توفرت فيه المراجع، لذلك فعليه الاتصال بهذه الكتب ويستقي منها العلوم ليدعم بها موقفه واتجاهه، وعنوان البحث هو الذي يرشدنا إلى المصادر التي نعلم عليها لصلتها بالموضوع، فموضوع هذا البحث قد أثبت للباحث أنه يحتاج إلى المصادر النحوية الأصلية في النحو لأن الذي يدرس الاختلافات النحوية في كتاب ما، يجب عليه التعرف على الكتب الأصلية في النحو لكي يعرف أين استقى كل منهم رأيه وعلى أي مدرسة من المدارس النحوية اعتمد عليها ثم إلى الكتب الحديثة في النحو، لأن الحديث قد يتطرق إلى بعض الموضوعات النحوية الحديثة أمثال النحو التوليدي، والنحو الوظيفي، وتجديد النحو، وغيرها من الموضوعات المستحدثة في النحو العربي.

فمدار الحديث عن المصادر والمراجع التي اعتمد عليها هذا البحث يمكن حصر بعضها

فيما يأتي:

١- الكتاب لسيوبه

ذلك أن معظم الآراء النحوية تأتي من سيوبه لأنه ينقل آراء سابقه النحوية ولا يمكن الاستغناء عنه وعن كتابه عند الحديث عن الاختلافات النحوية فكثير من آراء البصريين استنبط من كتابه مع وجود بعض قضايا خالفه فيها تلاميذه وعلى رأسهم سعيد بن مسعدة الشهير بالأخفش، وهذا الكتاب مع صعوبة فهمه وإدراك معانيه يرجع إليه النحاة عند التنازع في القضايا النحوية حتى يرى منهم من لقبه بقرآن النحو، ويقال في مثل سائر: من قرأ الكتاب فقد ركب البحر.

٢- الأصول في النحو

لأبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، وهذا الكتاب أي (كتاب الأصول في النحو) كتاب قيم جدا يرجع إليه كثيرا عن دراسة النحو وهو من المصادر والمراجع الأصلية وصاحبه ذو صيت كبير في علم النحو وله كتب أخرى منها: شرح كتاب سيوبه، وكتاب جمل الأصول، وكتاب الاشتقاق، وكتاب احتجاج القراء، وغيرها ولذلك اتفقت

الجمهور على أن كتاب الأصول في النحو من أعظم وأجود الكتب المصنفة في هذا الشأن وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه.

والكتاب أي (الأصول في النحو) في ثلاث مجلدات حسب تحقيق الحسين الفتلي ونشر مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.

٣- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين

لعبد الرحمن بن مُجَّد الأنصاري الشهير بأبي البركات الأنباري، فهذا الكتاب من أجل الكتب المؤلفة في النحو ولا يمكن الإستغناء عنه وخاصة عند البحث فيما يتعلق بمسائل خلافية عند النحويين وكيف لا، إذ المؤلف أورد معظم الآراء المختصة لكلا البلدين فالباحث المدقق يقرأ من هذا الكتاب ليعرف إلى أين تلتجئ وجهة نظر كل من الفريقين المتخالفين في قضية من القضايا النحوية والصرفية. والكتاب في مجلدين كبيرين في طبعته الأولى كما نشره المكتبة العصرية.

٤- مسائل خلافية في النحو:

لأبي البقاء عبد الله العكبري البغدادي. وهذا المؤلف له كتب نحوية أخرى أمثال اللباب في علل البناء والإعراب والتبيان في إعراب القرآن وغيرها ولكن تمّ اختيار الباحث على هذا الكتاب لأنه ركز كثيرا على قضايا خلافية وامتاز في إيراد أقوال كل من النحويين المشهورين وإسناد رأي أو فكرة إلى صاحبه ومضمون الكتاب له علاقة متينة مع موضوع هذا البحث وهو في جزء واحد حسب تحقيق مُجَّد خير الحلواني في طبعته الأولى كما نشره دار الشرق العربي - بيروت.

هذا بالإضافة إلى كتب نحوية أخرى قد لا يمكن حصرها في هذه العجالة لكثرتها حتى نشغل بما لا طائل تحته وخاصة عند الحديث عن أمور تتعلق بأولية النحو العربي والنحو بين القديم والحديث وما على هذا الشكل من الفصول المتواجدة في الباب الثاني، ولنذكر من هذه الكتب وفقا لما قيل: "ما لا يدرك كله فلا يترك جله" وهذه هي الأسماء:

١- من تاريخ النحو العربي لسعيد بن مُجَّد بن أحمد

٢- نزهة الألباء في طبقات الأدباء لمحمد كمال الدين أبي البركات الأنباري

- ٣- مراتب النحويين لأبي الطيّب عبد الواحد اللغوي
 - ٤- الرد على النحاة لابن مضاء أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن القرطبي
 - ٥- المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري
 - ٦- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة لمحمد الطنطاوي
 - ٧- المدارس النحوية لأحمد شوقي
 - ٨- علم لغة النص للأستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري
 - ٩- العربية وعلم اللغة الحديث للدكتور مُجّد داؤد
 - ١٠- علم اللغة الحديث لمحمد حسن عبد العزيز
 - ١١- النحو الوظيفي للدكتور فاضل فتحى والي
- وغير هذه المذكورة من المراجع النحوية القديمة والحديثة مع بعض المصادر اللغوية أمثال لسان العرب لابن منظور وكتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء، والقاموس الفيروز آبادي وغير هذه من الكتب اللغوية التي اعتمد عليها الباحث عند الحديث عن مفردات الكلمة التي تتكون منها العنوان.

هوامش الباب الأول

- ١- أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الرابعة: ١٩٨٧م، الجزء الخامس، ص: ١٧٢٣.
- ٢- علي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، ج ٤، ص: ٣٣٥.
- ٣- البيت لعلقمة بن عبدة، ويوجد في ديوانه رقم ١١ وفي أدب الكاتب رقم ٥٠٥.
- ٤- مكتب الدراسات والبحوث بمشاركة أديبة فرح، مُجَّد سعيد، رياض كريم، سليم إدوار، **القاموس قاموس عام لغوي-علمي، عربي إنكليزي عربي**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة: ٢٠١١م، ص: ٤١٨.
- ٥- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تفسير الألوسي**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، المجلد الثامن، ص: ٤٢٦.
- ٦- اختار هذا البيت من قصيدة لبيد بن ربيعة مطلعها: "طرب الفؤاد وليته لم يطرب"، وهي من بحر الكامل، أثنى عليها الأدباء بأنها من أجمل ما قيل في الرثاء، وفراق الأحبة، ويكتب "الخلف" في هذه القصيدة -بسكون اللام- حيناً، وبتفتحها حيناً آخر، ولذلك يرى بعض اللغويين التفرقة بينهما، وبهذا تمسك ابن عطية في كتابه المحرر عند تفسير الآية وأثبت بأنهما مترادفان احتجاجاً بقول شاعر:
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ** لأولنا في طاعة الله تابع
- ٧- الألوسي، **المرجع السابق**، والصفحة نفسها.
- ٨- أبو عبد الله أحمد بن مُجَّد بن حنبل الشيباني، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، ج ١٣، ص: ٢٩٥.
- ٩- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/مُجَّد البخاري، **المعجم الوسيط**، الناشر: دار الدعوة، عدد الطبعة وسنتها غير مذكورتين، ص: ٢٥١.
- ١٠- ابن منظور مُجَّد بن مكرم الأنصاري، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ، ص: ٣٠٩.

- ١١- عوض حمد الفوزي، **المصطلح النحوي نشأته وتطوه حتى أواخر القرن الثالث الهجري**، الناشر: عمادة شؤون المكتبات-جامعة الرياض، الطبعة غير مذكورة، ص:٧.
- ١٢- ابن الحاجب الكردي، عثمان عمر بن أبوبكر، **الشافية في علم التصريف**، تحقيق أحست أحمد العثمانو الناشر المكتبة المكية-مكة، الطبعة الأولى ١٥م:٦.
- ١٣- زين الدين أبو عد الله مُجَّد بن أبي بكر الحنفي الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ مُجَّد، الناشر: مكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت-صيدا، الطبعة الخامسة: ١٩٩٩م، ص:١٧٥.
- ١٤- أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن-تفسير القرطبي**، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم الطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، ١٣٦٠، ص:١٢.
- ١٥- زين الدين مُجَّد بن أبي بكر الرازي، **المرجع السابق**، والصفحة نفسها.
- ١٦- زين الدين الرازي، **المرجع نفسه**، ص:٣٧.
- ١٧- منتقى عبد الرحمن السيوطي، **مجهودات بعض النحويين في النحو العربي**، بحث غير منشور، ص:٣.
- ١٨- مجمع اللغة العربية القاهرة، **المرجع السابق**. ص:٢٤.
- ١٩- مُجَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، الناشر: شركة الدار القدس للنشر والتوزيع، الطبعة غير مذكورة، ص:١١٨٤.
- ٢٠- أبو الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق دك مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة غير مذكورة، ج٧، ص:٢٢٧.
- ٢١- أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام مُجَّد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر ١٩٧م، ج٥، ص:٤٦٧.
- ٢٢- الجمهورية العراقية وزارة التربية، **النقد وموازن الشعر للصف السادس الأدبي**، الطبعة الخامسة: ١٩٧٤م، الناشر: مطبعة الأزهر-بغداد، ص: ٣٢.
- ٢٣- عبد الرحمن السيد، **مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها**، الناشر: توزيع دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى: سنتها غير مذكورة، ص:١١.
- 24- <https://alawg50.worldpresscom> 08-03-2018
- ٢٥- مبعث الدراسات والاستشارات الأكاديمية: 28-10-2020 www.mobt3ath.com

- ٢٦- قاسم إبراهيم، الإنتاجات النحوية العربية لبعض المؤلفين النيجيريين اليورباويين: دراسة تحليلية وصفية، بحث غير منشور قدّم إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، وفاء لبعض المتطلّبات للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، ص: ٨٩.
- ٢٧- والمفصل كتاب لغوي نحوي اسمه بالكامل "المفصل في صنعة الإعراب" ألفه العلامة الزّمخشري ولقي عناية العلماء اللغويين والنحويين حتى وجد أكثر من مائة عالم قاموا بشرح الكتاب منها المخطوط ومنها المطبوع، ومنها المفقود، ومن الشروح التي سار بذكره الركبان وشاع صيته في الآفاق "شرح المفصل لابن يعيش" فهي عشرة أجزاء في عشر مجلّدات قام فيه صاحبه بترجيح الآراء ويفضل مواقف البصريين على غيرها ويخطئ الزّمخشري أحيانا ويصوّبه أحيانا أخرى غير أنه لا يعاتبه فيه أماكن كبوته كما كان بعض الشّراح يفعلون.
- ٢٨- عبد الرحمن أحمد الإمام، الخطيب الشريبي وجهوده النحوية التصريفية، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات-كانو، نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م، المجلد الأول، ص: ٥.
- ٢٩- الحاج أحمد الرفاعي بن مُجّد ألفا أوكي أرى، هبة المولى في بيان معاني لا، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة التهئة، رقم ٥٨٠ إسالي أوس، إبادن-نيجيريا، ص: ٢.
- ٣٠- فاطمة مُجّد طاهر حامد، أسس الترجيح في كتب الخلاف النحوي: عرض وتقييم، بحث غير منشور، قدّمته صاحبتة إلى قسم كلية اللغة العربية وآدابها، قسم الدراسات العليا العربية، جامعة أمّ القرى لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، ص: ٣.

الباب الثاني

تطور النحو العربي عبر العصور

الفصل الأول: أولية النحو العربي

كان العرب-على اختلاف أجناسهم- يتكلمون بالفصحى طبيعة وسليقة من دون قاعدة ترشدتهم أو معلم يدرّسهم، فكانت البيئة أستاذتهم والسجية قائدتهم اللهم إلا ما سجله التاريخ من حضورهم لبعض الأسواق العربية أمثال سوق عكاظ وهي أشهر هذه الأسواق وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة وهذه الأسواق هي ملتقى الشعراء والخطباء ويشجعهم هذا اللقاء على المواظبة في قول الشعر وإجادته وإلقاء الخطب وتسجيعها وتحفل كل قبيلة بمن فاز من أبنائها بدرجة الشرف مع وضع الجوائز. ويتناشدون بمنابها وشرفها ويتناقلها الركبان، وقد روي في صحيح البخاري عن فضل هذه الأسواق بين العرب في الجاهلية، قال: حدثنا عثمان بن المهيم أخبرنا ابن جريج قال عمرو بن دينار قال: ابن عباس رضي الله عنهما: كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم"^١ حديث رقم ١٧٧٠. ومع ذلك حالفتهم الفصاحة وصاحبتهم البلاغة وتعابيرهم في قمة الروعة وأرقى المرتبة شعرا كان أو نثرا، كل هذا وذاك، قبل مجيء الإسلام وظهور الرسالة المحمدية.

ورحم الله أبا منصور الأزهري حيث يقول: "نزل القرآن والمخاطبون به قوم عرب أولو بيان فاضل وفهم بارع أنزله جلّ ذكره بلسانهم وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدرّبوا به يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلّم مشكله وغريب ألفاظه."^٢

ومحور الحديث يهدف إلى العرب القحطانيين والعرب العدنانيين لأنهم هم الباقون بعد هلاك الطبقة الأولى من العرب وهم العرب البائدة قال الدكتور جواد علي: "العرب البائدة وهم العرب الذين هلكوا واندثروا قبل الإسلام، ولم يبق منهم غير آثار وذكريات، أما العرب العاربة والعرب المستعربة أو العرب القحطانيون والعرب العدنانيون فإنهم العرب الباقون الذين كانوا يؤلفون جمهرة العرب بعد هلاك الطبقة الأولى..."^٣ وعندما جاء الإسلام ودعى إليه النبي (صلى الله عليه

وسلم) علنا بعد الدعوة السرية بدأ الناس يعتنقونه ويستسلمون لأوامر ربهم تبارك وتعالى وبدأ الدين الإسلامي ينتشر في مكة وضواحيها وفي الطائف وأريافها حتى كثر عدد المسلمين ودخل الناس في دين الله أفواجا واضطر العرب للاختلاط بغيرهم من الأعاجم والعكس في سائر الأمصار وتطلب هذا أن يفهم بعضهم بعضا من أجل التجارة والمنافع والدين والتعليم وغير ذلك فسمع العرب من الأعاجم والعكس فنتج عن هذا التخاطب والإصغاء بين الطرفين فساد في اللغة وظهر اللحن وشاع بين أوساط الناس.

هذه هي الحال قبل ظهور الإسلام وقبل نزول القرآن وبعده بقليل، ولقد أثبتته المؤرخون أن اللحن قد بدأ منذ العهد الأول للإسلام ومن ذلك ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قرأ فلحن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرشدوا أخاكم".^٤

اختلاف العلماء في من أشار بوضع النحو العربي

لقد تضاربت الروايات واختلفت الحكايات حول واضع هذا العلم بعد ما اتفقت على أسباب وضعه، وهذه الأسباب كلها يتراءس عليها الباعث الديني لأن أول ما يخاف عليه أولو الأمر لكيلا يتسرب إليه اللحن هو كتاب الله، لكن محلّ الخلاف بين الباحثين والمؤرخين يقع فيمن وضع هذا العلم وفيمن أشار بوضعه، وحتى لا يشتغل الباحث بذكر جميع الأقوال الواردة حول الواضع يشرع فقط فيما عليه الجمهور من أسماء هؤلاء العلماء.

يوجد من المؤرخين من أقر بوجود النحو العربي قبل الإسلام ومنهم من آخر وقته إلى عصر الصحابة ومنهم من أسنده إلى التابعين ومن رؤساء الفريق الأول أحمد بن فارس الذي قال فيما أورده الطنطاوي في كتابه: "... ومن هؤلاء العلماء أحمد بن فارس في أوائل كتابه "الصاحي" بل غلا غلوا شديدا إذ نسب للعرب العاربة معرفتهم بمصطلحات النحو بتوقيف من قبلهم حتى انتهى الأمر إلى الموقف الأول وهو الله عزّ وجلّ...".^٥

ولا شك في أن هذه المقولة مردودة لعدم وجود سند يثبت ذلك ويقويه لأن العرب في الجاهلية عندهم الملكة والقدرة الطبيعية على لغتهم كما سبق القول فأني يكون لهم الاصطلاحات النحوية فإن وجدت من وضعها؟ وما السبب في وضعها، وما هي...؟

ولعل الذي حمل ابن فارس على هذا قاله ليرد على الذين قالوا بأن العرب لم يعرفوا الحروف ولا النحو ولا الإعراب وهاك نصه: "وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحوًا ولا إعرابًا ولا رفعًا ولا نصبًا قالوا والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتممز إسرائيل؟ فقال إني إذن لرجل سوء"، قالوا: وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف ما الهمز: إلا الضغط والعصر، وقيل لآخر: أبحر فلسطين؟ فقال: "إني إذن لقوي".^٦ إلا أنه لم يحدد وقت القول والزمن المشار إليه.

ومهما يكن من شيء فإن العرب لم يعرفوا النحو ولا الإعراب لا قبل الإسلام ولا في صدره إلا في عصر التابعين بجهود أبي الأسود الدؤلي، واختلفت الروايات أيضا فيما أدّى بأبي الأسود إلى وضعه هل بإشارة من الإمام علي عليه السلام أم بسؤال وجهته إليه ابنته أو بطلب من الزيادة حتى منهم من قال بأن أبا الأسود وضعه بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

أما الذين يدعون بأن نصر بن عاصم الليثي هو الواضع أو الذين ينسبونه إلى عبد الرحمن بن هرمز حتى الأستاذ أحمد أمين الذي يقول بأن واضع النحو العربي هو الخليل بن أحمد الفراهيدي^٧، كل هذا وذلك مجرد الدعاوى لا هناك برهان يثبتها ولا دليل يقرها ويقويها.

وجهود ابن أبي إسحق النحوية التي بينهما شوقي ضيف أدى ببعض الباحثين إلى نسبة وضع علم النحو إليه أيضا وتمثل تلك الجهود في هذا النص الشوقي: "... وأول نحوي بصري حقيقي نجد عنده طلائع ذلك أي (من صاغ النظريات النحوية صياغة علمية تقوم على اتخاذ القواعد) هو ابن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ للهجرة.^٨

وجملة القول: إن النتيجة المؤكدة بأن أبا الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) هو الذي بدأ هذا العمل سواء بإشارة من عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب أو زياد بن أبيه أم بتفكيره هو أو بسؤال ابنته خير ما سجله التاريخ.

هذه هي الحقيقة التاريخية التي توصل إليها الباحث أثناء اتصاله بأمهات المصادر والمراجع النحوية الأصلية. فهذا التنوخي يقول في كتابه: "... فلما ولي زياد العراق بعث إليه (أبي الأسود) يقول له: اعمل شيءًا تكون فيه إمامًا، تعرب به كتاب الله تعالى وينتفع الناس به فاستغفاه من

ذلك، حتى سمع قارئاً يقرأ: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر الرسول فقال: ما ظننت أمر الناس صار إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير...^٩.

ورواية أخرى تساند ذلك ما قاله الأنباري إلا أنه نسب الوضع إلى الإمام علي قبل أن يتسرب إلى أبي الأسود الدؤلي وقال: في بداية كتابه: "اعلم أيديك الله تعالى بالتوفيق وأرشدك إلى سواء الطريق أن أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحد حدوده، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي"^{١٠}.

وهناك خبر متواتر يثبت إقرار أبي الأسود الدؤلي بأن الإمام علي عليه السلام هو الذي أشار إليه بهذا العلم وقال: "إنه قيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم؟ يعنون النحو-فقال: لقنت حدوده من علي بن أبي طالب عليه السلام"^{١١}.

كل هذه وتلك من الروايات على اختلاف روايتها لا تخرج عن دائرة نسبة الوضع إلى ظالم بن عمرو المشهور بأبي الأسود الدؤلي ويدل هذا على أن النحو نشأ في العراق لأن أبا الأسود بصري وبصرة إحدى مدن العراق المشهورة وصار البصريون بذلك أقدم نحاة العالم وأبو الأسود أولهم فميمون الأقرن فعنيسة الفيل ثم عبد الله بن أبي إسحاق قبل أبي سليمان عيسى بن عمر الثقفي وهو شيخ الخليل وأستاذ صاحب قرآن النحو (سيبويه) ولابن عمر كتابان جليلان والنحو وصفهما شاعر وإن كان الكتابان غالت عليهما يد الضياع كما قاله الأنباري فهما: الجامع والمكمل وهذا قول الشاعر:

بطل النحو جميعاً كهُ * * * غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع * * * فهما للناس شمس وقمر.^{١٢}

ومع ذلك لا ينسى التاريخ جهود علماء الكوفة في النحو والصرف ولن يكمل تاريخ أولية النحو العربي بدون ذكرهم وإن كان علماء الطبقة الأولى في النحو عندهم يساؤون بعلماء الطبقة الثالثة عند البصريين لأن الكوفيين اشتغلوا بجمع الأشعار ورواية الأخبار وقراءة القرآن حينما قد تقدم زملائهم من البصريين في درس وتدريس علم النحو العربي.

ومهما يكن من شيء فإنهم يرجع الفضل عند الحديث عن فصل علم الصرف عن علم النحو ويقال بأن معاذ بن مسلم الهراء هو أول من حاول تفصيل علم الصرف عن النحو إلا أنه لم يؤلف فيه حتى جاء المازني وللحديث في هذه النقطة بقية-إن شاء الله - فيما تأتي من الصفحات رحمهم الله جميعا وجعل جهودهم في ميزان حسناتهم لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.

وقفة مع الذين انكروا إنشاء علم النحو لأجل الأعاجم واحتجوا بأن العرب في الجاهلية اختلطوا مع الأعاجم ومع ذلك لم تفسد عربيتهم وقالوا بأن الذي حدث للعربية فقط يعتبر تغييرا للاستعمال أي تغيرت الاصطلاحات العربية في التعبير والتركيب وأثبتوا بأن معظم الحوادث التي تحاط بأسباب إنشاء النحو العربي معظمها أكاذيب وافتراء لا أساس لها من الصحة.

فحديث الباحث إلى هؤلاء هي أن يكونوا على حذر عند تفتيش الأمور وتدقيق الأسرار والأخبار لئلا يحددوا الحقائق العلمية والتواريخ الإسلامية فكأن الذي حدث بهم كثرة التنقيح والتحقيق في البحث عن الحقائق التاريخية قبل قبولها وتصديقها والتفريق بين جيدها وردئتها وهذا الأمر قد أدى بهم إلى الشكوك في معظم ما أورد إلينا نحن اللاحقين في العصر الحديث من السابقين ويلمس آثار ذلك في أفكار ذلكم العميد للأدب العربي في العصر الحديث الدكتور طه حسين عندما أثار نار الفتنة في قضية الانتحال في الأدب العربي وإن لم يكن أول من أتى بذلك لكنه من الرؤساء المعنيين بها وألغوا فيها بكثير وأشاعوها واشتهروا بها حتى تسربت إلى الأدائي والأقاصي، وقد نسب إنشاء هذه القضية في الأدب العربي إلى مُحَمَّد بن سلام لأن حديثه تطرق إلى ما يشبه ذلك في كتابه طبقات فحول الشعراء... " وأورده الجندي بقوله: "وكان مُحَمَّد بن سلام المتوفى سنة ٢٣١هـ أول من درس قضية الانتحال وآثارها في كتابه: "طبقات فحول الشعراء" إذ أورد فيه كثيرا من الملاحظات والآراء التي تدل على دراسته...".^{١٣} وحاول طه حسين - بناء على ما قد غرسه ابن سلام - تكذيب جميع الأشعار الجاهلية وإسنادها إلى الخرافات والافتراءات فهو بذلك يهدم مجد العرب وشرفا تعتز بها تلك الأمة وتفتخر لأن الأدب في كل أمة من الأمم وبخاصة ما فيه من نصوص رائعة من الآثار الفنية الممتازة يعتبر سجل مفاخرها ودليل مجدها ولا يخفى ما للأدب الجاهلي أيا كان نوعه من النثر والشعر من الروائع والقيمة والمميزات والفوائد

والأخبار مما يعطينا-نحن اللاحقين- صورة حياتهم العلمية وعباراتهم الفصيحة. وأما جحد هذه الحقائق والإدعاء بأنها انتحال أو القول بخرافاتها وافتراءاتها إقلاع لجذور مجد الأمة العربية وتحقير لجهود بذلها بعض الباحثين المحققين في جميع هذه الأشعار وإسناد كل منها إلى أبي عذرة خوفا من الإتلاف والضياع وليستفيد بها أجيال متعاقبة وبخاصة عند الدراسة عن الأدب العربي برمته.

وإذا قام اليوم أناس برفض الحقائق التاريخية المتعلقة بإنشاء علم النحو واحتكموا إلى أن ما حدث للعربية تغيير للاستعمال وإتيان لبعض الاصطلاحات فقط، وسؤال الباحث إلى هؤلاء هو أي استعمال يعنون؟ وإلى أي اصطلاحات يشيرون؟ وهل الذي جرى بين أبي الأسود الدؤلي وابنته عندما هي تسأل وقالت: ما أحسنُ السماءِ وبما صححها أبوها بقوله: قل ما أحسنَ السماءَ بفتح النون في أحسنَ والهمزة في السماء وهل هذا ما يسمونه بتغيير الاستعمال أم ما ذا؟ وهل المعنى واحد في "ما" الاستفهامية التي استعملتها البنت و"ما" التعجبية التي أمر باستعمالها الأب أو "ما" النافية لو قال المتكلم ما أجمل السماءَ بضم اللام في "أجمل" وضم الهمزة في السماء؟. وهذه من ناحية، ومن ناحية أخرى، علام تتعجب بعض الأعراب عندما بدأ علم النحو تنتشر في البلاد آنذاك إذا كانت لديهم لمسات نحوية موروثه من الجاهلية قبل ظهور جهود أولئك العلماء بعد الإسلام لوضع علم جديد تعين المسلمين العرب وغيرهم في فهم كتاب الله والنطق الصحيح في العربية، فمعظمهم يستغربون من هذا العلم وقت انتشاره لأنهم يتعرفون عليها للمرة الأولى، فهذا أعرابي مرّ بمجلس الأخفش (سعيد بن مسعدة) فسمع درسهم في النحو العربي فحار وعجب واستطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أبا العرب؟ فقال: "أراكم تتكلمون في كلامنا بما ليس فيه".¹⁴ فهذا القول يفيدنا علما ببطلان ما زعمه بعض الباحثين بأن النحو العربي ليس علما جديدا أنشئ، وإنما حدث فقط تغيير الاستعمالات والمصطلحات فذلك الأعرابي يقول: تتكلمون في كلامنا بما ليس فيه، ولذلك أجابه الأخفش بقول شاعر:

ماذا لقيت من المستعربين ومن ** تأسيس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية فيما يكون لها ** معنى يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا لحت وهذا الحرف منخفض** وذاك نصب وهذا ليس يرتفع

وحرصوا بين عبد الله واجتهدوا** وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم** وآخرين على إعرابهم طبعوا.^{١٥}

الفصل الثاني: النحو بين القديم والحديث النحو في القديم:

كان النحو العربي في أصالته التراثية يدرس مع القواعد والعوامل وله نظرياته وخواصه منذ القرن الأول والثاني الهجريين ولم يشكك الباحثون المحققون من علماء اللغة في أن السبب الرئيسي والعامل الحقيقي لإيجاده هو السبب الديني والعامل الإسلامي سوى ما يشم من قبل بعض المحدثين الذين ينكرون هذه الأسباب الدينية كما سبق القول. وهؤلاء المحدثون هم الذين قاموا بتخطيء الأساليب والقواعد التي وضعها الأقدمون في درس وتدريس علم النحو العربي، ويمكن حصر هذه الأساليب في النقاط التالية:

- جمع علم النحو والصرف في الدراسة والتأليف.
 - تناول علم النحو والصرف خلال هذه الكتب المؤلفة قبل أن يتطور الأسلوب.
 - إفراد علم الصرف بالتأليف نتيجة جهود بذلها العلماء الكوفيون وعلى رأسهم معاذ بن مسلم الهراء ثم المازني-إن صح القول-.
 - وضع قواعد وشروط لا يستغنى طالب هذا العلم عن اتباعها وهذه القواعد هي التي ترشده إلى الفهم الصحيح وتسمى: "القواعد النحوية".
 - جعلوا العوامل شيءًا لازماً وأثبتوا بأن كل معمول لا بد له من عامل.
- وهذه النقاط وما شاكلها هي الخطوات التي خطتها علم النحو أيام القدامى قبل مجيء المحدثين الذين أسسوا مواقف مختلفة لكل من هذه الأفكار القديمة والخطوات التليدة وسيتناول البحث-إن شاء الله- بعض هذه المواقف بالدراسة. ليقف القارئ على موضع التفرقة بين القدماء والمحدثين في النحو العربي.

يُرى الباحث في هذا الصدد الرمز إلى الفصل بين القديم والحديث في دراسة النحو العربي والتفرقة بينهما بتحديد الزمان والمكان لكي يدرك القارئ حقيقة هذا القديم بالذات وابتداء هذا الحديث الجديد.

فالقديم يشمل الباكورة الأولى للنحو العربي منذ القرن الأول الهجري بداية من أبي الأسود الدؤلي-على المشهور- إلى آخر القرن الخامس الهجري.

فبيندئ الحديث بالقرن السادس الهجري وذلك عندما أتى ذلكم الباحث القدير ابن مصاد بأفكار ينشرها وآراء يتدعها بدعوة جميع العلماء النحويين إلى تعديل بعض قواعدهم النحوية وتصحيح معظم شروطهم اللغوية وبدأ يخطّهم في أكثر قضايا نحوية وأخرج كتابه أخيراً سماه "الردّ على النحاة" وما زلنا نعيش العصر الحديث في النحو العربي منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا.

فالإحاطة بجميع مراحل مر بها النحو العربي في هذين العصرين (العصر القديم والعصر الحديث) وخطوات خطّها ومعاناة عاناها وحياة عاشها وتطور أصابه وتدهور لقيه في هذه الكراسة تكون من الصعوبة بمكان حتى لا يطيل الباحث على القارئ ويشغل بما لا يهّمه أكثر. وإذا أسلمنا أن علم النحو نشأ نشأة دينية وتطور تطوّراً تدريجياً من حيث مر بمراحل عديدة قبل بلوغ الكمال فالحديث عن هذه النقاط يحتاج إلى تفصيل عصر هؤلاء العلماء إلى ثلاثة، فهي:

- العصر ما قبل سيبويه

- عصر سيبويه

- والعصر بعد سيبويه

وإذا قيل: النحاة الأقدمون أو النحو العربي في القديم فقد شمل هذه العصور الثلاثة وهناك تشابهات واختلافات عايشها النحو العربي وعاناها في هذه العصور وتجدد الإشارة إلى هذه التشابهات وتفصيل القول عن تلكم الاختلافات حتى يعم البحث بما لدراسة النحو العربي القديم والتأليف فيه من الجوانب.

العصر قبل سيبويه

وهناك حركات نحوية وصرفية أنتجها العلماء واستدراكات لغوية أدرك بها النحويون في سبيل إنشاء علم النحو وترسيخ قدمه وبت فوائده وتأييد شرفه ووضع قواعده وأصوله قبل مجيء سيبويه وتأليف كتابه فمعظم الدارسين يظنون بأن سيبويه أول من ألف في النحو العربي ويؤمنون بأن جهود العلماء في النحو قبله جهود لا يعتد به فكأن هذا العلم عند هؤلاء بدأ وانتهى بسيبويه لشهرته المنقطع النذير، وفضل وتبجيل كتابه، وتتمحور هذه الحركات النحوية بعد إنشائه في عمليين هما:

أ- **نقط الإعراب والإعجام:** فوضع علم النحو العربي-على المشهور-أبو الأسود التابعي هو الذي وضع نقط الإعراب في القرآن الكريم لأن العرب قبل ذلك كانوا يكتبون بدون نقط ولا شكل لعدم اختلاطهم لغيرهم وعدم حاجتهم إلى ذلك وبعدهما وضع أبو الأسود هذه النقط جاء تلاميذه ووضعوا نقط الإعجام قبل أن يدل الخليل نقط الإعراب بالشكل والحركة لكثرة النقاط على الحروف والتباسها وأبقى نقط الإعجام كما هي. قال السيرافي: "فقال أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه فإن ضمنت فمى فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين فهذا نقط أبي الأسود".^{١٦} وعلى رأس هؤلاء التلاميذ الذين أضافوا جديدا إلى أعمال أستاذهم نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر^{١٧} وفُرق بين جهود أبي الأسود وجهود تلاميذه من حيث أطلق أخيرا نقط الإعراب على ما فعله الأستاذ ونقط الإعجام على ما زاد به التلاميذ فاختراع الخليل بإبدال نقط أبي الأسود بالشكل وإنشاء ما يطلق عليها اليوم بالفتحة والكسرة والضمة والسكون^{١٨} هو ما بقي على الصورة التي نشاهدها.

ب- **وضع القياس والتعليل**

القياس كما عرفه ابن الأنباري هو: "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه".^{١٩}

ويعتبر القياس أول أدلة نحوية أصولية اعتمد عليها النحويون عند إصدار الحكم وظهر هذا اللون العلمي منذ أولية نشأة النحو العربي من لدن أبي الأسود الدؤلي على أحد القولين المشهورين فيثبت الأول بأن أبا الأسود الدؤلي هو الذي أسس القياس في النحو العربي فجميع ما قدمه النحويون للقياس بعده إنما هي إضافات وزيادات وسقي لما قد غرسه أبو الأسود ويرجع فضل تأسيس القياس إليه لا إليهم، قال ابن سلام الجمحي في الطبقات: "... أول من أسس العربية وفتح بابها وأنجح سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي...".^{٢٠}

وإمعان النظر إلى ذلكم النص الجمحي ندرك ما يفيدنا به صاحبه وذلك أن أبا الأسود هو الذي وضع اللبنة الأولى للقياس وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن ابن سلام عاش في زمن أقرب إلى زمانهم وأوسع له أن يأخذ الخبر ممن يوثق بهم وهو من علماء القرن الثاني الهجري بيد أنه توفي في القرن الثالث الهجري.

وأما الفريق الثاني فيزعمون بأن عبد الله بن أبي إسحاق هو الذي أتى بالقياس لجهود بذلها هو وتلميذه عيسى بن عمر الثقفي في سبيل رفع رؤية هذا العلم والذي اعتمد عليه هؤلاء هو ما ذهب إليه معظم العلماء في قولهم: "... وأقدم هؤلاء النحاة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي عدّه ابن سلام صاحب طبقات الشعراء أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل".^{٢١} وهذا القول حمل بعض الباحثين على إسناد وضع القياس إلى ابن أبي إسحاق الحضرمي وخاصة جملة "... ومدّ القياس وشرح العلل...". حيث فهموا كلمة مدّ إلى وضع وإنشاء، قال إلياس: "يكاد ظهور القياس في النحو يقترن باسم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي المتوفى ١١٧ هـ وذلك في الكلمة المشهورة التي قالها فيه ابن سلام ورددها من بعده آخرون وذلك وصفه إياه بأنه "أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل".^{٢٢}

ويتفق هذا النص مع ما ذهب إليه الباحث في السبب الذي أدّى بهذا الفريق إلى موقفهم هذا.

وكلّ هذا وذاك ينبئ بأن القياس والعلل قد وضع قبل مجيء سيبويه وتأليف كتابه ومن عمل في القياس قبله وأسهم فيه إسهاما كبيرا حتى سجّل له التاريخ أدوارا هامة الخليل بن أحمد

الفراهيدي الذي يعتبر أكبر شيوخ سيبويه حتى أجمع مترجموه على وصفه بأنه الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائله وتعليله، وأطلق ابن جني عليه صفة كاشف قناع القياس في علمه.^{٢٣} ومن هذه الحركات قبل سيبويه ظهور السماع والنقل وبداية التأليف النحوي واعتد العلماء النحويون تقديم السماع على القياس في الترتيب الاستدلالي لشموليته الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلا أن الباحث في هذا الصدد قدم القياس نظرا لأقدمهما ظهورا واهتماما عند النحويين. وقال الإمام السيوطي في تعريفه للسماع: "... وأعنى به ما ثبت في كلام من وثق بفصاحته فشمّل كلام الله تعالى وهو القرآن وكلام نبيه ﷺ وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظما ونثرا عن مسلم أو كافر".^{٢٤}

فكأن الإمام السيوطي يخبرنا بهذه العبارة عن شيئين: الأول ماهية السماع والمراد به لدى العلماء النحويين ومن أين يؤخذ، والثاني سبب تقديم السماع على القياس في البيان لأنه ذكر القرآن أولا من الأشياء المعتمد عليها عند الاستشهاد والاحتجاج.

ولقد بدأ ظهور النشاطات والروايات التي تعد ملامحا للسماع والنقل منذ أوائل القرن الثاني الهجري على يد أبي عمرو بن العلاء بحيث يعد أبرز أوائل الرواة الذين رحلوا إلى البادية لاستنطاق الأعراب والاستماع إليهم ووعي فصاحتهم وتكاد كتب التراجم تجمع على أنه أشد تسليما للعرب.^{٢٥} ومما يؤيد هذا الموقف ما أثبتته ابن سلام بقوله: "وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريدا للقياس وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغربها".^{٢٦} ولم يحظ هذا النوع العلمي بعناية النحاة كدليل نحوي كما فاز بذلك القياس وإنما اعتنى به اللغويون أكثر من غيرهم ولو يندر وجود لغوي محض في هذا الوقت إلا وله إمام - ولويسيرا - بالنحو العربي، وبعبارة أوضح، فمعظم اللغويين هم النحويون في هذا القرن ولذلك تجد مؤلفاتهم النحوية تشمل شيئا من علوم اللغة والأدب.

وأما الإجماع الذي يعد ثالث قواعد اعتمد عليها أصول النحو فيوجد آثاره قبل سيبويه وخاصة عند أستاذه الخليل "وكان ذلك مأخوذاً به منذ عصر الخليل بن أحمد حين تعددت المجالس العلمية بالبصرة...".^{٢٧}

ومن المراتب التي قد صعد إليها النحو العربي قبل سيويه هي مرتبة التأليف، هذا؛ ولقد أثبت التاريخ بأن علم النحو العربي قد رسخ قدمه ونبتت أجنحته وأينعت ثماره حتى بلغ مبلغ التأليف، وخلف علماءه تراثا ضخما لدارسيه منذ أن انبثق نور هذا العلم في القرن الأول الهجري إلا أن يد الضياع قد غالت على هذا التراث العلمي وضاعت أكثر بل جميع هذه المؤلفات القيمة ولم يبق منها إلا أسماء ولم نسمع لها إلا ذكرا ولعل السبب في ذلك قد يرجع إلى عدم اعتناء المسلمين بتراث علمائهم اعتناء يحميها من أن تأكلها الأرضة ويحتفظونها احتفاظ الأم الحنونة لقرعة عينيها ويراقبونها رقبتهم لأعيادهم. والله أعلم بما قد يستفيد الأجيال من هذه الكتب "لكن مع الأسف لم نجد من هذه المؤلفات سوى الاسم أو مناظرات علمية، أو مناقشات نحوية بين النحويين والشعراء في نقدهم وتخطئتهم كما جرى بين ابن أبي إسحاق والفرزدق".^{٢٨}

ومما يؤيد ما ذهب إليه الباحث من وجود علماء لهم مؤلفات قيمة قبل سيويه ما قاله الخليل بنفسه:

بطل النَّحْوُ جميعاً كُلُّهُ ** غير ما أحدث عيسى بن عمر
 ذاك إكمال وهذا جامع ** فهما للناس شمس وقمر
 وهما بابان صارا حكمة ** وأراحا من قياس ونظر.^{٢٩}

والمتأمل لمعنى هذه الأبيات يجد ما يسمنه ويغنيه من جوع صور بعض هذه المؤلفات ولذلك لن تجد باحثا حقيقيا ومؤرخا نحويا يشير إلى كتاب سيويه كأول كتاب نحوي إلا ويضيف إلى عبارته (...وصل إلينا...) وهذا يفيدنا أن هناك كتباً نحوية أخرى لم تصل إليهم، ومن أهم هذه الكتب ما نجا من الضياع وبقي في أيدي الناس إلى يومنا هذا وظل طلاب العلم يتدارسونه فيما بينهم وهو كتاب الجمل في النحو.

وهذا الكتاب أي "كتاب الجمل في النحو" ألفه الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وهبه الله ذكاء خارقاً وفطنة كانت تضرب به المثل في عصره وهو بمثابة همزة الوصل بين سيويه وسابقه إذ الخليل لازم أستاذه الذين هما عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء ملازمة الأجساد بالأرواح وهضم ما عندهما من العربية وخلعها على سيويه كما أخذها. وترك للغة العربية تراثاً قيماً

وآراء نحوية ظلت آثاره تبقى إلى قيام الساعة أورد تلميذه المشهور (سيبويه) معظم آراءه في كتابه بعد ما قد نشر الخليل معظمها في كتاب الجمل، والكتاب في جزء واحد بدأ بباب وجوه النصب وانتهى بفصل في الفرق بين أم وأو. ولذلك قال المؤلف في البداية:

"هذا كتاب فيه جملة الإعراب... وقد ألفنا هذا الكتاب وجمعنا فيه جمل وجوه الرفع والنصب والجر والجزم... إلى أن قال: فمن عرف هذه الوجوه بعد نظره فيما صنفناه من مختصر النحو قبل هذا، استغنى عن كثير من كتب النحو ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد بدأنا بالنصب لأنه أكثر الإعراب طرقاً ووجوهاً".^{٣٠}

عصر سيبويه

بدأ عصر سيبويه بعصر الطبقة الرابعة من علماء البصرة—حسب تقسيم الطنطاوي— ويناسب عصر الطبقة الثانية لدى علماء الكوفة النحويين بعد أبي جعفر الرُّاسي ومعاذ بن مسلم الهراء فسيبويه والكسائي معاصران وفي هذا العصر لبس النحو ثوبا جديدا لجهود بذلها سيبويه خاصة وعلماء البلدين عامة. فهذا سيبويه ينشر آراء نحوية صافية أخذها عن شيوخه بما فيهم يونس بن حبيب والخليل بن أحمد الفراهيدي وكان يسافر إلى بوادي الحجاز وغيرها للاستماع إلى الأعراب الأقباء والأخذ عنهم ویرسوخ قدم علم النحو في هذا العصر وانتشاره بين الكوفيين والبصريين بدأت المؤلفات تتكثر والآراء تتوسع والاختلافات تنشأ لأن العصر قبله لا هناك ما يسمى بالنحو الكوفي وبجهود بذلها أبو جعفر الرُّاسي بعد ما قرأ النحو على علماء بصرة وتأليفه لكتابه المعنون بـ"الفيصل" ويعاصره معاذ بن مسلم قبل الكسائي الذي خلف ورائه كتابين جليلين في النحو العربي هما: مختصر النحو، وكتاب الحدود في النحو. وفي هذا الوقت يتوسع الكوفيون في القياس والاستماع ليشكلوا بذلك مدرسة مستقلة.

ومن أفضل ما ألف في هذا العصر كتاب سيبويه الذي عاقه منيته عن إتمامه فضلا عن إطلاق العنوان عليه فالنحو قبله مسائل متفرقة وقضايا مشتتة حتى جاء وجمع هذه المسائل وهذه القضايا مع إسناد كل رأي إلى صاحبه وإضافة فكرته الخاصة وإظهار موقفه وأطلق عليه "الكتاب"، بعد وفاته نظرا لما فيه من الآراء والأفكار النحوية التي أعجزت جميع ما سبقه في

الميدان حتى أدى بهم إلى تلقينه بقرآن النحو. وكل ما يسند إلى الكتاب من الأقوال الرديئة التي تشبه الطعن والأوصاف المنفرة، منها أنه صعب التناول وكثرة الغموض مصطحبة بالإطالة المملة والاصطلاحات المخوفة والتكرار المسئوم وقل من يقرئه ويخرج منه بشيء أو أشياء ومن ذلك ما قاله أبو عثمان المازني: "... قرأ علي رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال لي: أما أنت فجزاك الله خيرا وأما أنا فما فهمت منه حرفا"^{٣١}، ومع محاولة النحويين لشرح هذا الكتاب منذ القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا لا يزال الدارسون يشتكون صعوبته ويستوعرون فهمه وكادوا يغلقون بابه ويمكن حصر جميع النقاط التي أدت بالناس إلى هذه الأقوال في ثلاث:

الأول: أسلوب التأليف حينذاك والمصطلحات السائدة في ذلك العصر: وكل من اطلع على مؤلفات ذاك الزمان يجد ما ذهب إليه الباحث فالإنسان ابن بيئته وحليف زمانه فسيبويه عاش في زمن يتعايش أصحابه مع هذا الأسلوب فمعظم الموضوعات المعروفة اليوم في علم النحو العربي ما كانوا يطلقون عليها هذه الأسماء، وبعبارة أخرى ما هكذا يرسم الموضوعات النحوية عند القدماء إن هي إلا أسماء سميتموها وإلى هذا يشير القوزي عندما يتكلم عن التهيئة لظهور الاصطلاحات النحوية وهو يقول: "في هذه المرحلة لا يطمع الباحث أن يجد اصطلاحات نحوية ناضجة ومستقرة فعلم النحو فيها لا يزال ينمو ويسير حثيثا نحو التميز والاستقرار"^{٣٢}.

وبتعاقب الأجيال النحويين تستقر عروق النحو ويستزيد بيانه فمثلا "باب الاشتغال" ما هكذا يدعي عند الأوائل إنما المتأخرون هم الذين اخترعوا هذا الاصطلاح النحوي لذلك قيل: "... ما كان لأحد من علماء هذه الفترة (ما قبل سنة ١٥٤ هـ) أن يقول به (أي باب الاشتغال) كاصطلاح علمي أصبح عند المتأخرين يقوم على ثلاثة أركان هي: مشغول عنه، ومشغول، ومشغول به"^{٣٣}، وجملة القول: إن سيبويه وضع كتابه على أسلوب يناسب أذواق معاصريه.

الثاني: ابتلي الباحثون بعدم إدراك بعض آراء أوردها سيبويه في كتابه وفهم بعض مراده ولذلك ترى من يسنده إلى الغموض حيناً وتجد من يبرر له بعد البحث العميق والفحص الشديد والنظر الدقيق حيناً آخر.

ولننظر مثلا ما يتداولها شراح هذا الكتاب منذ قرون من أن جميع الأبيات المتواجدة فيه ألف وخمسون بيتا وخمسون من هذه الأبيات مجهولة القائل واشتهر هذا القول حتى قلما تجد من يكتب شيئا عن سيبويه وكتابه إلا ويثبت هذا القول حتى جاء أخيرا في هذا العصر باحث نحوي يقال له رمضان وادّعى بأنه حصل على أصحاب بعض هذه الأبيات المجهولة القائل في كتاب سيبويه بعد بحث عميق وقال: "... وكنت ممن اعتقد هذا الكلام بعد أن قرأته في أيام الطلب منذ سنين، ولذلك كنت أسر غاية السرور عندما أعرثر على نسبة بيت مجهول القائل عند سيبويه في كتاب من كتب اللغة والأدب وكنت أظن في كل مرة أن عدد الخمسين بيتا يتناقص شيئا فشيئا...". وظل هكذا إلى أن قال: "... وظننت بعد مدة أنني كدت أقضي على هذه الأبيات الخمسين نسبة عزوا فأردت أن أحصي ما تبقى في الكتاب من الأبيات التي لم أعرثر على نسبتها طوال السنين الماضية وكان ظني أنها لن تتجاوز العشرين".^{٣٤}

وبقراءة متأنة لهذه النصوص الواضحة المنقولة يكفي الباحث عن مؤنة الشرح والبيان بعدها.

ومما يؤيد ما يدعو إليه البحث من أن من القارئ لكتاب سيبويه من يخنه فهم بعض النقاط ويحكم عليه بالغموض والصعب ما سجله الدكتور شوقي في كتابه وهو ينقل إلينا بعض العبارات من كتاب سيبويه وقال: "... ما أغفله عنك شيئا"، وظل النحاة حتى عصر المبرد لا يدرون معنى العبارة ولا يعرفون بالتالي موضع حذف الفعل حتى جاء الزجاج فقال إن العبارة تعليق على كلام تقدم كأن قائلا قال: زيد ليس بغافل عني فأجابه صاحبه ما أغفله عنك شيئا".^{٣٥}

الثالث: أضف إلى هاتين النقطتين أن سيبويه ليس من المعمرين طويلا ولو عمّر أكثر يمكن أن يضيف أشياء أو ينزع منه أشياء، الأمر الذي أدّى به إلى أن لا يكون للكتاب مقدمة ولا خاتمة ومن عرف الاسم الذي أراد صاحب الكتاب أن يخلع على تأليفه لو عاش بعده قليلا وجميع الأخبار الواردة تنبئ بأن سيبويه لما انتهى من هذا المصنف حتى جائه الأجل والأخفش سعيد بن مسعدة الذي يعتبر أكبر تلاميذه هو وغيره هم الذين أطلقوا اسم الكتاب عليه وسنة

الكون المعروفة تقضي بأن المنية لو تأخرت عن سيبويه قليلا لم يخرج هذا الكتاب على هذه الصورة التي نشاهدها وناهيك من هذا وذاك ما قاله العلامة الإلوري نقلا عن الأصفهان في مقدمة لسان العرب قال: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".^{٣٦}

وقد ظلت محاولة سيبويه في بيان المجهور والمهموس من الأصوات قانونا سار عليه جميع من بعده من النحاة والقراء إلى أن جاءت بحوث المحدثين فصدقت كثيرا مما قاله سيبويه في هذا المجال فعلماء الأصوات والفونولوجيا العربية يستمدون أحكامهم ومراجعهم من قواعد رسمه سيبويه قبلهم ولذلك لا يستغنى عن هذا الكتاب كل من علماء النحو والصرف والأصوات والقراءات وجميع علماء اللغة لأنه استوعب جميع هذه الجوانب.

النحو العربي بعد سيبويه

لا شك أن النحو قد تطور بعد سيبويه فزادت عليه مسائل ودخل عليه أفضل تنظيم وأقوم تبويب وأدق تصنيف لكن مع ذلك لم يخرج عن إطار المنهج الذي رسمه سيبويه وسابقوه في استنباط الأحكام واستخراج المسائل وتوضيح العلل من أمثال القياس والعلل والسماع والنقل وغيرها وقد نحا التأليف النحوي منحى جديدا وبدأ الدارسون ينتقلون من الصعب إلى السهل وإلى الأسهل لأن النحو ما زال في مرحلة النشوء والنمو في عصر سيبويه.

وفيما بعده بقليل بدأ النحو يرتقي إلى مرحلة النضوج والكمال- في أرجح الأقوال- وبدأت المؤلفات النحوية تتضاعف وتتكاثر وأساليبيهم في التأليف يتغير من حيث يسهل على القارئ فهم المضمون وإدراك المراد، فهذا المبرد في كتابه **المقتضب** رتب موضوعات الكتاب بأسلوب جذاب وعبارات واضحة حيث يعرف القارئ ما يعالجه بمجرد النظر إلى العنوان أو الموضوع وابتدأ الكتاب بباب الفاعل^{٣٧} ويليه باب حروف العطف بمعانيها وباب من مسائل الفاعل والمفعول به خلافا لسيبويه الذي يصف الموضوع وتتداخل بعضها مع بعض أما المبرد فلم يخلط الحابل بالنابل مع قرب عهده بعهد سيبويه لأنه عاش في القرن الثالث الهجري. ومع هذا

وذلك لم يبلغ أسلوب التأليف قمته-إلا أنه يتطور تدريجياً-حتى جاء ابن السراج الذي انتهى إليه رئاسة علم النحو بعد المبرد والزجاج وألف كتابه المشهور: "الأصول في النحو" في ثلاث مجلدات فكأن ابن السراج هذا هو الذي أكمل ما بدأه السابقون من أسلوب التأليف وسدّ فراغا تركوه وملاً ثلثة حفروه حتى وصفه العلماء بأوصاف محمودة متنوعة وأثنوا عليه وعلى كتابه منها: "أصبح (الأصول في النحو) المرجع إليه عند اضطراب النقل واختلافه" وفيها أيضاً: كان النحو مجنوناً فعقله ابن السراج بأصوله".^{٣٨}

ومن قبل هؤلاء الجرمي وأبو عثمان المازني الذان قرآ كتاب سيويه على سعيد بن مسعدة الأخفش واعتنيا بالأبنية الصرفية إلى أن صار الباحثون يسندون أول كتاب صرفي إلى المازني وإن كان في ذلك نظر لأنّ ابن عزيمة ذكر بعض الكتّاب الذين ألفوا في الصرف قبل المازني ورتّبهم بحسب سنة وفياتهم وجاء دور المازني في الرقم الثالث وأطلق عليهم عنوان: "المؤلّفون الذين أفردوا الصرف بتأليف مستقل".^{٣٩} ومن هذه المؤلّفات الصرفية:

١- كتاب: علي بن المبارك الأحمر الكوفي المتوفى سنة ١٩٤هـ وقال ابن عزيمة بأنه "صنف في التصريف".

٢- وأيضا ذكر يحيى بن زياد المعروف بالفراء^{٤٠} المتوفى سنة ٢٠٧هـ ثمّ بعد المازني زميله أبو عمر الجرمي الذي اعتنى بالأبنية الصّرفية قبله أيام تلمذها أمام الأخفش، وأثبتت الحقائق التاريخية أنّه ألف في ذلك كتبا كثيرة لم يبق منها اليوم إلا الأسماء.^{٤١}

ولعلّ هذه الواقعة التي وقعت على كتب الجرمي الصرفية هي التي حملت معظم الباحثين على تعقيب القول بـ: "أول كتاب تصريفي وصل إلينا" عند الحديث عن كتاب التصريف للمازني إذ لا يمكن الاعتماد على الذي لا يصل. وهذا الكتاب أي "تصريف المازني" عالج معظم المسائل الصرفية المهمّة ابتداء من أبنية الجرّد، ومروراً بأقسام الفعل المعتلّ، ومضارعها واسم فاعلها ومفعولها ومسجّلا بما يتعرض لها من الإعلال ومتطرّقاً إلى قضية الأجوف ومتكلّماً عن بعض أمثلة القلب المكاني، ومما زاد الكتاب شهرة وجمالة قيام أبي الفتح عثمان بن جني بشرحه وبيانه وعنون شرحه بـ: "المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني". وعلاوة على هذا، فمحاولة

فصل علم الصرف عن النحو يرجع فضله إلى معاذ بن مسلم الهراء لأنه أول من اعتنى بهذه الأبنية الصرفية بعد ما قرأ علم النحو على علماء بصرة وإن لم يصنّف في ذلك كما بنى الإمام السيوطي رحمه الله حكمه على هذه النقطة وإن كان شوقي ضيف يثبت ما يشبه الإنكار فهناك نصه: "... وبنى السيوطي على هذا الخبر أنه واضح علم الصرف والخبر لا يسنده كتاب وضعه في هذا العلم".^{٤٢}

ومن الجهود النحوية التي قد تمّ غرسها خلال عصر المتقدمين -حسب تقسيم الباحث- إنشاء العنصر الرابع تكملة للعناصر التي تكوّن منها أصول النحو وهي القياس/التعليل، السماع/النقل، الإجماع بقسميه: إجماع العرب وإجماع البلدين، ثم الاستصحاب وليس للمحدثين دخل في هذا كماهم بريئون من وضع المنظومات النحوية وإن كان لهم إسهامات في هذا وذاك وإنما يرجع فضل التأسيس والأولية إلى القدماء. لأن هذه المنظومات ظهرت محاولتها الأولى في القرن الرابع الهجري على يدي أحمد بن منصور اليشكري وذلك إذا أهملنا ما قدمه المازني في محاولة جمع حروف الزيادة العشرة المشهورة بـ"سألتمونيها/اليوم تنسأه" في بيت شعري واستعملها في جملة أخرى هي: هويت السمان وقال:

هويت السمان فشيبتي* * وقد كنت قدّما هوثُ السّمانا.^{٤٣}

وهذه المحاولة ضيئة جدا لعدم انتشارها في ذلك الوقت ولذلك ترى الباحثين يرجعون وقت التأسيس للنظم النحوي إلى القرن الرابع الهجري. ويعتبر ما قدمه اليشكري فيما يتعلق بوزن (الغزاة والرماة والقضاة) ونحوها كمحاولة أساسية للنظم النحوي وهي على وزن فَعْلَةٌ أو فُعْلَةٌ أو فَعْلَةٌ أو فَعْلَةٌ وقال في قصيدة مطلعها:

والوزن في الغزاة والرماة* * في الأصل عند جملة الرواة
فَعْلَةٌ ليس لها نظير* * في سالم من شأنه الظهور
وآخرون فيه قالوا فُعْلَةٌ* * كما تقول في الصحيح جملة.^{٤٤}

النحو العربي لدى المحدثين:

مما لا يختلف فيه اثنان ولا يتجادل عنه الباحثون أن ابن مضاء أول من أقام ثورة علمية جديدة على النحو العربي ودعى إلى إلغاء بعض النقاط التي وضعها سابقوه من أمثال القياس على أحد القولين كما في كتاب "العامل والأثر في الدرس النحوي" والعامل والتقدير وغيرها نتيجة تطبيق مذهبه الظاهري في الفقه على النحو العربي لما أثبتته معظم الباحثين وإن كان في ذلك نظر وأدى به ذلك إلى إصدار كتاب مشهور آثار ضجة كبرى وأشعل نارا ملتهبة ما زالت تتوقد من ذلك الحين إلى وقتنا الحاضر ولقي هذا الكتاب المعنون بـ"الرد على النحاة" حفاوة بالغة وقبولاً شديداً من جانب الذين في قلوبهم شيء عن علم النحو العربي وردّاً عنيفاً واعتراضاً شديداً من جانب الذين آمنوا بإيمان العجوز بكل ما جاء من السابقين وأن اللاحقين ما لهم دخل فيما رسمه ووضع السالفون.

وهناك اضطرابات واختلافات بين الباحثين في بعض النقاط عن ابن مضاء منها أنه تمذهب بالمذهب الظاهري وأنه أعلن هذا المذهب وأتى بفكرة الرد على النحاة المتقدمين لإرضاء خليفة الموحدين الثاني لاتصاله به.

ولعلّ سيادة المذهب الظاهري وانتشاره في عصر عاش فيه ابن مضاء لجهود بذلها ابن حزم الظاهري المشهور وغيره هو الذي أدى بمعظم الباحثين إلى القول بأن ابن مضاء تأثر بالمذهب الظاهري لأن الباحث يرى من العلماء ومن الكتب ما تخالف هذا الزعم فهذا ابن فرحون ذكره في كتابه وعده من العلماء المالكيين ولو كان ظاهرياً لم يجمعه مع علماء المالكية، وابن فرحون نفسه مالكي ولذلك أبي أن يذكر أسماء علماء المذاهب الأخرى وعلى هذا قال في مقدمة كتابه: "وقد ذكرت في هذا المجموع الوجيز من مشاهير الرواة وأعيان الناقلين للمذهب... إلى أن قال... بدأت بمقدمة تشتمل على ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده".^{٤٥}

إضافة إلى أن معظم المؤرخين الأقدمين لم يذكروا بأن ابن مضاء تأثر بالمذهب الظاهري فضلاً عن أن يكون ظاهرياً والذين يكتبون عنه من المحدثين هم الذين يدعون هذا الزعم، وكذا قولهم بأنه يطلب رضى خليفة الموحدين لأنه يرحّب بالظاهرية باطل إذ الموحدون أنفسهم ليسوا

ظاهرين وخير شاهد على هذا هو مجموعة الكتب التي ألفها رئيس الموحدين المهدي بن تومرت خالية من الأفكار الظاهرية ونرى فيها ما يدعو إلى القياس ومدحه الذي هو أول ما يجاربه الظاهريون.^{٤٦}

واحتج هؤلاء أيضا بأن ابن مضاء خالف القياس النحوي وردّه ليظهر جليا تأثيره بالمذهب الظاهري لأنهم يجاربون القياس ويخرجونه من أصول التشريع الإسلامي وعدّ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام في "خطيبه" القياس من القضايا النحوية التي ردّ بها ابن مضاء على النحو التقليدي وهذا القول فيه نظر لخلو كتاب ابن مضاء عن ما يشير إلى ما ذهب إليه هذا البروفيسور ولذلك قال صاحب كتاب "العامل والأثر" عندما يخلص ابن مضاء من قيود انتمائه إلى المذهب الظاهري "... فإنه وإن ثار على بعض أصول النحو العربي كما ثار الظاهريون على أصول الفقه، لم يدع إلى إلغاء القياس والعلل مثلا كما سنرى في الفصول القادمة".^{٤٧}

فالذي يغنيننا عن الوقوع في الظنون من هنا وهناك تسليم الأمر لصاحب الفكرة الجديدة في النحو العربي لأنه قد برهن لنفسه وأرجع سبب تأليفه لذلك الكتاب وإتيانه لهذه الأفكار إلى أمور يريحنا من تعب البحث ويشفيننا من داء التجسس وقال بنفسه: "وإني رأيت النحويين-رحمة الله عليهم- قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي رموا وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها، ووهنت مبانيها... ثم قال أيضا: قصدى في هذا الكتاب أن احذف من النحو ما يستغنى النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه".^{٤٨}

وهذا النص يكفي جوابا لمن يبحث عن داعي ابن مضاء إلى ما ذهب إليه في الرد على النحاة الأقدمين.

وتعتبر نظرية العامل أكبر النظريات النحوية مكروهة ومردودة لدى النحاة المحدثين لأنها هي أول ما خالف ابن مضاء بها المتقدمين وتبعه في ذلك جميع من بعده من المنكرين لجهود بذلها الأقدمون في وضع هذه النظرية واحتكموا إلى القول بأن النحاة الأوائل تأثروا بفلسفة أيامهم

وخاصة بالمنطق الأرسطي ويذهبون في ذلك مذاهب شتى، منهم من يرى أن هذا الاتصال قد بدأ منذ أيام الخليل بن أحمد الفراهيدي ولأن عبد الله بن المقفع (المتوفى سنة ١٣٩هـ)، هو الذي ترجم كتب أرسطو الثلاثة^{٤٩} إلى العربية ولا يخفى ما بين الخليل وابن المقفع من علاقة متينة. ولهذا تأثر الخليل بجهود صديقه واستفاد منها وطبق معظم الآراء والأفكار المتواجدة فيها على النحو العربي إلا أن الدكتور عبده فند هذه الحجة بنقاط تظهر لنا عدم صحة هذا الادعاء وهو بالذات لا ينفي الاتصال سوى أنه عارض هذا القول اعتمادا على ما أثبتته بول كراوس بأن محمد ابن عبد الله المقفع هو الذي ترجم الكتب، وليس أباه وأضاف بأن هذه المحاولة تلخيص لبعض شروحها ولا تعتبر ترجمة لها وإنما حنين بن إسحق هو الذي قام بها في القرن الثالث الهجري.

وأسماء هذه الكتب هي: قاطاغورياس، باري أرمنياس، وأنولوطيقا. ثم احتج بنقطة تختلف عن هذه وتلك هي أن هذا الاتصال ظهر جليا في ثلاثة أمور: التعريف، التعليل، وآراء أرسطو في بعض ظواهر اللغة^{٥٠} وقارن بين تعريف أرسطو وتعريف النحاة للموضوعات النحوية.

ومن أدلة المحدثين على أنّ النحو العربي اقتدى بالمنطق وتأثر به هي تقسيم علماء المنطق الكلام إلى ثلاثة: الاسم، الفعل، الرابطة، ولا يخفى ما في هذا التقسيم من تشابه تقسيم النحاة للكلام أيضا إلا ما أطلق عليه المنطقيون بالرابطة وعند النحاة الحرف، وفي القرون المتأخرة سمو الحرف رابطة ليتم التشابه وكأن النحاة نقلوا فكرة هذا التقسيم من كتب المنطق، وحكموا بأن المعاني ثلاثة: "ذات، وحدث، وربطة، فالذات الاسم والحدث الفعل والرابطة الحرف".^{٥١}

ومما يثبت دعواهم عن وجود صلة قوية بين النحو التقليدي والمنطق الأرسطي وجود قاعدة العامل والمعمول عند أرسطو حين قال بأن وراء كل معلول علة^{٥٢} واشتد بالأقدمين في هذه النظرية إلى الاعتقاد بأن العاملين قد يوجد في معمول واحد، وإذا وقع ذلك يتأثر عامل واحد في اللفظ والثاني في الموضوع ولهذا خلقوا باب التنازع وفي هذه الأشياء اعتساف وتعقيد في نظر المحدثين. ومهما يكن من شيء فإن المنطق الأرسطي من أقدم العلوم وجودا في الساحة وقت بداية نشأة النحو ولا هناك حجة قطعية تثبت بأنّ النحو العربي تأثر بهذا المنطق بطريق مباشر سوى ما سجّله الأبحاث العلمية من اتصال العرب بالمنطق الأرسطي من وجهين:

الأول: ما قدّمه النّحاة السرياني

والثاني: ما تُرجمت من هذا المنطق إلى اللغة العربية^{٥٣}-ولو كانت الروايات تضطرب في أسماء المترجمين أحياناً-، وهذا ما حمل بعض الناس على الإيمان بأن النّحو العربي لا بدّ من أن يتأثّر بهذا المنطق ما دام هو من العلوم المنتشرة في ذلك الوقت ومن المعارف التي استفاد منها العرب بكثير حتى قاموا بترجمة كتبه إلى لغتهم.

أضف إلى هذه كلّها أنّ النحو نشأ في العراق ولا يخفى في كتب التاريخ ما سجّلت بأنّ هذه المدينة كانت مركز السريانيين وموطنهم ومقرّ حضارتهم حتى هي مركز النهضة الثقافية ومأوى الترجمة والتأليف حينذاك وهؤلاء السريانيون قاموا بتدريس نحوهم وألفوا فيه كثيراً وخاصة في أوساط القرن الخامس الميلادي كما أشار إلى ذلك الأستاذ جورجى زيدان في تاريخه لآداب اللغة العربية حتى أطلق "مفسر الكتب" على الأسقف يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٦٤٠م لمجهوداته المضنية في تأليف الكتب. فهؤلاء العرب قد خالطوا السريان والعراق وقرؤوا في كتبه وأطلعوا على آدابه وفي جملتها النحو، ولذلك نسجوا ذلك المنوال في تقسيم الكلام.^{٥٤}

ومن رؤساء المحدثين الذين رفضوا نظرية العامل بعد ابن مضاء: إبراهيم مصطفى وإبراهيم أنيس، ومهدي الخزومي، وتمام حسان ثمّ محمد حماسة عبد اللطيف ويوسف الحمادي الذي يرى بأن نظرية العامل يخرج بالنحو من وجوهه وظلاله الطبيعية وعاشت في إطار الفلسفة وهؤلاء ومن على شاكلتهم من المحدثين لم يكتفوا بإلغاء هذه النظرية فحسب بل تجاوزوا إلى إلغاء التقدير والحذف إلا شذمة قليلون، منهم أمثال إبراهيم مصطفى الذي يرى بأن التقدير موجود ومحجوب في كل لغة ويفيد الكلام أحيانا غير أنه عاب على النحو التقليدي تقديرا يجتلب لتكامل نظرية العامل التي وضعوها ويسمونه بالتقدير الصناعي و"هو ما يراد به تسوية صناعة الإعراب".^{٥٥}

وعاب عليهم هذا النوع التقديري أيضا لتوسعهم في ذلك أكثر من اللازم، ومن زعم المحدثين في النحو التقليدي هو أن هناك أبوابا نحوية تجب أن تجمع حتى لا يكثر الأبواب ويسم الدارسون من تعداد الأقسام، منها: باب الضمة التي هي علم الإسناد والمبتدأ والفاعل ونائب الفاعل يجب أن تجمع في باب الإسناد، فالمتقدمون يرون خلاف ذلك لأن لكل من هؤلاء

أحكام تخصه ومميزات تناسبه فالمبتدأ مثلا تحذف ولا يحذف الفاعل وإنما يستتر وإن كان هناك أوجه الاتفاق بين الفاعل ونائب الفاعل فالفاعل عند الجمهور يتأخر ولا يتقدم وأما المبتدأ فيتقدم لذلك استحق المبتدأ ما لا يستحقه الفاعل من الأحكام فكيف يمكن الجمع بين كل في باب واحد...؟.

واقترح المحدثون بعض الاقتراحات على النحو التقليدي منها: أن تجعل اسم إن مرفوعا احتجاجا بالاستعمال القرآني وبعض الأحاديث والشعر ولذلك أرجع إبراهيم مصطفى جميع تأويلات النحاة في آيات توافق هذا الادعاء إلى تعسف واضطراب^{٦٥} ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة ٦٩]. وفي الحديث "إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون"^{٦٧}. وعلى هذا خطأ سيبويه في تأويل هذا القول الشعري لبشر بن أبي خازم: وإلا فاعلموا أنا وأنتم ** بغاة ما بقينا في شقاق.^{٦٨}

وكل من هذه وغيرها من النقاط التي لم يُذكر في هذا الصدد هي المواقف التي اتخذها المحدثون على الأقدمين والقضايا النحوية التي خالفوهم فيها قصدا لتسهيل علم النحو العربي وتيسيرا لأبوابه لأنهم يرون ما ذهب إليها الأقدمون من الجوانب وما وضعوها من الأساليب والقواعد تضييعا لأوقات الدراسين وتغيرا لعقولهم عن فهمه إضافة إلى ما أتى به بعض اللغويين المعاصرين الذين زادوا على كتب سابقهم من المحدثين للنحو التقليدي. ومن هؤلاء المستشرق دي سويسر الذي يعتبر كمؤسس علم اللغة الحديث وصاحب فكرة المنهج الوصفي وآمن هؤلاء باعتقاد سابقهم بأن النحو التقليدي تأثر بمنطق أرسطو ثم أخذوا على الأقدمين في تحديدهم الزماني والمكاني من حيث قيدوا كل ما يقبلونها من الاستعمالات اللغوية على بعض أحياء العرب من أمثال بوادي حجاز ونجد وحمارة ومن قبائل بدوية مخصوصة لم تتحضر فكأن من لم يعيش في بيئة هؤلاء لا يعتبر عربا ثم حددوا الزمان وجعلوا زمان الاستشهاد آخر العصر الأموي وأما الذين عاشوا بعد ذلك لا يحتج بعريبتهم ولا يعدون من الفصحاء في نظرهم.

وهؤلاء الوصفيون الذين يرأسهم دي سويسير يعاتبون القدماء على ما وضعوها من القواعد النحوية وأنها فقط تتركز على أمثال عربية مختارة أو أشعار جاهلية وإسلامية مختصة ونصوص قرآنية محددة بدون التوسع في درسها حتى تعم وتشمل الاستعمال الشائع لدى العرب. وأن الاعتماد على هذه الأشياء المختارة عند استنباط الأحكام ووضع القواعد يضيق باللغة العربية لأنه قد يسمح فيها ما لا يسمح في الشؤون الحياة الأخرى ولذلك صار النحو التقليدي ضيقا لا واسعا.^{٥٩} وترى النحو التقليدي إذا اصطدمت قاعدته الموضوعة مع نص عربي فصيح يلتجئ إلى التحكم بالشذوذ أو الضرورة الشعرية أو إلى تأويلات متعسف.

وبعد المنهج الوصفي ظهر منهج آخر على يد المستشرق تشومسكى وهذا المنهج يقال له المنهج التحويلي: وهذا الرجل ولد بعد وفاة دي سويسر ١٩١٣م بخمس سنوات على حدّ ما سجله الدكتور عبده الراجحي وخالفه في ذلك الدكتور محمد حسن لزعمه بأن ولادة تشومسكى وقعت سنة ١٩٢٨م.^{٦٠}

وظهرت نظريته التحويلية سنة ١٩٥٧م وظفرت بالقبول أخيرا في أوساط اللغويين والأدباء وكأنها ظهرت نتيجة لنظرية دي سويسر الوصفية التي ردّت على النحو التقليدي معظم آرائه - كما سبق القول- وإن كان الناس لم يقبلوها بقبول حسن (أي المنهج التحويلي) في أول وهلتها لأجل اعتيادهم للمنهج الوصفي ثم أقبلوا عليها بعد قليل حتى كانت منتشرة سائدة بين اللغويين المحدثين إلى يومنا هذا ويرجع فضل سيادة هذه النظرية إلى أدوار لمسها تشومسكى لا في علم اللغة فحسب بل في علوم أخرى أمثال علم النفس والفلسفة والنقد الأدبي والأسلوبية ثم جهوده الجبارة في مشاركته للسياسة الأمريكية^{٦١} ونقده إياها، وكل من هذا وذاك قد سببت له شهرة واسعة في أنحاء العالم، وبالتالي يمكن انتشار آرائه وأفكاره اللغوية ومواقفه العلمية خلال كتبه المؤلفة في العالم. وقديما قيل: "شرف القول في شرف قائله"، وهؤلاء المتشركون ومن لفّ لفهم الذين أطلقوا إسم المعيار على النحو العربي القديم واسمواه النحو المعياري لوضعه القواعد التي ترشد الإنسان إلى الصواب وترده عن الخطأ نطقا وكتابة.

ومن المحاولات التي حاولها المحدثون لتيسير علم النحو في اعتقادهم - ظهور الوظيفيين الذين يدعون إلى درس وفهم علم النحو سطحياً أي يهتم الإنسان فقط بما يحتاج إليها من القواعد والأحكام النحوية التي تساعد على أداء واجباته الدراسية والتدريسية بدون الالتفات إلى اختلافاتهم وسموا هذا النوع بالنحو الوظيفي وإلى هذا يشير الدكتور فاضل مانصه: يقصد بالنحو الوظيفي مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية (ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل) ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة دون خوض في خلافات النحويين، أو تفرعات الباحثين أو مفاضلة بين آراء المتحاورين ومحاولة الترجيح بينها فإن مجال ذلك هو الدراسات المتخصصة".^{٦٢}

ولا يخفى ما في هذا النص الطويل من بيان لمقصود النحو الوظيفي وما ذا يريدون من إنشاء هذا النوع النحوي.

وقفه مع المحدثين

إن مما يجب الانتباه إليها نحن المسلمين مما يدعوا إليه هؤلاء المحدثون قضائهم على كل ما له صلة مع التراث الإسلامي فرحم الله ابن مضاء المفكر الإسلامي الخالص الذي أبدى ملاحظاته على النحو التقليدي ورد عليهم بعض المواقف التي منها المقبول ومنها المردود، فلا عيب في ذلك لأن الإنسان له حرية التفكير وقد يقبل البعض ويرد البعض ولم لا؟ وهو رجل مسلم وفكرته هذه إسلامية محضة نتج عن تمسكه بالدين وحماسته لطلبة العلم الذين يراهم في نظره يجهدون أكثر من اللازم قبل بلوغهم المرمى الضئيل في علم النحو وقدم ما قدمه للعربية خالصاً لوجهه الكريم ولا نزكى على الله أحداً.

أما اليوم فقد اختلط الحابل بالنابل وزاد الطين بلة وامتزج الرديء مع الجيد ولذلك ترى معظم الذين يدعون إلى هذه الفكرة من المحدثين المستشرقون الذين يبحثون بكل الوسائل التغلب على هذا الدين الحنيف وعلى هذا التراث النفيس لكن عن طريق غير مباشرة يظهرون عيوب العربية والإسلام عن طريق: "صديقك من يبصرك بعيوبك" ويضمرون السّم القاتل وراء ذلك وما يعقلها إلا العالمون، وكل من تدبر فيما ينشرونها من الأفكار ويدعون إليها من الأساليب النحوية

واللغوية الحديثة اعتقاداً لتسهيل فهم هذه العلوم ولحجة دعوة الناس إلى التطور اللغوي يرى مثلهم في ذلك كمثّل من فر عن الناس ووقع في النار. ولقد صدق الأديب سنقرط حين قال: "حاول أعداؤنا من مستعمرين وصهاينة ومستشرقين كما حاول الطائفيون والعنصريون والمستعربون أن يشنّوا هجوماً على لغتنا الفصحى ليقبروها مستهدفين بذلك المساعدة ما بيننا وبين تراثنا العربي الإسلامي... إلى أن قال... وبناء على هذه المقولة فلا بد من تطوير ألفاظ اللغة الفصحى لتواكب روح العصر الحضاري العلمي الذي نعيش على حدّ تقديرهم".^{٦٣}

وغاية ما عند هؤلاء القوم من الحجة تناول هذه اللغة بأيسر طرق وأسهل وسيلة ولهذا الحقيقة تبعهم بعض المسلمين إلى ما ذهبوا إليها متغافلين بأن هذه الفكرة قد خالطتها فكرة غريبة وإذا نجوا في الأسلوب سوف يتطرقون إلى القضاء على اللغة العربية نفسها وكأنها خطوة يخطونها طبقاً عن طبق وغرسوا في قلوب الدارسين صعوبة تناول علم النحو والصرف عن طريق الأساليب القديمة لتوبخوها وتبتعدوا عنها "...ويزعم هؤلاء كذلك فيما يزعمون أن ذلك يخلصنا من قواعد الصرف والنحو والإملاء الصعبة في الفصحى".^{٦٤}

فلا عجب إذا رأينا من العرب المسلمين الذين يؤيدون هذا الرأي ويدعون إليها بكل الوسائل ويريدون إقامة الصرخ العلمي الحديث على أعقاب القديم وهدمه ويقبلون ما جاء من الغرب بقلب رحيب ويردون الأفكار العربية الإسلامية الموروثة وكأن النحو والصرف نشأ نشأة دينية وسيندرس اندراساً دينياً وهذا إسلامي وذاك استشراقي ولأنّقل إلى هؤلاء ما قاله الدكتور رفعت أحمد وهاك نصه: "وهناك نمط آخر من الاستشراق، وهو ما يمكن أن نسميه بالاستشراق من الداخل، وهم نوعية من الكتاب والمثقفين والمفكرين-تجاوزا-اتخذوا من الغرب قبلة وإطاراً مرجعياً فساروا في ركاب تحليلاته المنهجية القاصرة نحو الإسلام وأمثلة عديدة...".^{٦٥}

الفصل الثالث: المدارس النحوية وتأثيرها في النحو العربي

ولقد سجّل التاريخ للنحو العربي خمس مدارس مختلفة وهي المدرسة البصرية، المدرسة الكوفية، المدرسة البغدادية، المدرسة الأندلسية/المغربية، المدرسة المصرية/الشامية. وتعتبر المدرسة البصرية النحوية أكبر هذه المدارس وأقدمها وأفضلها عند الاحتجاج والترجيح ذلك لسبب

اشتغال علماء كوفة بأمور دينية أخرى وقت نشأة النحو وهذا جعل البصريين تقدموهم بأشواط وطبقات قبل إقبالهم على درس علم النحو وفازوا بمذهب فقهي شاع صيته في الآفاق هو مذهب أبي حنيفة.^{٦٦} لأنهم قضوا معظم حياتهم في علم الفقه وأصوله إضافة إلى ما اعتنوا بها من قراءة القرآن حتى خرج فيهم ثلاثة من قراء العالم وهم: عاصم بن بهذلة الكوفي وهو تابعي توفي سنة ١٢٧هـ وحمزة بن حبيب المتوفى سنة ١٥٦هـ في خلافة أبي جعفر المنصور ثم علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي التي توفي ببلدة يقال لها "رنويه" سنة ١٨٩هـ.^{٦٧} واهتموا أيضا برواية الأخبار وجمع الأشعار وإن كان بعض العلماء يشكون في بعض أشعار روهها بحجة أنها أسندت إلى غير قائلها قال أبو الطيب: "...الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله وذلك بين في دواوينهم".^{٦٨}

ومهما يكن من شيء فإن هذه الحركات العلمية والدينية هي التي سببت لهم التأخر عن علماء البصرة في الباكورة الأولى لنشأة علم النحو العربي ومع ذلك استطاعوا أن يشكلوا مدرسة نحوية مستقلة بآراء لغوية تختلف عن آراء وأفكار علمائهم البصريين.

وابتداء النحو البصري بأبي الأسود الدؤلي ثم ابن أبي إسحاق الحضرمي وغيرهما كما سبق البيان بينما وقعت بداية النحو الكوفي على أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ بن مسلم الهراء وزعم شوقي بأن المدرسة الكوفية الحقيقية ابتدأت بالكسائي وتلميذه الفراء وأرجع جميع ما قدمه أبو جعفر الرؤاسي من التدريس والتأليف لكتاب "الفيصل" وما أنفقه معاذ بن مسلم الهراء من اهتمامه للأبنية الصرفية حتى قيل: إنه واضع علم الصرف، أرجع جميعها إلى اللمسات التمهيدية للنحو الكوفي.

فتتمحور المميزات التي تميزت بها النحو الكوفي عن النحو البصري في ثلاث:

- ١- الاتساع في الرواية بحيث تقبل المدرسة الكوفية من الروايات ما رفضها البصريون وزاد على شروط البصريين في الاحتجاج بالرواية.
- ٢- الاتساع في القياس لأن المدرسة الكوفية تقيس على الشواذ من الأشعار ويحكم بالقراءات الشاذة.

٣- مخالفاتهم في بعض المصطلحات النحوية وبعض العوامل مع اعتقادهم جميعا بأن لكل معمول عاملا إلا أن الكوفيين يخالفهم في هذه العوامل.

ويؤيد هذا الاختلاف بين المدرستين ما ذهب إليها الطنطاوي بأن البصرة أنشأت على طرف البادية ويسكنها رجال لم يخالط عربيتهم الأصلية شيء من الشوائب المدنية ولذلك تراهم دائما يقتصرون السماع على البوادي وبعض المدن الحجازية ونجد وهم غير مؤمنين بعربية المتحضرين من الذين يستوطنون المدن.

والكوفة مدينة كبيرة خلقت فيها الحضارة والثقافة منذ ذلك العهد وكانت تحت إشراف الأكاسرة خاضعا لإمارتهم وبذلك يتوسع في الرواية ويقيس على كلام العرب الذين يسكنون معهم مع كثرتهم.^{٦٩}

وليس ببعيد عنا معرفة الخلاف بين استعمال اللغة وتركيبها عنه البدويين وبين استخدامها ووضعها لدى المدنيين فهاتان المدرستان (البصرية والكوفية) هما اللتان أحرزتا قصب السبق وإليها يرجع الفضل وبهما بدأت ونشرت الآراء النحوية المهمة وإليها يشير المؤلفون عند الحديث عن الاختلافات النحوية فأما بقية المدارس النحوية الثلاثة فهي فرعة منهما وتبعية لهما.

فهذه مدرسة بغدادية تكونت على أيدي أبي الحسن بن كسان وأبي بكر بن شقير وأبي بكر بن الخياط، وهؤلاء درسوا النحو الكوفي والبصري معا وأتقنوها أيما إتقان وتشكلوا بذلك مدرسة بغدادية نحوية فهم الرعيل الأول من علماء بغداد النحويين وصار بذلك أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني وجهودهما بمنزلة الجيل الثاني من علماء بغداد.

ويمكن القول باستنباط نفرين من علماء بغداد نفر يحكم دائما إلى الفكرة الكوفية وهم الرعيل الأول المذكور ونفر يتخاصم إلى الآراء البصرية وتمثل ذلك في الجيل الثاني مع أن كليهما يفتحون باب الاجتهاد لإضافة بعض الآراء النحوية الجديدة.

وجملة القول: إن المدرسة البغدادية تدرس النحو على المدرستين الكوفية والبصرية

وتتوسط بين آرائهما حيناً وتضيف إليها حيناً آخر.

فتلك الأندلسية/المغربية وهي رابع هذه المدارس وهي أكبرها تأثيراً بالنحو الكوفي لأنها لم تتعرف على النحو البصري إلا في أواخر القرن الثالث الهجري.^{٧٠} بعد رحلة أحد رجالها مُجَّد بن موسى بن هاشم إلى المشرق وقرأ بها كتاب سيبويه.

ولهذه المدرسة جهود إضافية في النحو العربي وإسهامات لا ينساها التاريخ وخاصة فيما أنشأها وابتدعها نحوياها المشهوران هما: ابن مضاء في دعوته إلى تصحيح وتعديل بعض النظريات النحوية ثم ابن مالك في توسُّعه للاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة، بعد ابن خروف والسهيلي.

ثم إلى المدرسة المصرية الأخيرة التي فازت بوصول النحو العربي إليها منذ القرن الثاني الهجري وذلك على يدي ولاد الذي تلمذ بين يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي ونقل معظم آرائه النحوية إلى مصر خلال الكتب التي سجل فيها املاءات الخليل ثم على يدي معاصره أبي الحسن الأعز الذي قرأ النحو وغيره على الكسائي.^{٧١} وبذلك كانت مصر جامعة بين آراء البصرة والكوفة منذ العهد الأول للنحو العربي.

ومما يطيب بذكره هنا هو ما أثبتته التاريخ بأن النحو المصري تأثر بالفكرة البصرية أكثر ويلمس ذلك في وجود كثير من نحاتها يرحلون إلى البصرة وبغداد لدراسة النحو ثم يوافقون الميل البصري في الأحكام النحوية. ويبدو هذا جليا عندما انتصر أبو العباس بن ولاد لسيبويه وحاول في هذا الانتصار تبرير جميع الآراء الواردة في الكتاب وزعم بأن سيبويه في كتابه برئ من الخطأ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فكأنه نبي مرسل يوحى إليه وكتابه مقدس ومنزل.

وهذه هي المدارس النحوية الخمس المتواجدة منذ القديم ولم يزد عليها إلا ما نراه من بعض المحدثين من الآراء والحركات اللغوية التي سبق أن ذكر الباحث بعضها.

وعلى هذه الاختلافات ألف العلماء أسفار الكتب ذكر الطنطاوي أسماء بعضها في كتابه وإن كان أبو البركات الأنباري يدعي في مقدمة إنصافه بأنه أول من ألف في هذا الفن وقال: "... لكونه أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب وألف على هذا الأسلوب لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا ألف عليه أحد من الخلف".^{٧٢}

وقال الطنطاوي بأن أول من ألف في هذا هو ثعلب في "اختلاف النحويين" ثم ابن كيسان في "المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون" ثم أبو جعفر النحاس البصري في "المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين" ثم بعدهم ابن درستويه في "الرد على ثعلب في اختلاف النحويين" ولعل الذي حمل الأنباري على إسناد أولية التأليف إلى نفسه هو ما عقب به الطنطاوي قوله بعدما ذكر أسماء هذه الكتب وقال: "وهذه الكتب لم نطلع عليها حتى نقدّر ما فيها عن خبرة-وجاء بعد هؤلاء كمال الدين الأنباري".^{٧٣}

فالذي استفاد النحو العربي من هذه الاختلافات وهذه المدارس على مستوياتها هو ما جعله علما يتطور لا يستقر في مرحلة نشأته حتى تطور وتوسع كبقية العلوم وأفاد ذلك الدارسين بحيث يبرهنون لأنفسهم بإحدى هذه المدارس وما رأته هذه قبيحا قد تراه ذلك حسنا، واستطاع الناس أن يتقبلوا في قلوبهم ويتمسكوا بأسهل آرائهم وينطبق عليهم قول القائل: اختلاف الأئمة رحمة للأمة.

وأرى من الجدارة-والحالة هذه-اختتام هذا الفصل بما يؤكد لنا أهمية الدراسة النحوية والصرفية عند غير العرب باعتبار أن الداعي الأول إلى نشأة النحو هو الحفاظ على اللسان العربي من أجل فهم الدين الإسلامي الحنيف كما سبق القول فلا يخفى على كل ذي علم وبصيرة أن الأعاجم أو (الذين ليسوا عربا نسبا وصهرا) يندرج اهتمامهم للنحو العربي لأجل فهم العربية الفصحى نطقا وكتابة لأنها (العربية) في واقعنا الحاضر يتحتم فهمها-ولو على سبيل فرض الكفاية-عليهم لأسباب تتمحور في هذه النقاط:

١- كونها لغة ثقافة عالمية فالعربية اليوم قد ارتقت درجتها ومستوى شهرتها إلى ما تعد في طبقات اللغات العالمية الأولى وإن لم تكن أولاها فمرحلتها لا تزال تتراوح فيما بين الأولى والعاشرة وزادت عدد الدول العربية على عشرين على اختلاف لهجاتهم وينطقها بلايين نسمة ولجميع دول العالم سفارات في معظم الدول العربية المختلفة فهل يمكن التفاهم التام فيما بينهم بدون فهم العربية وقد صدق الرسول ﷺ: "من تعلم لغة قوم أمن مكرهم".^{٧٤}

٢- كونها لغة الدين فلا نطيل الحديث في هذه النقطة لأن في السابق ما يشبه ذلك إلا أن الذي يبرزه البحث هنا هو وإن كانت النقطة الأولى تعم المسلمين وغيرهم فإن هذه تختصّ بهم لأن الدين الإسلامي لا يمكن فهمه بدون فهم العربية ولو بيسير حسب حاجتك في الدين فإن كانت قدر ما تؤدي بها الواجبات الدينية فقد تكتفي بالمرحلة الابتدائية وإذا أردت أن تفهمها وتفهم غيرك فيلزمك إذن التبحر في أسرارها وفهم خباياها ولا يمكن هذا ولا ذاك إلا بالدرس النحوي.

٣- ونضيف إلى تلكما النقطتين انتشار هذه اللغة بين بني البشر وقلما تجد دولة إلا وللعربية دور في حكومتها حتى صارت لغة تبنها معظم المصانع العالمية لكتابة الإرشادات وراء مصنوعاتها فالشركات الطبية مثلا أوجبت على نفسها عند كتابة إرشاداتها في كل ورقة ملصقة ومرافقة بالدواء أن يستعمل ثلاث لغات عالمية أو اثنتين منها بشرط كون العربية إحداها فهذا دليل على شهرتها وعالميتها، ولأجل هذه النقاط وما تجرى ورائها صارت للدراسة النحوية والصرفية أهمية عظمى لا ترد عند غير العرب ناهيك ما وضعها العرب أنفسهم في جامعات بلدانهم من المواد أو الأقسام المستقلة أطلقت عليها.

"دراسة اللغة العربية للناطقين بغيرها"

Teaching/Learning Arabic Language as a Foreign Language

وزبدة القول: إن النحو روح اللغة العربية، والإعراب روح النحو، ولولا الإعراب لفسد المعنى ولولا الإعراب للزم كل شخص فهمه الخاص وبه تتغير الدلالات وتتضاعف المعاني أو تُأول تراكيب النصوص إلى غير المقصود فإنه من الخطورة بمكان أن نتغافل عن دور النحو في فهم المعاني.

الفصل الرابع: نماذج المسائل المختلف فيها بين البصريين والكوفيين

قد لا يسع للباحث أن يحصي جميع المسائل الخلافية النحوية بين الكوفيين والبصريين عدداً أو يحيط بها علماً في هذه الأطروحة لا لشيء بل لكثرتها وتنوعها ولكن لا يفوتني ذكر بعض النماذج من هذه المسائل وعرضها مع البيان والتحليل ولو يسيراً، ولنأخذ أولاً مسألة أصل الاشتقاق كمثال:

مسألة أصل الاشتقاق

فعلماء البصرة اتفقوا على أن الأفعال مشتقة من مصادرها فالمصدر أصل تفرع من فعله إذن فأصل الاشتقاق عند هؤلاء المصدر وجاء الكوفيون معارضين لهذا الحكم وحكموا بخلافه وأرجعوا أصل الاشتقاق إلى الفعل، ولكلٍ منهما بيانات وتفصيلات لإثبات دعواه. فلنبداً بالبصريين.

قال الإمام سيبويه: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع".^{٧٥} وقد فسّر أبو البقاء هذا التعريف بقوله: "وأخذت بمعنى اشتقت، وأحداث الأسماء: ما كان منها عبارة عن الحدث وهو المصدر".^{٧٦} وهناك أدلة كثيرة جاء بها البصريون لتدعيم القول بأن الفعل مشتق من المصدر فمن هذه الأدلة:

أ- قالوا بأن مهمات الفعل أكثر من مهمات المصدر فالمصدر لا يدلّ إلا على الحدث بدون الاقتران بوقت حدوثه ألم تر لو قال القائل: "الضرب" مثلاً فإننا نفهم منها فقط الفعل خال من إحدى الأزمنة الثلاثة، فأما الفعل فيدلّ على الحدث والزمان معاً، نحو: جَلَسَ، يَنَامُ، أُكْتُبُ. فالقارئ يفهم من هذه الأمثلة الثلاثة الأحداث وأوقاتها ماضياً في الأول وحاضراً أو مستقبلاً في الثاني أو مستقبلاً واجبا بعد الكلام في الثالث، فالمصدر إذن أصل تفرع منها هذه الفروع.

ب- يتعدّد حروف الفعل ويزيد على حروف المصدر فـ"القتل" مثلاً متكوّنة من ثلاث كلمات خلافاً لـ"يقتل أو اقتل" اللتان قد زادتا على ثلاثة أحرف لكونهما فعلاً مضارعاً وأمرأ. فالمعلوم أنّ ما قل عدد حروفه هو الأصل فالفرع يزيد ويتعدّد.

ج- فكأن المصدر والفعل بمنزلة اللفظ المفرد والمركب فإنه لا بدّ من وجود المفرد قبل وجود المركب فالأول أصل والثاني فرع عنه وعلى هذا فقس.

د- أولى أن يتوسع معاني الاشتقاق وأن يفيد تشييد الأصول، ألم تر أن الأبناء يرفعون شرف أبيهم ويزيدون عليه وهذا يدلّ على أن أباهم هو الأصل لهم لذلك تفرد هو كما تفرد المصدر والأبناء فرع مشتقّ منه وتعدّدوا كما تفرع الفعل من المصدر وتعدد حروفه ومهمّاته.^{٧٧}

هذا بعض ما احتجّ بها البصريّون -بتصرف يسير- على أن الفعل مشتق من المصدر وأضاف أبو البركات بعض النقاط منها:

- أن المصدر اسم والاسم يقوم بنفسه ويستغني عن الفعل بخلاف الفعل الذي يفتقر دائما إلى مجانسة الاسم وما يعتمد على نفسه أولى أن يطلق عليه الأصل من الذي يبنى قياسه على غيره.

- منهم من اعتبر همزة المصدر في الرباعي المجرّد دليلا على أن المصدر ليس مشتقا من الفعل فأكرم إكراما مثلا، لو كان "إكرام" مشتقّ من "أكرم" لا بدّ من حذف الهمزة كما حذفت في الفاعل والمفعول "مكرم ومكرم" وهذان الاسمان مشتقان من "أكرم" بلا جدال وكذلك حذفت همزتهما فأولى أن يحدث ذلك في المصدر.^{٧٨}

وأما حجج الكوفيين في كون المصدر مشتقّ من الفعل في نظرهم:

- إن المصدر يصحّ لصحة الفعل ويعتل لاعتلاله ولو قلنا مثلا: قاومَ فالمصدر قِوَامًا أو جامع فجماعا، وغيرهما. وقد صاحبتهما الصحة في كلتا الحالتين، وكذلك: "قام قياما" و"نام نياما" وقد شاركا في الاعتلال فلما صار هذا يصحّ لصحة ذاك ويعتلّ باعتلاله حكموا بأن المصدر مشتقّ من الفعل فالفعل يعتلّ ويصحّ أولا قبل أن يعتلّ أو يصحّ المصدر.

- وقالوا أيضا بأن من الأفعال ما لا مصادر لها فالفعل أصل لذلك لم نجد الفرع إذا كان الأمر بالعكس فالأفضل أن يكون هناك مصادر لا أفعال لها مثلا: نعم، وبئس، وليس، لصحة دخول التاء عليها-على أحد القولين-وفعل التعجب أيضا نحو حبّذا.

- وردّوا على البصريين بأنه لا يقال للمصدر أصل لصدور الفعل عنه وإنما هو في صورة اسم المكان يحمل معنى المفعول وقد يقول القائل: "مركب فاره ومشرب عذب"، ويعني "مركوب فارة ومشروب عذب".^{٧٩} وعلى هذا الأساس فإن كان مصدرا لفظا فمفعول معنى.

تلك هي مناقشات علمية دارت بين البلدين (البصرة والكوفة) في أن الفعل أصل اشتقّ منه المصدر أو المصدر أصل اشتقّ منه الفعل ويرجح الباحث كون اشتقاق الفعل من المصدر لظهور الحقائق العلمية والطبيعية فيما عليه علماء البصرة، ألم تر أن القول السليم يتعرف على الكلمات بمصادرهما غالبا قبل أن يبحث عن أفعالها فبالمصدر تشتهر الألفاظ فيدلّ هذا دلالة واضحة بأن أصل الاشتقاق مصدر فالشيء يعرف بأصله قبل أن يعرف بفرعه. ثم كيف يستدلّ الكوفيون بفعلية "نعم وبئس" مع أنهم أنكروا -أصلا- كونهما فعلين وحكموا باسميتهما فهل يستساغ في العربية الفصيحة أن يقال للاسم فعل؟ وبيّانهم في النقطة الثانية (في هذا البحث) كما وضعه أبو البركات الأنباري فيه تناقض وتعارض لموقفهم، فالبصريون ومعهم الكسائي مع كونه رئيس النزعة الكوفية النحوية هم الذين أجمعوا على قول واحد في هذه المسألة كما أقرّ بذلك معظم المصادر النحوية الأصلية.^{٨٠} ذهبوا إلى أن "نعم وبئس" فعلان ماضيان جامدان لا يتصرفان، مستدلين بأشياء منها كون تاء التانيث المتصلة بهما ساكنة في جميع اللغات.^{٨١} وغير هذه من الحجج الواردة وكذلك ردهم في النقطة الثالثة والأخيرة على البصريين في عدم قبولهم المصدر كمكان صدور الفعل وهذا أيضا يخالف ما عليه جمهور علماء اللغة في معنى الكلمة فهذا ابن منظور في لسانه العرب يفسر المصدر بمكان صدور الشيء (٤/٤٤٩).

وصفوة القول: إن المصدر أصل الاشتقاق كما نصّ عليه البصريون لشمولية الفعل جانبي الحدث والزمن واكتفاء المصدر بالحدث وحده والواحد أصل لاثنين اتفاقا. وهناك شذمة قليلون توسطوا بين البلدين يرئسهم ابن طلحة: "أن الفعل والمصدر أصلان وليس أحدهما مشتقا من الآخر".^{٨٢} ولا اعتبار لفكرة هؤلاء لعدم صحة دعواهم وخلوها من الحجج المقنعة.

مسألة جمع العلم المؤنث جمع مذكر سالم

مما لا خلاف فيه بين النحويين السابقين واللاحقين أن للجموع أنواعا ابتداء من التثنية- على أحد القولين المشهورين- وجمع التكسير، وجمع القلة، وجمع الكثرة، وجمع المذكر السالم، والمؤنث السالم، ومنتهى الجموع، وجمع الجمع، وجمع الجمع وغيرها ولكل منها ضوابطه، وشروطه، ومميزاته، وأحكامه، وإعرابه، ومن بين هذه الجموع- كما أشرنا- جمع المذكر السالم الذي اجتمع النحويون على أن يأتي بزيادة الواو والنون تارة والياء والنون في آخر مفردة تارة أخرى.

وإعرابه: يرفع بالواو ويجزّ وينصب بالياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها.^{٨٣}

ووضعوا شروطا لأي كلمة تجمع على هذا الشكل سواء كانت جامدة كالعلم أو صفة كقائم أو عالم، ومن هذه الشروط: أن يستعمل لمذكر عاقل وأن لا يكون على وزن أفعل فعلاء ك: أبيض-بيضاء أو فعلان فعلى وأن يستوى الذكر والأنثى في وزن صفته. وقد عدّ الزمخشري- رحمه الله تعالى- أنواع الأوزان التي يستوى فيها الذكر والأنثى وهي أربعة: فعول، مفعال، مفعيل، وفعل الذي بمعنى مفعول.^{٨٤} وقد ألحق بها أيضا الفعيل الذي بمعنى الفاعل، كقوله تعالى: ﴿...إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ولقد ذكّر جلّ سبحانه كلمة "رحمة" في الوصف ولم يقل: "قريبة".

واشترطوا أيضا في الكلمة التي تجمع جمع مذكر سالم أن تكون خالية من تاء التأنيث^{٨٥} وهذا محلّ حديث الباحث ونقاشه وقد اختلف الكوفيون مع البصريين في هذه النقطة وحكموا بغير حكمهم وقالوا بأنه يجوز أن يجمع العلم المؤنث مؤنثا تائيا على منوال جمع المذكر السالم إذا سمي به رجلا مثلا: طلحة، وحمزة، وغيرهما، وقد اجتمع في هذين الاسمين شروطا تجب توفيرها فيما يجمع جمع مذكر سالم، هما علمان لمذكرين عاقلين ليسا على وزن أفعل فعلا ولا من باب فعلان فعلى وليسا مركبين إلا أن هناك شرطا واحدا خائفا ونقصهما وهو إلحاق تاء التأنيث في آخرهما ومثل هذه الكلمات لا يحسب في زاوية جمع المذكر السالم عند البصريين فلا يقال طلحون وحمزون وغيرهما.

وإليك أدلة كلّ منهما:

- ذهب الكوفيون إلى أنه يصح الجمع بناء على أن المؤنث بالألف والهمزة تجمع بالواو والنون إذا سميت بها رجلا وكذلك المؤنث بالألف الممدودة وتقال "حمراؤون" و"حبَلَوْنَ" في حمراء وحبلى، وهذان المثالان أشد تأنيثا مما كانت في آخرها تاء. وإذا صحّ الجمع في ذاك ولا بدّ أن يصح في هذا.

- ومن أدلتهم أيضا كلّ شيء يرجع إلى أصله ويصحّ الجمع نظرا لتقدير طلحة مثلا فإنه قدر فيها "طلح" لأن المسمى ذكر وقد تستعمل العرب مثل هذا الجمع لبناء على تقدير حذف الأخير الذي هو التاء.

وزاد بعضهم كأبي الحسن بن كيسان في أن عين الكلمة تفتح فبدلا من "حمزون" بسكون الميم فيكون "حمزون" بفتحها.^{٨٦}

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز مثل هذا الجمع لأن في ذلك جمع علامتين متضادتين في كلمة واحدة ومعنى ذلك أن في طلحة مثلا علامة التأنيث التي هي تاء وإذا أجمعناها بالواو والنون وقلنا "طلحون" وقد أضيفت إليها علامة التذكير أيضا فتؤنث إذا انفردت وتذكر إذا اجمعت فهذا تناقض بعينه واستشهد البصريون بالقياس الذي هو عمدة أساسية من الأعمد التي بنيت عليها.

أصول النحو وقالوا بأنّ العرب طالما يصفون المذكر بالمؤنث فيقال مثلا رجل ربعة^{٨٧} فيجمع على "رُبَعَات" لا ربعون مع كونها صفة لرجل.^{٨٨}

واستدلوا بما اشتهر بين العرب (وهذا نقل وسماع) في جمع طلحة بـ"طلحات".^{٨٩}

هذه خلاصة ما سجّلها الكتب النحوية من حجج الكوفيين والبصريين في قبول صيغة الجمع لمثل هذه الكلمات وعدمها أورد بعضها ابن هشام في أوضحه والأشموني في شرحه والأنباري في إنصافه، وفيما يلي ترجيح الباحث.

يرى الباحث صحة ما ذهب إليها البصريون في عدم قبول جمع العلم المؤنث بالواو والنون ولو سمي به رجلا لأن في موقفهم هذا حقائق لا تجحد ودلائل لا تردّ فناهيك أنهم احتكموا إلى القياس والسمع ولا يخفى لأحد ما لهذين العلمين من دور تليد عند وضع النحو العربي. فكلّ ما اعتمد عليها الكوفيون في تجويز هذه الصيغة فواهن وضعيف لأن الجمع يشمل جميع حروف الكلمة لا بعضها إما بالتغيير أو الزيادة أو الإبدال وقد يترك حروف المفرد كما هي ويغير الحركات فقط في الجمع كما في أسدٌ وأسدٌ أو غيرها. فأنى لهم الحكم بحذف التاء في طلحة وحمزة بحجة أنهما يهدفان إلى رجل لا امرأة؟.

وإذا قالوا بأن التاء المربوطة قد سقطت في طلحات ومؤمنات فلا يعتبر هذه حجة لأن التاء في مسلمة ومسلمات كلتاها تاء التانيث ولأصل- كما بينه النحويون- أن يكتب مسلمتات فالتاء الأولى تنوب عن شيء واحد وهو التانيث، والثانية تنوب عن شيءين التانيث والجمع، فأولى أن تحذف ما تنوب عن التانيث لأن الثانية تعمل عملها مع عمل آخر (عمل الجمع) والإيجاز أولى من الإطناب عند علماء اللغة ألم تر أن في مسلمتات إيجاز وفي مسلمتات إطناب، ولهذا وذاك رجح الباحث موقف البصريين على موقف الكوفيين في هذه المسألة فالطلحة تجمع على طلحات لا طلحون وكذلك حمزة وما على شاكلتها.

"قضية وقوع الفعل الماضي حالا"

الحال من الموضوعات النحوية القديمة نصّ عليه النحويون الأوائل كالخليل وابن إسحاق الحضرمي وسيبويه وغيرهم وهو على حدّ تعريفهم: "وصف فُضلة يذكر لبيان الاسم الذي يكون الوصف له، نحو: رجع الجند ظافرا، وأدّب ولدك صغيراً"^{٩٠} ولهم في ذلك أقوال متنوعة وأقسام متباينة كتقسيمهم إياها إلى المشتقّ والجامد ولو كان هناك بيانات وشروط وضعوها قبل إتيان الحال جامدا (أي من الاسم الجامد). فالباحث لا يتطرق إلى هذه الأقسام أو إلى تلك الأقوال المختلفة لأن الذي يهيمه بكثير في هذه العجالة اختلاف البلدين في مجيء الحال فعلا ماضيا، أو

بعبارة أوضح: هل يأتي الحال في صورة الفعل الماضي أم لا؟ وذهب الكوفيون إلى أنه يأتي فعلا ماضيا، وهذا يخالف ما عليه جمهور البصريين وقد حكم الخليل وغيره بأن الحال لا تأتي إلا نكرة فإن جاءت معرفة فمؤول فالنكرة والمعرفة صفتان لن تقعا على الفعل الماضي وقال الخليل: "والحال لا يكون إلا نكرة والحال في المعرفة والنكرة بحالة واحدة"^{٩١}. واتبعه في هذا القول ابن الوراق حيث قال في مستهل حديثه عن الحال: "وإنما وجب أن تكون الحال نكرة لأمرين لأنها زائدة لا فائدة فيها للمخاطب، والثاني لأنها مضارعة للتمييز لأنك تبين بها كما تبين بالتمييز نوع المميز"^{٩٢}. كل من هذين القولين وما على شاكلتها تهدف إلى منع مجيء الحال في صورة الفعل الماضي وقد أجازة الكوفيون - كما سبق القول - مستدلين بشيئين رئيسين: الأول احتجوا بالنقل/السماع الذي هو ركن هام في النحو العربي، وقد استعمل القرآن الكريم الحال واقعا في الفعل الماضي ولا يخفى ما للقرآن من فصاحة منقطع النذير، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ...﴾ [النساء: ٩٠].

وقد قال جمهرة المفسرين بأن كلمة: "حصرت" حال وهي فعل ماضي ولو أضافوا إليها بأن "قد" قد قدرت مع الفعل "حصرت". فهذا إمامنا ابن جرير الطبري يصرح القول بأن الفعل الماضي يقع حالا إذا اضمرت معه "قد" وإليك نصه: "ولإضمار "قد" مع الماضي جاز وضع الماضي من الأفعال في موضع الحال، لأن "قد" إذا دخلت معه أذنته من الحال وأشبهت الأسماء"^{٩٣}.

ولهذا نرى من القراء من أعطى ذلك الفعل حقية الحال صورة وحكما أي جاءت به نكرة حالا منصوبا كما وضعها علماء النحو، فقد روي عن الإمام الحسن البصري أنه كان يقرأ الآية ب: "... أو جاءوكم حصرة صدورهم"^{٩٤} والقراءة صحيحة ولو كانت شاذة، ومن الذين قرءوا بها أيضا يعقوب الحضرمي والمفضل وتتصل سلسلة الرواية إلى هاصم بن بهذلة الأسرى الكوفي المتوفى سنة ١٢٧ هـ.^{٩٥}

واحتجّ الكوفيون أيضا بمقولة نحوية مشهورة وهي: كل ما جاز أن يكون صفة لنكرة جاز أن يكون حالا للمعرفة^{٩٦} نحو: "مشيت برجل عطوف"، فعطوف صفة لرجل وهي نكرة وقد تقول أيضا: "مشيت بالرجل عطوفا، فالرجل معرفة موصوفة ولا تزال "عطوفا" صفة نكرة فهذا جائز. في العربية وهو معنى تلك المقولة المسبقة وقاس علماء الكوفة على هذه القاعدة لأن الفعل الماضي يجوز أن يوصف به نكرة، يقال: جلست مع عالم قرأ ومررت بغني أنفق، فإذا صحّ في العربية الفصحى أن يأتي الفعل الماضي صفة لنكرة فلا مانع له من أن يأتي حالا للمعرفة.

وأما أدلة البصريين في منع الجواز فينحصر في نقطتين مهمتين:

- ١- قالوا بأن الفعل الماضي لا يدلّ على الحال لا صورة ولا حكما وكيف يدل عليه.
- ٢- إن كل ما يصلح أن يكون حالا يشترط عليه ما حضر فعله في الحال لا في ما مضى. ولو قلنا مثلا رأيت الأمير راكبا فلا بدّ من أن يكون الأمير على مركوب حالة رؤيته وليس بأنه قد ركب ونزل والفعل لا يعطى صورة الحال كما كان المضارع يفعل وإنما يقدم صورة الزمان الغابر^{٩٧} فهذا ما يقصده البصريّون في نقطتهم الثانية.

فأما أرجح الموقفين في رؤية الباحث هو موقف الكوفيين لأنهم اعتمدوا على ما يغني طالب الحق من جوع الضلال واحتكموا إلى النقل والسماع أولا ثم إلى القياس والتعليل ثانيا وقوي نقلهم بالاستشهاد القرآني لا بقول شعر مجهول القائل وساندتهم في ذلك أقوال المفسرين كما أوردنا بعضها وإن كان الأنباري يريد أن يحكم للبصريين وشرع في تأويل الآية بتأويلات منها تقدير محذوف لا يعلمه إلا الله وقال بأن التقدير "قوما" أي: أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم^{٩٨}. وهذه التأويلات لا تخرج الفعل من كونه حالا لعل قوة أدلة الكوفيين في الموضوع هي التي أدّت بأبي الحسن الأخفش إلى الاتفاق معهم في حكمهم وهو من هو في أوساط كبار النحويين البصريين الأوائل.

هوامش الباب الثاني

- ١- أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الناشر: شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع صيدا-بيروت-لبنان، ص:٣٠٣.
- ٢- مُحَمَّد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: مُحَمَّد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م، الجزء الأول، ص:٥.
- ٣- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: دار الساقى، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م، ج٢، ص:٥.
- ٤- مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الناشر: دار المعارف الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ج٢، ص:٣١٥، حديث رقم (٩١٤).
- ٥- مُحَمَّد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، راجعه وعلق عليه سعيد مُحَمَّد اللحام، الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص:١٠.
- ٦- أحمد بن فارس القزويني، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: مُحَمَّد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ص:١٥.
- ٧- علي نائي سويد، صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة وتوجيه، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات-كانوا-نيجيريا، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص:١٢.
- ٨- شوقي ضيف، المدارس النحوية، الناشر: دار المعارف، الطبعة السابعة، ص:١٨.
- ٩- أبو المحاسن المفضل بن مُحَمَّد التنوخي، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق الدكتور عبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٢م، ص:١٦٧.
- ١٠- عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو البركات الأنصاري الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار الزرقاء-الأردن، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ص:١٧.
- ١١- جمال الدين أبو الحسن القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، الناشر: المكتبة العنصرية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ج١، ص:٥٠.
- ١٢- أبو طاهر عبد الواحد بن عمر البزار، أخبار النحويين، تحقيق مجدى فتحى السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث-طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص:٢٠.

- ١٣- علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة دار التراث الأول ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص: ١٧٥.
- ١٤- عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، الناشر: توزيع دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى: سنتها غير مذكورة، ص: ٩١.
- ١٥- عبد الرحمن السيد، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ١٦- أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي-المدرسين بالأزهر الشريف، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: غير مذكورة، ١٣٧٣هـ-١٩٦٦م.
- ١٧- عبد الرحمن أحمد الإمام، مقالة بعنوان: تيسير النحو بين التجديد والفوضى، الجزء الثاني من أعماله للترقية إلى درجة الأستاذية قدم هذه المقالة في مؤتمر المجلس العالمي للغة العربية المؤتمر العاشر في لبنان ٨-٩/١٢/٢٠١٥م اللغة العربية بين الأصالة والتجديد (ذكرى المرحوم الدكتور عوضى القوزي).
- ١٨- عبد الحى حسين الفرماوي، قصة النقط والشكل في المصحف الشريف، الطبعة الأولى، الناشر: دار النهضة العربية، شارع عبد الخالق-القاهرة، ص: ٢٠.
- ١٩- محمد فتحى الدجال، الاصباح في شرح الاقتراح، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر بدمشق، ص: ١٧٥.
- ٢٠- قاسم بدماصي، أصول النحو تاريخ وتأصيل، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، الناشر: شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ص: ٢١.
- ٢١- محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة غير مذكورة، ص: ٨٤.
- ٢٢- مني إلياس، القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، الناشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع، والنشر، بدمشق، ص: ١٠.
- ٢٣- مني إلياس، المرجع نفسه، ص: ٢٢.
- ٢٤- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، الطبعة الثانية السنة غير مذكورة، الناشر غير مذكور، ص: ١٤.
- ٢٥- قاسم بدماصي، المرجع السابق، ص: ٣٦.

- ٢٦- مُجَّد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق مُجَّد شاكر، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار المدني-جدة، ج ١، ص: ١٤.
- ٢٧- قاسم بدماصي، المرجع السابق، ص: ١٢٢.
- ٢٨- عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ص: ٢.
- ٢٩- عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، الطبعة غير مذكورة، الناشر: عمادة شئون المكتبات-جامعة الرياض، ص: ١٩.
- ٣٠- الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥م، الناشر غير مذكور، ص: ٦٣.
- ٣١- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام مُجَّد هارون، الطبعة السادسة، الناشر: دار التاريخ-بيروت، لبنان، ص: ٢٠.
- ٣٢- عوض حمد القوزي، المرجع السابق، ص: ٥١.
- ٣٣- عوض حمد القوزي، المرجع نفسه، ص: ٦٣.
- ٣٤- رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص: ٩٠.
- ٣٥- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: ٦٢.
- ٣٦- آدم عبد الله الإلوري، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، الناشر: مكتبة وهبة عابدين القاهرة، ص: ٩.
- ٣٧- مُجَّد بن يزيد الأزدي المبرد، المقتضب، تحقيق مُجَّد عبد الخالق عزيمة، الطبعة غير مذكورة، الناشر: عالم الكتب-بيروت، ص: ٨.
- ٣٨- أبوبكر مُجَّد بن السري ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق الحسين القتلي-الطبعة غير مذكورة، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ص: ٥.
- ٣٩- مُجَّد بن عبد الخالق ابن عزيمة، المغني في تصريف الأفعال، الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٩م، ص: ١٣.
- ٤٠- ذكره أبو علي الفارسي في "خزانة الأدب"، المجلد الثاني، ص: ٢٥٩.
- ٤١- محمود فهمي حجازي، المرجع السابق، ص: ٨٥.
- ٤٢- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: ١٥٤.

- ٤٣- عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ص:٦.
- ٤٤- بشير لون، موازنة بين العلامة بيروك عبد الله بن يعقوب السملالي وبين الشيخ عبد الله أويس في شرح نظم المجرازية في الجمل، بحث غير منشور، قدمه صاحبه إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كنو، نيجيريا، وفاء لبعض متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية سنة ٢٠١٢/٢٠١٣م، ص:١٥.
- ٤٥- إبراهيم بن علي ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، ص:٢.
- ٤٦- الطيب دخير، العامل والأثر في الدرس النحوي بين القديم والحديث دراسة وصفية تحليلية نقدية، بحث مقدم إلى كلية الآداب، واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، للحصول على إجازة العالمية (الكتوراه)، ص:٤١.
- ٤٧- الطيب دخير، المرجع السابق، ص:١٤٣-١٤٤.
- ٤٨- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء، الرد على النحاة دراسة وتحقيق للمركز محمد ابن القيم الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، الناشر: دار الاعتصام، ص:٩، و٦٩.
- ٤٩- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص:٦٣-٧٠.
- ٥٠- أقر الدكتور عبد الرحمن بدري في كتابه الشهير: "التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية" بأن عبد الله بن المقفع هو الذي قام بعملية الترجمة وتكلم في ذلك كثيرا في صفحة ما بين: ١٠-١١٩، نشرت الكتاب مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م.
- ٥١- عبد الله بن يوسف ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق عبد الغني الدقر، الطبعة غير مذكورة، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع-سوريا، ص:١٧.
- ٥٢- الطيب دخير، المرجع السابق، ص:١٦١.
- ٥٣- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص:٦٢.
- ٥٤- عبد الرحمن السيد، المرجع السابق، ص:٩٥.
- ٥٥- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، الطبعة الثانية، نشرت في القاهرة، ص:٣٥.
- ٥٦- إبراهيم مصطفى، المرجع نفسه، ص:٦٥.

- ٥٧- روي هذا الحديث بطرق عديدة، منها ما رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود: "إنَّ من أشر أهل النار عذاباً يوم القيامة المصوِّرين (بالنصب)، انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، المجلد ٦، ص: ٥٩، ومنها أيضاً ما رُوِيَ عن أبي معاوية بن عبد اللات الأزدي: "إنَّ من أشر أهل النار يوم القيامة عذاباً المصوِّرون (يرفع المصوِّرون)، راجع صحيح مسلم حديث رقم ٢١٠٩.
- ٥٨- عمر بن قنبر سيبويه، المرجع السابق، ج ١، ص: ٢٩٠.
- ٥٩- عبده الراجحي، المرجع السابق، ص: ٤٩.
- ٦٠- مُجَّد حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الناشر: مكتبة الآداب علي حسن-القاهرة، ص: ٣٣٢.
- ٦١- مُجَّد حسن عبد العزيز، المرجع نفسه، ص: ٣٣٢.
- ٦٢- فاضل فتحى والي، النحو الوظيفي، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع-حائل، ص: ١٩.
- ٦٣- داود عبد العفو سنقرط، العروبة والإسلام، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-قرب الجامع الحسيني، ص: ٦٣.
- ٦٤- داود عبد العفو سنقرط، المرجع نفسه، ص: ٦٤.
- ٦٥- رفعت سيد أحمد، آيات شيطانية جدلية الصراع بين الإسلام والغرب، الطبعة الثالثة، المنقحة ١٩٩٠م، الناشر: الدار الشرقية-القاهرة، ص: ٥٩.
- ٦٦- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: ١٥٣.
- ٦٧- غمبو حسن، ظواهر تصريف الأفعال في القراءات السبع الشهيرة دراسة صرفية تطبيقية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ص: ٣٣.
- ٦٨- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، الطبعة غير مذكورة، ص: ٧٩.
- ٦٩- مُجَّد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٨٨.
- ٧٠- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: ٢٨٩.
- ٧١- شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص: ٣٦٨.
- ٧٢- عبد الرحمن بن مُجَّد أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، الناشر: المكتبة العصرية، ج ١، ص: ٧.
- ٧٣- مُجَّد الطنطاوي، المرجع السابق، ص: ٩٢.

- ٧٤- والحديث أورده الإمام الوادعي (ت ١٤٢٢) في كتابه: "الفتاوى الحديثية ٥٨/١ ولو أن الباحثين قد بحثوا في رواته وقالوا بأنهم لم يجدوا له أصلاً فالعلماء قد أجمعوا على صحة معناه
- ٧٥- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ١٢.
- ٧٦- عبد الله بن الحسين العكبري أبو البقاء، مسائل خلافية في النحو، تحقيق: محمد خير الحلواني، الناشر: دار الشرق العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٢م، ص: ٧٥.
- ٧٧- أبو البقاء، المرجع نفسه، ص: ٧٦-٨٠.
- ٧٨- أبو البقاء، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٧٩- عبد الله بن محمد أبو البركات كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، المجلد الأول، ص: ١٩١.
- ٨٠- ينظر في ذلك: الكتاب، لسيبويه، ٦٦٢/٣، والمقتضب للمبرد، ٤١/٢، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: الكوفيين البصريين، لأبي البركات الأنباري ٧٩/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٧٢١/٧، وغير هذا من الكتب النحوية المشتهرة.
- ٨١- عبد الرحمن أحمد الإمام، الخطيب الشربيني وجهوده النحوية والتصريفية، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات، كانو-نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م، المجلد الثاني، ص: ٩٦٩.
- ٨٢- عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع نفسه، المجلد الأول، ص: ٦٥١.
- ٨٣- عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة غير مذكورة، المجلد الأول، ص: ٧٣.
- ٨٤- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الرّمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق الدكتور علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م، ص: ٢٤٩.
- ٨٥- عبد الله بن يوسف ابن هشام، المرجع السابق، ص: ٧٣.
- ٨٦- كمال الدين أبو البركات الأنباري، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٣٤.
- ٨٧- فكلمة ربعة صفة تستعمل للمذكر والمؤنث وهي كما فسّرها قاموس المعاني "وسيط القامة ومعتد لها". وقد يجمع على رباع وأرباع وربعات فلا ربعون وتستعمل لولد الناقة والبقرة في الربيع الذي ولم.
- ٨٨- أبو البركات الأنباري، المرجع السابق، ج ١، ص: ٣٥.
- ٨٩- هناك بيت شعري أتى به ابن منظور في لسانه عند الحديث عن "ط ل ح" وهو: رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات فالبيت لعبيد الله بن قيس الرقيات.

- ٩٠- مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، جامع الدروس العربية، الناشر: مكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون: ١٩٩٣م، المجلد الثالث، ص: ٧٨.
- ٩١- محمد بن عبد الله أبو الحسن ابن الوراق، علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض/السعودية، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م، ص: ٣٧١.
- ٩٢- الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي، الجمل في النحو، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة: ١٩٩٥م، ص: ٧٠.
- ٩٣- محمد ابن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، الجزء الثامن، ص: ٢٢.
- ٩٤- ابن جرير الطبري، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- ٩٥- غمبو حسن، ظواهر تصريف الأفعال في القراءات السبع الشهيرة: دراسة صرفية تطبيقية، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى، ص: ٣١.
- ٩٦- كمال الدين، أبو البركات الأنباري، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٢٠٦.
- ٩٧- كمال الدين، أبو البركات الأنباري، المرجع نفسه، المجلد الأول، ص: ٢٠٧.
- ٩٨- كمال الدين، أبو البركات الأنباري، المرجع نفسه، المجلد الأول، ص: ٢٠٦.

الباب الثالث:

النحو العربي وتطوره في نيجيريا

الفصل الأول: أولية النحو العربي في نيجيريا

فنيجيريا دولة واسعة الأراضي ومزدهمة الشعوب والقبائل المختلفة والكلمة متكوّنة من كلمتين هما: "النيجر" و"آيرأ". والنيجر على حدّ تعريف العلامة الإلوري: "النيجر محرّفة من نيغرو وهي كلمة لاتينية معناها الزنجي الصغير والأسود القصير ولقد أطلقها الأمم القديمة على سكان غرب أفريقيا وأستراليا كما أطلق العرب عليهم كلمة الزنوج أو النوبة أو السودان"^(١). وبإمعان النظر إلى هذا التعريف الوجيز يجربنا عن ثلاثة أشياء، أولاً: أصل كلمة نيجيريا من أين انخرفت وكيف تغيرت في النطق، وثانياً: المعنى المراد بها، وثالثاً: هي ماذا يطلقها الأمم القديمة. وكلّ من هذه التقاط لم نلتقط منها ساقطتنا ولم ندرك فيها غايتنا لأنها لم تشر إلى ما فيه الكفاية عمّا يعرف اليوم بدولة نيجيريا والذي اشتهر بين المؤرّخين هو أن نيجيريا ما كانت تتسمى بهذا الاسم إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بعدما اتكأ المستعمرون الإنجليز على أريكته وصارت تحت سيطرتهم لأن العرب قبل هذا الوقت الاستعماري يعدونها تحت المنطقة السودانية أو بلاد التكرور^(٢).

ولقد سجل الباحثون والمؤرخون - على اختلاف مستوياتهم وبيئاتهم - بيانات عن موقع نيجيريا الجغرافي، منهم الإلوري الذي يفيدنا في أحد مؤلفاته بموقعها الجغرافي حيث قال: "وتقع نيجيريا ما بين ٤ و ١٤ شمالاً من درجة ٣٠ من خطوط العرض أسفل خط الاستواء، وتحدها شرقاً بلاد كمرون وغرباً الداهومي وشمالاً منطقة النيجر وجنوباً المحيط الأطلسي"^(٣). ثم إليك ما قاله الأستاذ الدكتور إبراهيم جامع: "نيجيريا تقع بالمنطقة الغربية من القارة الأفريقية على رأس خليج غينيا بالمنطقة المدارية بين خطى عرض ٤, ١٤ شمالاً، تحدها من الجهة الشمالية جمهورية نيجر ومن الجهة الجنوبية خليج غينيا ومن الجهة الشرقية جمهورية كامبيرون وبحيرة تشار ومن الجهة الغربية جمهورية بنين الشعبية وتبلغ مساحتها طولاً ١,١٠٠ كم، وعرضاً ١,٣٠٠ كم، ومجموع مساحتها حوالي ٩٢٣,٧٠٠ كيلو متر مربعاً"^(٤).

وهذا التعريف الأخير- كما يبدو- أشمل وأوسع من سابقته وإن كانا يشيران إلى شيء واحد، سوى أن الأستاذ إبراهيم أضاف بيان المساحة إلى قوله. وأرى من الجدارة، نقل خريطة رسمها الجغرافي السوداني إبراهيم الغوري^(٥)، حيث جعل نيجيريا ضمن الأطلس التي وضعها عن أفريقيا مع موقع بعض البلدان المتواجدة فيها من أبوجا ولاغوس وإبادن وغيرها وما جاورها من الدول المختلفة من بينين وبورتونوفو والنيجر وتشاد والكاميرون وغيرها وها هي هذه:

خريطة أفريقيا بما فيها نيجيريا

دول خليج غينيا في افريقيا

62



واليك أيضا خريطة نيجيريا الخالصة:



فنيجيريا كغيرها من الأمصار الإسلامية التي يدخلها الإسلام واللغة العربية بواسطة رجال ضحوا أنفسهم لهذا الدين أو تجار ينتقلون من قارة إلى أخرى أو بلد وآخر طلبا للبيع والشراء وتنتشر على أيديهم العربية والإسلام. وقد عرفت نيجيريا هذه الحركة منذ بعيد وتقدمت العربية بفضلها وتطوّرت حتى انتشرت في أنحاء البلاد وصارت تنمو وتعلو حيناً وتخفّض وتسفل حيناً آخر مع الازدهار تارة والتدهور تارة أخرى نلمس هذه الأشياء إذا تتبعنا مراحل التي اجتازتها.

ولا يكمل الحديث عن أولية النحو العربي في هذه الديار إلا إذا ربط مع دخول اللغة العربية إليها. ولقد أفادنا المراجع التاريخية وخاصة الأستاذ الدكتور شيخو غلادنتي في حركته^(٦) بأن اللغة العربية سبقت الإسلام بالدخول إلى نيجيريا لأنها دخلت عن طريق التجار المتجولين العرب ولا يخفى ما بين البائع والمشتري من علاقة عند العقل السليم فهذا بائع عربي وذاك مشتر نيجيري فيضطرّ الإثنان إلى أداة التفاهم بينهما ومن هنا بدأ النيجيريون يلتقطون بعض الكلمات العربية من أفواه العرب البائعين إلا أن هذه الكلمات لم تتجاوز الألفاظ السوقية ولم ترتق إلى درجة التراكيب الفصيحة أو العبارات الصحيحة وبدخول الإسلام إلى هذه الديار بدأت اللغة العربية تتوسع وتنتشر شيئاً فشيئاً لاحتياج المسلمين إلى ما يؤدون بها فرائض دينهم الإسلامية ولأن اللغة العربية والدين الإسلامي توأمان لا يمكن فصل أحدهما عن الأخرى. قال الإلوري: "إن اللغة العربية جزء من الإسلام لا يتجزأ وأنه لا يمكن فهم الإسلام إلا بتذوق اللغة العربية ولا يتم تذوق العربية إلا بالوقوف التام على أسرارها وآدابها ولا يؤدّي الطقوس الإسلامية على وجهها بالصحيح إلا باللغة العربية"^(٧).

ولا يمكن تحديد الزمن الذي وجدت العربية والإسلام طريقهما إلى نيجيريا لأن المراجع لم تفد بذلك إلا بعض اللمسات التاريخية التي تثبت بأن الفتوحات الإسلامية هي التي سببت وجود الإسلام في غرب أفريقيا منذ عصر الصحابة بقيادة عقبة بن نافع فاتح أفريقيا والتي تقرر أيضا بأن التجار الذين ينقلون الصالة التجارية والبضائع من قارة إلى أخرى ومن أفق إلى أفق آخر أسلم بعض الهوساويين على أيدي هؤلاء إلا أن مملكة برنو أقدم هذه الممالك إقبالا على الإسلام والعربية ونرى من الأقوال من بعض المؤرخين ما يدّعي بأن مملكة برنو قد عرفت الإسلام منذ القرن الأول

المجري إلا أن غلادنتي قد فند هذا القول وشكك فيه لعدم وجود سند تاريخي قوي يثبت ذلك. وزعم الشيخ قريب الله الكبرى نقلا عن مخطوط "العينان النضاختان في تاريخ نيجيريا وعقبين الفاتحين" لوالده المتوفى "رحمه الله" بأن الإسلام قد انتشر في بلاد هوسا واستقرت به الحال منذ القرن الثاني الهجري ويستقدم إليها العلماء وتنشأ فيها المدارس العربية والإسلامية ويقرأ فيها الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك ولم يزل الإمام على قيد الحياة حين ذاك يعيش ويدرس في المدينة. وقال: "قدم الإمام يحيى بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن الإمام علي (كرم الله وجهه) جاء من المدينة المنورة ومعه جمع غفير عام ١٨٠ هـ وكانت البلاد سابقا على نهج الصحابة والتابعين فقدم إليهم بالمذهب المالكي وصاحب المذهب في قيد حياته"^(٨).

ويخالف مذهب الكبرى هذا ما سجّله الإلوري قبله بأن بلاد هوسا عرف الإسلام في القرن الثاني عشر الميلادي الذي يوافق القرن الرابع أو الخامس الهجري وأدّعي الكبرى بأن مدرسة جندتو تؤسّست منذ القرن الثاني الهجري ولا يمكن تأسيس المدرسة إلا بعد ما قد دخل الإسلام واستقرت حاله، وفي هذا القرن (القرن الثاني الهجري) لما أنشأت بلاد هوسا على حدّ ما أرّخه الإلوري فضلا عن دخول الإسلام إليها أو تأسيس أي مدرسة فيها لأن أبا زيد الذي يعتبر أبا أصليا لملوك هوسا السبع-إن صحت النسبة-نرح من بغداد في أواخر القرن الثامن الميلادي الموافق الثالث الهجري. ويقول الإلوري: "اتفقت أقوال المؤرخين لبلاد (هوسا) أن ملوكها السبع يرجعون في أصل تكوينهم إلى رجل عربي مسلم يعرف بـ"أبا زيد"، وقال شيخنا آدم نماج الكنوي أن اسمه هوذة نرح من بغداد في أواخر القرن الثامن الميلادي وهام على وجهه في الأرض حتى وصل إلى دوره، ثم أصبح أحفاده ملوك (هوسا) السبع في (دوره)، و(كنو) و(كاشنه) و(زكرك) و(زنفره) و(برنو) و(بُرم)"^(٩).

وأين وجه التوافق بين هذا النص الإلوري والنص الكبرى...؟ وإذا صحت نسبة دخول الإسلام إلى نيجيريا منذ عصر الصحابة وبالتحديد: القرن الثاني الهجري وإقامة المدرسة المالكية في جندتو على حسب تعبير الكبرى فليس من نافلة القول أن نرجع أولية النحو العربي في نيجيريا إلى هذا القرن لأن هؤلاء العلماء كعادتهم عند دراسة العلوم الشرعية الإسلامية أن يضيفوا إليها بعض

العلوم اللغوية خصوصًا ما يرشدهم إلى النطق الصحيح للغة العربية والفهم العميق لكتاب رب العباد ولم لا...؟ وقد بدأت دراسة النحو العربي آنذاك في البصرة وكوفة وصارت عروقه تنمو وتفتح.

ولم يدون لنا الحقائق التاريخية- في علم الباحث- شيئًا عن أحوال اللغة العربية بما فيها النحو العربي في نيجيريا سوى ما أورده سابقا عن القرن الثاني الهجري ولم نعثر على نتائج علمية وحركات لغوية بعد هذا القرن غير لقطات أخبارية تقول بأن اللغة العربية تعيش في مستوى حضيض ومرتبة ضئيلة وذلك ما بين القرن العاشر الميلادي والقرن الرابع عشر الميلادي لعدم وجود علماء أكفاء يبلغون مرحلة التأليف والتصنيف في هذه الفترة وفي القرن الرابع عشر الميلادي بدأت تنمو وتتسع شيئًا فشيئًا لعوامل وأسباب يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- إقبال الوفود إلى بلاد هوسا، وأول وفد كما سجّله التاريخ وفد الونجراويين الذين دخلوا كنو في زمن الأمير علي ياجي بقيادة زعيمهم عبد الرحمن زيتي^(١٠)، ولهذا الوفد أثر عظيم في تقديم عجلة اللغة العربية إلى الأمام حينئذ إذ كانوا يدرّسون ويعلمون.
- زيارة العلماء الأجلاء لبلاد كنو وكاتشنة وغيرهما من أمثال الإمام عبد الكريم المغيلي والإمام جلال الدين السيوطي وغيرهما، فقد قال العلامة الإلوري عن هذين العالمين وزيارتهم لدولة نيجيريا: "لقد سجل كل من كتب عن المغيلي أنه قضى معظم حياته في بلاد السودان... وأبقى التاريخ من آثار السيوطي رسالته التي بعث بها إلى ملوك وأمراء بلاد التكرور عموما وإلى سلطان (كاشتنة) خصوصا... إلى أن قال: "...مما يرجح القول بأن لقاء السيوطي مع المغيلي إنما وقع في بلد من البلاد التي تعرف اليوم باسم نيجيريا"^(١١).

وسجّل "ثيظ" في كتابه بأن هذه الزيارة قد بدأت منذ القرن الرابع عشر الميلادي وذكر علماء آخرين غير هذين العالمين المشهورين وقال: "...ومن العلماء الذين وصلوا إلى هذه البلاد: الشيخ أحمد بن عمر بن أحمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي المتوفى سنة ٩٤٣ هـ زار هذه

البلاد وأقام بها مدة يدرس فيها حتى انتفع به جمع غفير... وهو جدّ للشيخ أحمد بابا التمبكتي إلى أن قال: "ومنهم: القاضي مُحمَّد بن أحمد التازحي المتوفى سنة ٩٣٦هـ" (١٢).

وأدّت زيارة هؤلاء العلماء إلى تطور اللغة العربية في هذه الديار وأثمرت لأنهم مكثوا طويلا وتصدوا للتدريس بها وبدأ العلماء يقبلون عليهم إقبالا سديداً.

- قيام بعض علماء هوسا بزيارة بيت الله الحرام قصداً للحجّ وإذا مرّوا في طريقهم بعالم في مصر وغيره ينزلون عنده ويقروون عليه بعض الكتب الدينية واللغوية.

وهكذا كانت الحال في نيجيريا قبل القرن السابع عشر الميلادي وقبل مجيء الشيخ عثمان بن فودي بقليل وتأسيسه للدولة العربية الإسلامية وذلك سنة ١٨٠٤ في صكتو وبلغت العربية والدرس النحوي بذلك مرتبة النضوج بفضل جهود الشيخ عثمان ومن قبله من العلماء أمثال شيخه جبريل عمر وغيره ومن معه من أعوانه أمثال أخيه عبد الله بن فودي وابنه مُحمَّد بلو وغيرهما.

الفصل الثاني: الكتب المعتمد عليها لدراسة النحو العربي في نيجيريا

ثبت في المصادر التاريخية بأن المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا حظيت بعناية العلماء المؤسّسين والمسلمين الذين يرسلون أبنائهم إلى هذه الكتاتيب قصداً لمعرفة ما يؤدّون بها فرائض دينهم الإسلامية وليتدربوا على قراءة القرآن الكريم قراءة مجوّدة حتى يحفظوا منه أو كله ويطلقون على هذه المدارس الأهلية بالدهاليز على غرار ما يسمون بالكتاتيب في منظور أبناء العرب وكثرت هذه الدهاليز حتى صار لكل عالم دهليزه الخاص ويفضلون أسلوب قراءة القرآن للتلاميذ سردا بدون أن يختلطوا بينه وبين علوم أخرى إلا القليل النادر منهم كما أقرّ بذلك الإلوري في قوله: "... غير أنه يوجد في القليل النادر بعض بيوت للعلماء من يجمع بين تعليم القرآن وأشياء قليلة من دروس التوحيد والفقّه والشعر وذلك إذا انتصف التلميذ قراءة القرآن وهذه الطريقة كما ترى أقرب إلى طريقة المغاربة قليلاً" (١٣).

ولكنهم لما رأوا ضرورة فهم اللغة العربية وعدم إتقانها بدون معرفة متون اللغة وقواعد النحو والصرف وضوابطهما، وضعوا لها بعض الكتب المبسطة يغدوا إليها الطالب ويروح ويجني من ثمار جنتها وإذا أتقن فهم واحد منها ينتقل إلى ما يليه في المرتبة على حسب ما وضعه هؤلاء العلماء.

وبدأت هذه الحركات أو هذا الأسلوب تنمو وتطور شيئاً فشيئاً حتى تنوّعت وتفرعت ورأينا من تفرغ أخيراً لدرس وتدريس علم النحو بكثرة المطالعات والاتصال بأمهات الكتب النحوية الضخمة وذلك بعد ما أنهى من قراءة الكتب النحوية المقررة مع أن الوسيلة الوحيدة المستخدمة لشرح الدرس حينئذ التراب ويقوم الأستاذ باستعمال يده للكتابة على التراب ثم يمسح بعد الشرح ويكتب مكانه درساً آخر وهكذا.

أما الذي اتفقت عليه أقوال المؤرخين عن الكتب المعتمد عليها في هذه القرون التي تعتبر بدوراً أولياً للنحو العربي في هذه الديار هو أن التلميذ إذا ختم قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الإسلامية اليسيرة يلجأ إلى كتاب متن الآجرومية في علم العربية للإمام أبي عبد الله الصنهاجي وهو من علماء القرن الثاني والثالث الهجريين ولعل السبب الذي حملهم على أن يضعوا هذا الكتاب كأول كتاب نحوي يتعرف به التلاميذ على مادة النحو هو أنه أيسر وأصغر ما وصل إليهم من المراجع النحوية آنذاك وهو صغير الحجم قليل الصفحات مبدؤاً بموضوع الكلام ومختوماً بمحفوظات الأسماء.

وإذا هضم التلميذ مضمون هذا الكتاب فهما وتبينا ينتقل منه إلى ما هو أصعب منه في نظرهم وهو ملحّة الإعراب للإمام الحريري البصري قال محمد صالح حسين "وأما منهج تعليم الطلاب النحو فينبغي أن يقتصروا على الكتب التالية: "كتاب الآجرومية متناً وشرحاً، وملحّة الإعراب ثم قطر الندى، وألفية ابن مالك، ولامية الأفعال لابن مالك أيضاً"^(١٤).

وبعد مرور الزمان ظهر كتابان جليلان اعتبرا أيسر كتب لإيصال علم النحو إلى أذهان التلاميذ وفهمه هما: أيا طالب الإعراب وهي قصيدة منسوجة على البحر الطويل وهناك اضطرابات بين الباحثين في نسبة هذه القصيدة، منهم من أسنده إلى الشيخ عثمان بن فودي ومنهم من أسنده إلى أخيه عبد الله كالعلاّمة الإلوري، ومنهم من قال بأنّها مجهولة القائل، وقد علّق الدكتور قاسم إبراهيم على هذه الأقوال في إحدى مقالاته الأكاديمية^(١٥)، وهي على ثمانية وثلاثين بيتاً كما أقرّ بذلك الناظم بقوله:

ثلاثين بيتاً فارعها وثمانية * تعلمك يوماً ما تعلم في الشهر

ومطلعها:

أيا طالب الإعراب دونك جملة ** من أحرفها ألفتها لك في الشعر. (١٦)

ثمّ كتاب "باسم ما هو" - على حسب ترتيب الكبرى في الرسالة الجلية- وإذا انتهى الطالب من قراءة هذين الكتابين ينتقل إلى متن الآجرومية ثم ملحّة الإعراب فقطر الندى... وإلى غيرها. وهذا هو الأسلوب التقليدي لدراسة علم النحو العربي في نيجيريا إلى أن اهتدى علماءنا إلى إنشاء المدارس العربية النظامية وجعلوا علم النحو والصرف ضمن المواد المدروسة ووضعوا لها كتباً قيمة مفيدة يقرؤها الطلبة منذ أن قد تدرب على إجادة النطق بالحروف العربية بأسلوب ثقافي حديث ومنهم من يبدأ دراسة النحو لتلاميذه إذا وصلوا إلى المرحلة الثانية الإعدادية ومنهم بعد ذلك حسب منهج كل مدير وأسلوب كل مؤسس ونرى منهم من يقدم بعض الكتب الإسلامية-بعد قراءة القرآن- إلى تلاميذه طائفاً إذا فهموا بعض هذه الكتب يتهيأ عقولهم لفهم الدرس النحوي وكأن على هؤلاء يرّد العلامة الإلوري بقوله: "... ولقد جربت أنا الكاتب لهذه السطور طريقة تقديم العربية والنحو والإنشاء والتجويد على تعليم القرآن فنجحت في تخريج مئات من التلاميذ الذين جمعوا بين مبادئ الدين واللغة العربية على شيء من مبادئ التجويد على طريقة السرد لا الحفظ" (١٧).

وقد تطور الدرس النحوي في نيجيريا منذ بدء إنشاء تلك المدارس العربية وتغير أسلوب تدريسه ولا يمكن إحصاء الكتب المعتمد عليها منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا وخاصة بعدما أنشئت الجامعات والكليات والمعاهد العليا في نيجيريا وصار من اللازم ترتيب مادة النحو في الطليعة الأولى من المواد المدروسة ولا تخلو مرحلة من المراحل العلمية في نيجيريا من دراسة النحو العربي بأنواع الكتب المقررة من أمثال ألفية ابن مالك، وشرح ابن عقيل، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام، وملحّة الإعراب للإمام الحريري، وكتاب شذا العرف في فن الصرف للإمام الحملاوي والنحو الواضح في قواعد اللغة العربية بأجزائه الثلاثة لعلي الجارم ومصطفى أمين والرسالة النحوية للمدارس الابتدائية لأبي بكر تيام. حسب ترتيب كل مدرسة أو كلية أو جامعة إضافة إلى ما يحصل عليها الطالب من كتب نحوية أخرى من كثرة المطالعات والمذاكرات.

الفصل الثالث: بداية التأليف في النحو العربي في نيجيريا

ليس من السهل تحديد بداية التأليف النحوي في نيجيريا لأسباب منها:

أ. أنّ العلماء ما كانوا يدرسون علم النحو العربي- في أول وهلة- كعلم مستقل بل يدرسونه كمادة إضافية تساعدهم- فقط- على فهم كلام الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ومعرفة التراكيب الصحيحة من اللغة العربية التي بعدم فهمها عدم فهم الإسلام، فلا غرابة في ذلك لأن شأنهم هذا يشبه بشأن العلماء البصريين الذين تمت النشأة النحوية على أيديهم فيشمل الغرض الديني سبعين في المائة- نظراً لما سجّله المؤرّخون عن سبب الوضع- من الأغراض التي من أجلها وضعوه حتى وإن وجد منها أغراض أخرى كالاقتصادي وغيره فالديني أكبر هذه الأغراض وأعلاها.

ب. عدم اعتناء علمائنا بتراثهم العلمي بأنفسهم ويفضّلون الاعتماد على ما كتبه العرب اعتقاداً بأن فيها الكفاية لما يتغيه طالب علم أو باحث نفع وساقهم إلى ذلك روح التواضع والاعتراف بجهود السابقين وإعلان مؤلّفاتهم ولم يروا جهودهم وحركاتهم شيئاً يُفتخر بها بل الفضل كله للمتقدّم، أضف إلى ذلك خوفهم من الوقوع في الخطأ إذا كتبوا أو ألّفوا وفرّ بعضهم من التأليف والتصنيف فرار الآبق فرغبوا عنها حتى لا يطعن النقاد أو القراء في أعراضهم ونتائجهم وإليهم يشير العلامة الإلوري بقوله: "...وكثير من يضيق صدره بالتأليف ولا ينطلق قلمه بالكتابة فرارا من طعن ألسنة الناس الذين يجمدون القرائح أن تجود بما وهبها الله ويقولون: "لا يزال المرء في فسحة من أمره حتى يؤلف كتاباً أو يقول شعراً"^(١٨).

ج. عدم الاحتفاظ على هذه المؤلّفات: ذلك أننا رأينا من هؤلاء العلماء- مع هذا وذاك- من تصدر للتأليف وتجراً للكتابة شعرا ونثرا ولكن معظم هذه المؤلّفات لم تشهد النور حتى وافتهم منيتهم وصارت- بعد- تعيش تحت سقف مساكنهم وتجاوز مع ذباب بيوتهم وضاعت بذلك أكثرها وأكلت الأرضة معظمها وانتحل الناس نصفها، اللهم إلا في أواخر الزمان عندما رأينا رجالا ينقحون ما بقي من هذه المخطوطات ويحققونها ويشرحونها

وينفخون عنها الغبار ويلبسونها بزي الطباخة والتقديم وما عهد رئيس وزراء شمال نيجيريا وجهوده في إخراج كتاب جدّه مُجّد بللو عنا ببعيد.

وهذه هي الأحوال التي مرّت على مؤلّفات علماء نيجيريا بكثرتها بما فيها المؤلّفات النحوية. أما الذي أهدته إلينا المراجع وأفادتنا بها المصادر وسجلتها الأبحاث العلمية أن بداية التأليف النحوي في نيجيريا بدأ في القرن السابع عشر الميلادي ويوافق القرن الثاني عشر الهجري وهذا لا يعني عدم وجود مؤلّفات لغوية أو دينية قبل هذا الوقت لكن حديثنا في هذا البحث يتركز على النحو العربي لا غير ولا يمكن معرفة أول من قام بهذه الحركة إلا أن الشيخ مُجّد الوالي بن سليمان يعد من الأولين في هذا الشأن وإن لم يكن أولهم لأنه توفي سنة ١٦٨٩م كما سبق القول وتألّفاه المذكوران (معين الطالب في شرح الأرجوزة الوردية وتدريب الطلاب على تحسين صنعة الإعراب) من الكتب النحوية المفيدة التي خلفها العلماء الأوائل في نيجيريا، وكذلك الشيخ الطاهر بن إبراهيم الفلاقي المتوفى سنة ١١٦٠هـ، وصاحب كتاب الدرر اللوامع ومنار الجوامع في علم التصريف، ونظم عوامل الجرجاني وغيرهما ثم تطور شيئا فشيئا حتى تكاثرت الكتب وتضاعفت المؤلّفات وخاصة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين بعد تأسيس الدولة العثمانية الفلانية في صوكوتو وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى ما اعتاده هؤلاء العلماء الأوائل في التأليف النحوي ويتمحور ذلك في ثلاثة أشياء:

- شرح كتب نحوية ألفها غيرهم قصدا لتسهيل مضمونها وبيان غموضها كما فعل الشيخ جبريل عمر في شرحه لفريدة السيوطي وعثمان بن إسحاق التوردي في "فتح اللطيف في علم التصريف" شرح لمروى الصدي لابن صالح الفلاقي وأيضا في شرح الفريدة وإعرابها للسيوطي ثم في شرح الحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فودي. وكذلك ما قام به مُجّد الوالي بن سليمان في معين الطالب شرح للأرجوزة الوردية والعلامة علي جب في شرحه للامية الأفعال لابن مالك، وغيرهم.
- نظم المنثور: ويوجد ذلك في حركاتهم النحوية في قلب نثر غيرهم نظماً اعتقاداً لتيسير حفظه للطلاب كما فعله أيضا الشيخ جبريل في نظمه لأوضح المسالك لابن هشام

والشيخ الطاهر بن إبراهيم فيرم في نظمه للعوامل المائة للجرجاني، والشيخ عبد الله بن فودي في نظمه للباب الرابع من كتاب "الأشباه والنظائر" للإمام السيوطي، وقد أطلق الإمام السيوطي على هذا الباب عنوان: "اللمع والبرق في الجمع والفرق" وأسمى عبد الله منظومته بـ "لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق" وإليك ما قال: "

وبعد فالمقصود نظم فاصلٍ ** مشتبه الأبواب والمسائل
 في النحو نثر سيد الأكاير ** في رابع الأشباه والنظائر
 للعالم العلامة السيوطي ** وربنا لما نريد معطي
 سميت نظمي فيه "لمع البرق" ** فيما لذي تشابه من فرق. (١٩)

- أعمال نحوية مالها أي علاقة بكتب غيرهم: ليس شرحا لكتاب ولا نظما لتأليف وإنما قاموا بذلك بأنفسهم اعتمادا على قواعد وضوابط وضعها النحويون ككتاب مروى الصدي للشيخ مُجَّد بن الفلاقي والدرر اللوامع ومنار الجوامع للشيخ الطاهر بن إبراهيم فيرم والحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فودي وتدريب الطلاب على تحسين الإعراب للشيخ مُجَّد الوالي سليمان وكتاب النافع السابل على الجامع الشامل للشيخ موسى الأديب المنشئ وغيرهم من العلماء النحويين النيجيريين الذين ألفوا وصنفوا كتبوا وبرعوا وخلفوا ورائهم تراثا ضخماً لو طلع عليها العرب ما وسعهم سوى أن يطأطئوا رؤوسهم إجلالا للقرائح التي جادت بها مع بعد المسافة وعدم توفر الإمكانيات المادية والمعنوية.

الفصل الرابع: النحاة الأوائل في نيجيريا

شاء القدر أن يتولى أبو الأسود الدؤلي رئاسة علم النحو العربي برمته كما سجّله التاريخ وصار بذلك أبو إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وعنبسة الفيل وأبو عمرو بن العلاء ثم يونس بن حبيب فالخليل بن أحمد الفراهيدي حتى سيبويه صاروا في الطليعة الأولى عند ذكر أسماء النحاة الأوائل في البصرة حينما فاز أبو جعفر الرؤاسي ومعاذ بن مسلم الهراء فالكسائي بمنصب إمامة النحو في الكوفة، فمن اللازم-فالحالة هذه-أن يكون لكل بلد-تعتني بدراسة علم النحو العربي-نحاة أوائل تذكر أسمائهم وتسجّل أخبارهم عند الحديث عن الحركات النحوية في تلك

البلاد. هذا، فلم نسمع عن أخبار النحاة في نيجيريا إلا في أواخر القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين لأن المراجع التاريخية لم تفدنا أكثر من ذلك إلا إذا اعتقدنا بوجود مدرسة جندوتو العلمية منذ القرن الثاني الهجري (اعتمادا على قول بعض المؤرخين النيجيريين) بقدم الشيخ يحيى "معاصر إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى" من المدينة المنورة كما سبق القول-ولعلّ الذي حمل هؤلاء المؤرخين على إرجاع وقت دخول الإسلام إلى نيجيريا منذ القرن الثاني الهجري وتأسيس المدرسة المالكية في جندوتو هو ما ذهب إليه القلقشندي في كتابه حيث يقول: "وأول من بث الإسلام فيهم الهادي العثماني، ادّعى أنه من ولد عثمان بن عفان" ﷺ وملكها، ثم صارت بعده لليزيينيين. ثم قال: "وذكر في "التعريف": أن سلطان الكانم من بيت قديم في الإسلام وقد جاء منهم من ادّعى النسب العلوي في مبني الحسن... إلى أن قال: والعدل قائم في بلادهم، ويتمذهبون بمذهب الإمام مالك وهم ذوو اختصار في اللباس يابسون في الدين وعسكرهم يتلثمون وقد بنوا مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم" (٢٠).

فنتبس من ذلك وجود الدرس النحوي منذ ذلك الحين في نيجيريا وإلى هذه النقطة يشير الشيخ محمد الناصر الكبري عندما قابله أحد الباحثين الجامعيين وقال الشيخ: "للدس النحوي حركة عظيمة في بلادنا منذ القرن الأول لدخول الإسلام فيها وقد توارثه العلماء عالم عن عالم وكذلك توجد بعض الأسر والمناطق التي اشتهرت به" (٢١).

فانطلاقا من هذا البيان، إن صحّ وجود الدرس النحوي في ذلك القرن فيكون بمستوى حضيض جدّا لا يمكن بذلك تسجيل أسماء رجال تنسب إليهم الحركات النحوية درسا وتأليفا لأن هذا العلم بذاته لما ينتشر في أنحاء العالم وقتئذ ولم يتجاوز مرحلة الوضع والتكوين عند العلماء البصريين.

ومهما يكن من شيء، فإن الذي تحالفت عليه أقوال الباحثين المؤرخين وأفادتنا بها المصادر عن النحاة الأوائل في نيجيريا هم الذين ظهروا بحركاتهم المضنية وجهودهم النحوية المثمرة في القرن السابع عشر الميلادي، وقد يوجد قبلهم نحاة متفوقون لكن المؤرخين لم يرووا إلينا أسمائهم فضلا عن جهودهم وإسهاماتهم النحوية ولربما قد ضاعت أخبارهم وذهبت مع العاصفة كما

اعتدناها في أفريقيا عامة وفي نيجيريا خاصة لعدم اهتمام بعض السابقين بتراث علمائهم الأولين واندرست بذلك معالم لا تحصى وطمست بها آثار لا تعدّ وقال العلامة الإلوري مخبرا عن أحوال تراث علماء أفريقيا بما فيها نيجيريا: "... ولقد فات كثير منهم من سجلّ التاريخ كما ضاع أكثر مؤلّفاتهم تحت أنقاض الأطلال أو نسبت مؤلّفاتهم إلى غيرهم جهلا أو انتحالا"^(٢٢).

وبدأت مؤلّفات هؤلاء تمحى وتنسى ومنها ما بقيت أسمائها ولم ننتفع بمضمونها لعدم العثور عليها ما إذا وقفنا عليها وقرأنا صفحاتها لتفيدنا أكثر وليضيف إلى شرف علمائنا الأوائل وتراثهم العلمي. ومن بين هذه الكتب كتاب "ترقيق ما قسا في ذكر علماء بلاد هوسا" للشيخ آدم نماج الكنوي وحتى الإلوري الذي يعتبر أكبر تلاميذ هذا الشيخ اعترف بأنه لم يعثر على نسخة الكتاب^(٢٣).

وإليك أسماء هؤلاء النحاة الأوائل في نيجيريا على قدر ما حصل عليه الباحث لأن ما لا يدرك كله فلا يترك جلّه وسيأتي الحديث عن مؤلّفاتهم النحوية ونتاجهم العلمية إذا جاء أجلها في هذا البحث- إن شاء الله تعالى-.

١. الشيخ العالم النحوي الطاهر بن إبراهيم فيرم

تشابهت الروايات حول زمن الذي عاش وتوفي فيه لأن الدكتور مُجّد صالح حسين عدّه من علماء القرن الثامن عشر الميلادي^(٢٤)، وسجّله الإلوري مع علماء القرن الثاني عشر الهجري لأن وفاته وقعت في ١١٦٠هـ^(٢٥)، وهناك التوافق بين التاريخين ولم تنزل الآراء تتضارب حول سنة وفاته فمعظم المؤرّخين تركوا ذكر تاريخ الوفاة، أمثال: مُجّد بللو في "إنفاقه" والشيخ قريب الله في "رسالته"، ومُجّد صالح في "بحثه"، وغيره، ولعلّهم يفرّون من الوقوع في الخطأ لعدم صحّة التاريخ سوى الإلوري الذي سجّل ١١٦٠هـ لوفاته كما سبق الذكر، ويوجد من الباحثين من سجّل له أيضا ١٧٧٦م، ومنهم من سجّل ١٧٤٨م، ومنهم ١٧٦٦م^(٢٦)، وقيل إنه أخذ العلم عن الإمام البكري كبير علماء باغرم وبرنو، ومن مؤلّفاتهِ: "نظم السنوسية الكبرى" أسند الإلوري هذا الكتاب إلى فيرم والبكري معًا، ولم ندر أيّهما أحقّ به، أما ما لم كبرى في "رسالته"، ومُجّد بلو في "إنفاقه" عدّا كتاب "نظم الكبرى" ضمن مؤلّفات فيرم ولعلّهما يقصدا بذلك: "نظم السنوسية

الكبرى"، ومن مؤلفاته أيضا "الدرر اللوامع ومنار الجوامع" في علم التصريف ونظم عوامل الجرجاني. ولقد ذكره الدكتور فاروق ثيظ ضمن العلماء الذين قاموا بزيارة علمية مثمرة لهذه البلاد إلا أنه لقبه بالفلايني بدلا من فيرم^(٢٧).

وكتبه الإلوري "بقيومه" أما الباحث الحالي فيرى أنهم يشيرون إلى شخص واحد، لما أقره الكبرى بأن أصله من فلات برنو وفيرم كلمة كانورية معناها بالعربية بقعة ذات بقر^(٢٨).

٢. الشيخ العالم محمد بن صالح الفلايني المغربي

سبق أن قلنا بعدم الوقوف على تراجم معظم هؤلاء العلماء منهم من لم يسجله التاريخ ومنهم من قد ضاعت أخبارهم، أما الذي يدعو للغرابة أيضا هو وجود عالم نحوي كبير بجره زاخر يتدفق في علم النحو والصرف مثل الشيخ محمد صالح الفلايني الذي لو انتسب إلى العرب ليفتخروا بجهوده وحركاته العلمية وليسجلوا أخباره في بطون أمهات كتبهم، نظم قصيدة تقرب على ألف بيت في علم الصرف أي ٩٧٣ بيتا كما أقر الناظم بذلك في قوله:

وأبياته جعجعت وفت عام زمقشي* * لهجرة سيف الله أحمد أرسلنا

ويقصد بكلمة "جعجعت" أرقام الحروف الأبجدية التي تعني الجيم ٣، والعين ٧٠، والغين ٩٠٠، على غرار ما نظمه ابن مالك في ألفيته وطبقت شهرته في الآفاق بذلك وله غير ذلك من الكتب وعاصر الشيخ عثمان بن فودي إضافة إلى أنه من المعمرين طويلا لأنه عاش أكثر من مائة سنة ومع هذا وذاك لم تفدنا المراجع التاريخية بحياته ونسبه وضنت كتب الذين كتبوا كثيرا ورسموا أخبارا عن ترجمته ونتاجه بما فيهم العلامة الإلوري في كتابه الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، والدكتور علي أبوبكر في الثقافة العربية في نيجيريا والبروفيسور أحمد شيخو غلادنتي في كتابه حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦هـ، ومحمد بلو بن عثمان في كتابه إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، وغيرهم حتى الشيخ قريب الله الكبرى الذي كتب أخيرا عن دولة صوكوتو والحركات العلمية والدينية قبلها وبعدها إلا بعض المستشرقين الذين يكتبون عن أفريقيا وعلمائها والجهود العربية والإسلامية فيها هم الذين دونوا القدر اليسير عن

أخباره مما لا يسمن ولا يغن من جوع ثقافته العربية والإسلامية وكأنّ لسان هذا الشاعر يقصد الشيخ مُجّد بن صالح في هذين البيتين:

وقد يأتيك خير من بعيد ** وقد يأتيك بالشر القريب
وقد تدعو القريب فلا يلي ** وقد تدعو البعيد فيستجيب

وعلى رأس هؤلاء المستشرقين الذين ذكره ضمن مؤلّفاتهم الإنجليزية: جون أو. هنوك (John .O. Humwihk) فقد سجّل خبر هذا الشيخ في كتابه المعنون بـ "Arabic Literature of Africa Volume II" تطرق إلى حديثه وهو يتكلم عن أعمال عثمان بن إسحاق التوردي صاحب كتاب "فتح اللطيف في علم التصريف" وزعم بأن هذا الكتاب تعليق وشرح لكتاب مُروي الصدي لمحمد بن صالح الفلاقي وبين أيضا في مكان آخر بأن هذا الشيخ مجهولة الأسرة^(٢٩) وله من المؤلّفات أيضا: تقييد الأخبار وإن لم نعر عليه إلا أن موري لست "Morray Last" ذكر هذا الاسم في كتابه "الخلافة في صكوتو" ونسبه إلى مُجّد بن صالح.^(٣٠) ولذلك يصعب الحصول على وفاته إلا بعض الظنون من الباحثين واخترع له ثبط ١١٠٧هـ كتاريخ ولادته و١٢٢٨هـ كوفاته من باب الافتراض والتخمين لا على وجه التحقيق والتثبيت.

٣. الشيخ جبريل بن عمر

لقد خلت المصادر التاريخية من ذكر تاريخ ولادة هذا الشيخ ووفاته مع أنهم يذكرون آثاره العلمية وحركاته الدعوية ومؤلفاته الدينية واللغوية معا ويرجع إليه فضل ما منّ الله به على علماء الدولة الفودية لأنه أستاذهم جميعا قرءوا عليه معظم الكتب وتلمذوا بين يديه وخاصة الشيخ عثمان بن فودي نفسه الذي قال في حقه اعتراضا لصنعه الجميل فيهم وإقرارا لاقتباسهم من علومه الغزير وقال:

إن قيل فيّ بحسن الظن ما قيل ** فموجة أنا من أمواج جبريل^(٣١)

ووصفه الشيخ عبد الله بن فودي أيضا بعد رجوعه من بيت الله الحرام لأنه حج مرتين كما سجله المؤرّخون في وقت قلما تجد من يحج مرة من علماء زمانهم لا لأنهم لا يهتمون بها أو لم

يؤمنوا بركنه من قواعد الإسلام ولكن لعدم توفر الإمكانيات المادية والمعنوية آنذاك وقد قال تعالى:
﴿...من استطاع إليه سبيلاً﴾ [سورة آل عمران:].

ونظم عبد الله بن فودي قصيدة يرحبه بها مطلعها:

جبريل من جبر الإله به لنا ** دينا حنيفا مستقيم المنهج
شمس الصّحى بزغت بغرب فان ** تهمت للشرق تشرق للقريش وخزرج^(٣٢).

فالذي أفادتنا بها المراجع أنه قرأ عليه خلق كثير من علماء زمانه وسافر كثيرا قصدا لاستزاد العلم ولقاء رجاله، والتقى بأعيان العلم ورجال المعرفة خارج هذه الدولة أشهرهم الشيخ مرتضى الزبيدي صاحب "التكملة والصلة والذيل لما فات صاحب القاموس من اللغة" في مجلدين ضخمين وغيره من الكتب المفيدة وأخذ عن الشيخ علي جب والشيخين الأخوين أبي بكر بن الحاج عثمان وعلي بن الحاج عثمان^(٣٣) ذكره الدكتور محمد صالح حسين ضمن علماء القرن الثامن عشر الميلادي، وله من المؤلفات النحوية ما تأتي:

١- شرح الفريدة للسيوطي

٢- نظم أوضح المسالك لابن هشام

وله كتب دينية أخرى لا نشتغل بذكرها هنا.

٤. الشيخ العالم ابن إسحاق التوردي

واسمه الكامل عثمان بن إسحاق التوردي ولم يحصل الباحث على ترجمته سوى ما سجّله ثيبت نقلا عن المستشرق جون أو. هنوك بأن كتابه "فتح اللطيف في علم التصريف" تعليق وتوضيح لكتاب مروى الصيدي لابن صالح الفلاني كما سبق البيان.
وله مؤلفات نحوية ضخمة وتراث علمي آخر حصلنا على بعضها ولم نحصل على الباقي منها:

- "فتح اللطيف في علم التصريف" شرح مروى الصيديد

- كتاب إعراب الحروف

- شرح الفريدة وإعرابها للسيوطي

- شرح الحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فودي، وغيرها.

٥. الشيخ العلامة محمد الوالي بن سليمان

كان هذا الشيخ عالماً متفناً ومرتكزاً درس عند الإمام البكري وعند والده الشيخ سليمان إلا أن كتب التراجم أبت أن تذكر تاريخ ولادته ووفاته إما لأنهم لم يحصلوا عليه - كالعادة - أو أهملوا ذلك الجانب لقرب العهد وقد قال عنه صاحب الإنفاق وهو يتحدث عن والده سليمان: "وقد ألف ولده النجيب محمد الوالي تأليف تدل على وفور علمه وكثرة إحاطته وتضلعه بالعلوم..."^(٣٤). ولقد ذكر محمد صالح تاريخ وفاته في بحثه وأرجعه إلى ١٦٨٩ م والله أعلم بصحة ذلك. أما العلامة الإلورى فقد ذكره ضمن علماء القرن السابع الهجرى في كتاب "المصباح" عندما أورد قصيدته التي ردّ بها على علماء الأوفاق والأسرار وتصرفاتهم السيئة تجاه هذا الدين الحنيف، قال في مطلعها:

من عذيري من أناس نجمو ** أفسدو الدين وأبدوا كل ضر
علم أوفاق رأوه حيلة ** لاكتاس المال والجماعة المضر
لقبوه علم كذبوا ** ما هو السر ولكن علم شر.^(٣٥)

ألف في ميادين شتى نذكر منها ما يتعلق بالنحو العربي:

- معين الطالب شرح للأرجوزة الوردية لعمر الوردى
ولعلّ الكبرى يشير إلى هذا الكتاب بقوله: "شرح ابن الورد في النحو" عندما يذكر مؤلفات هذا الشيخ.

- تدريب الطلاب على تحسين صنعة الإعراب

ثم كتابه الشهير بنظم النقاية، فهذا الكتاب نظم ديني تبلغ عدد أبياته تعسمائة بيتاً وسماه "النقاية والحاوية على ما تجب به العناية" وهو أصلاً كتاب الإمام السيوطي وسجّل له محمد بلو في إنفاقه إسماً كاملاً وهو "النقاية للسيوطي في علوم عديدة" عالج فيه الإمام السيوطي أنواعاً من العلوم تبلغ اثني عشر فناً من فقه وتفسير وبلاغة وغيرها وأقرّ الكبرى بأن من بين هذه العلوم النحو والصرف.^(٣٦)

٦. الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن مسني البرناوي الكشناوي، وكتبه صاحب إنفاق الميسور بـ"مسنة" بإثبات التاء المربوطة في آخر الكلمة سجّله بعض الباحثين ضمن علماء القرن السابع عشر الميلادي وعدّه الإلوري من علماء القرن السادس عشر الميلادي لأن وفاته وقعت ١٠٧٨هـ وله كرامات عديدة ومؤلفات قيمة ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا الأسماء ومن أشهر كتبه كتاب "أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا" ومع انتشار هذا العنوان لم نعثر على نسخة الكتاب مخطوطة كانت أم مطبوعة حتى جاء أخيرا أحد كبار تلاميذ الإلوري الشيخ مصطفى السنوسي زغلول وألف كتابا آخر أطلق عليه هذا العنوان اقتداءً بآثاره وتبركا بجهوده واغتنابا لحركاته، ولم لا؟ وقد أجاب زغلول عن هذا بنفسه حتى لا يظنّ به القارئ كأنه سرق العنوان وقال: "ولطالما يهيجني الشوق إلى اغتباط الشيخ مسني الكشناوي المتوفى ١٠٧٨هـ، وإلى النسج على منواله والسير على دربه، وذلك في وضع كتابه الذي سمّاه بـ"أزهار الربى في أخبار بلاد يوربا"^(٣٧) إلى آخر ما قال.

ومن مؤلفات الشيخ مسني النحوية منها "نزهة يسيرة على معرفة ما يقبل الصرف وعدمه في النحو".

٧. الشيخ العلامة علي جبّ

قرأ عليه خلق كثير من علماء زمانه بما فيهم الشيخ جبريل عمر وقيل في إنفاق الميسور بأن في حضرته حصلت بحركة عظيمة وتعزى إليه كرامات عديدة ويكفيه فخرا أن تتلمذ بين يديه جبريل عمر الذي ينسب إليه فضل الدولة الفودية لقراءتهم عليه وله من الكتب النحوية "شرح لامية الأفعال لابن مالك".

٨. الشيخ العالم موسى الأديب بن عبد الله المنشئ الذي أهدى إليه أمير آدماوى ألف عبد نتيجة كتاب نحوي مفيد ألفه وأرسل النسخة إلى هذا الأمير^(٣٨) واسم الكتاب: "الناقع السابل على الجامع الشامل"، وهو تأليف نحوي سلك فيه صاحبه منهج الإمام السيوطي في كتابه: "جمع الجوامع في النحو".

٩ . الشيخ العالم اللغوي عبد الله بن فودي

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة هذا العلامة السوداني منهم من سجّل له ١١٨٠هـ ولادة و١٢٤٥هـ وفاة كثيظ في تحقيق كتابه "لمع البرق"^(٣٩) وكتب الإلوري في كتابه الإسلام في نيجيريا ١١٧١هـ كتاريخ ولادته و١٢٤٤هـ لوفاته. ولم يسجّل له صاحب إنفاق الميسور تاريخاً لا في الولادة ولا في الوفاة لأن المؤلف يكتب والمترجم له ما زال حيا يدرك هذه الحقيقة من قرأ لعبد الله بن فودي في إنفاق الميسور.

ومهما يكن من شيء؛ فإنه عالم نحوي لغوي متفنّن تشهد على غزارة علمه وتنوع معرفته مؤلفاته القيمة وتراثه العلمي الذي خلف ورائه منها المخطوطات والمطبوعات حتى قيل بأن مؤلفاته ينيف على مائتين وله من الكتب النحوية:

- البحر المحيط في النحو وهو نظم لما في جمع الجوامع للسيوطي ويشمل عدد أبياته على أربعمائة وأربعة آلاف بيتا (٤٤٠٠).
- لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق
- الحصن الرصين في علم التصريف نظم في علم الصرف يحتوي على أكثر من ألف بيت.

إضافة إلى كتب علمية أخرى ألفها من فقه وحديث وتفسير وتصوف وغيرها.

١٠ . الشيخ مُجَّد بللو بن الشيخ عثمان بن فودي

صاحب كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور وغيره من الكتب المفيدة ولد عام ١١٩٥هـ وتوفي سنة ١٨٢٦هـ^(٤٠) ومن مؤلفاته النحوية نظم العوامل المائة للجرجاني.

تلك عشرة كاملة من أسماء النحاة الأوائل من شمال نيجيريا على سبيل المثال لا الحصر وذلك ذكر بعض أسماء مؤلفاتهم بعدد لا يفي بالعشر من معشارها لأن تاريخنا لم يتعود على تسجيل أسماء العلماء وتخليد آثارهم أو تخزين تراثهم إلا في آخر الوقت بعدما قد ضاعت أكثرها أو نسبت معظمها إلى غير صاحبها وانتحلها أبناء شعب آخر ويؤيد هذا ما قاله مُجَّد بللو وهاك نضه: "... وكان منهم العلماء والأولياء ممن لا يحصيهـم إلا الله وضاعوا لعدم تسجيل التاريخ في

هذه البلاد...^(٤١)، ولنضيف إليهم أسماء بعضهم من الجنوب (جنوب نيجيريا) حتى لا يظنّ القارئ بأنهم لم يبلغوا مرحلة الشماليين في النتاجات النحوية في تلك القرون الماضية، ولم لا؟ وقد قال عنهم العلامة الإلوري: "اتسعت آفاق هؤلاء العلماء في قواعد اللغة والنحو والصرف حتى بلغوا مرتبة الاجتهاد في اللغة والشريعة."^(٤٢)

١١. الشيخ أحمد أبوبكر إكوكورو

كان هذا الشيخ من أوائل علماء إلورن المتفوقين ولد حوالي سنة ١٨٧٠م^(٤٣)، ولقد أفادتنا المراجع التاريخية بأنه أول من جمع بين الثقافتين العربية، والإنجليزية من علماء إلورن لكثرة تجاوله البلدان^(٤٤)، له من المؤلفات النحوية كتاب في صورة المذكرة سماها "التقاط المتون في خمسة فنون" وهي النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع.

وكأنه في هذا التأليف جمع علم النحو وعلوم البلاغة الثلاثة في كتاب وفعله هذا يشبه نوعاً ما بصنيع الإمام السكاكي حيث جمع علوم النحو والصرف مع علوم البلاغة في تأليفه المشهور "مفتاح العلوم"، وقال في مقدّمة كتابه: "... فأودعته علم الصرف بتمامه وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق... وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي: المعاني والبيان، ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر"^(٤٥)، توفّي المترجم له سنة ١٩٣٦م عن عمر يناهز سبعين وبالتحديد ٦٦ سنة.

١٢. الشيخ تاج الأدب

ضنّت معظم المصادر التاريخية بسنة ولادة هذا العالم الجليل مع غزارة علمه وانتشار جماعته وتلاميذه في الآفاق، وأكثر هذه المراجع تسجل له -فقط- سنة الوفاة على اختلاف روايتها كما فعل الدكتور قاسم في "عقده" حيث سجّل له تاريخان للوفاة: الأول ١٩٢٤م والثاني ١٩٢٣م^(٤٦)، اعتماداً على ما توصل إليه بحثه من هذه الروايات، وأقرّ الإلوري بأنّ وفاته وقعت سنة ١٩٢٢م إلاّ أنّه حدّد عمره فيما بين ثمان وثلاثين سنة وأشهر.^(٤٧)

وانطلاقاً من هذا التحديد، يمكن القول بأنّ ولادته وقعت سنة ١٨٨٤م لو افترضنا أنّه توفي سنة ١٩٢٢م على ما ذهب إليه الإلوري، وصفوة القول: نبغ على يدي هذا الشيخ خلق كثير وعدد لا يستهان بهم من علماء الإسلام ويكفيه فضلاً وشرفاً أن يعدّ شيخنا العلامة

أعجوبة الزمان مُجَّد كمال الدين بن حبيب الله موسى الأدبي في زمرة تلاميذه، وله من الانتاجات النحوية: "كتاب المنظومة النحوية الأدبية" ثم كتاب "درر المرجان في علم الصرف".

١٣. الشيخ أحمد الرفاعي بلو أوكي أرى

وُلد الشيخ أحمد في القرن التاسع عشر الميلادي بمدينة إبادن وبالتحديد ١٨٩١م^(٤٨)، وكان والده مُجَّد بللو من أكابر علماء بلاد يوربا وهو الذي اشتهر باسم "ألفا أوكي أرى" كما أقرّ بذلك شيخنا الإلوري^(٤٩)، وورث ابنه هذا اللقب منه، تلمذ على أيدي علماء شتى في مدينة إبادن ابتداءً من والده العالم كما سبق ذكره وتبحّر في العلوم الإسلامية واللغوية حتى فاق أقرانه وصار ممّن يشار إليهم بالبنان ومن أبرز العلماء في ذلك العصر، قال عنه الإلوري: "وأنجب الشيخ بللو هذا أعلم زمانه في جميع الفنون الإسلامية والعربية ذلك هو الشيخ أحمد الرفاعي".^(٥٠)

ومن العلماء الذين أخذ عنهم أحمد الرفاعي بعد والده الشيخ مُجَّد سنوسي الكاتبي الذي نزح من أوا^(٥١)، وهو من تلاميذ الشيخ هارون السلطان الإبداني، ومن مؤلفاته النحوية كتاب: "تحفة اللطيف الخبير في نظم خاتمة المصباح المنير" في ألف ومائتين وأربعة وسبعين بيتا (١٢٧٤). ثم "هبة المولى في بيان معنى "لا"، وهو نظم نحويّ سبق بيانه في الدراسات السابقة لهذا البحث. إضافة إلى كتب إسلامية ولغوية أخرى ضاع أكثرها لأنها مخطوطات.

الفصل الخامس: التراث النحوي النيجيري

حظيت نيجيريا بوجود علماء نبغاء وأدباء أجلاء وأولياء أتقياء وزهاد فقهاء وأعلام لغويين درسوا العربية وأتقنوها والإسلامية وفهموها أنتجوا الكتب وأنجبا التلاميذ وتركوا ورائهم تراثا علمية وآثارا لغوية يتوارثها الأواخر من الأوائل ويبنى بها الأخلاف على أعمال الأسلاف ويجري المحدثين على منوال المتقدمين من تدريس وتأليف وتصنيف.

ولقد كان لهؤلاء العلماء في نيجيريا-سواء السابقين منهم واللاحقين مؤلفات قيمة مفيدة في جميع النواحي العلمية على وجه العموم وفي النحو والصرف على وجه الخصوص منها الكتب المطبوعة والمخطوطات المخزونة ومنها المقالات المنشورة على المستوى المحلي والإقليمي أو الوطني والدولي ثم العالمي وقصد الإحاطة بجميع هذه المؤلفات وتلك المقالات وجمعها في كراسة واحدة

كقصد جمع أشجار الغابات في حديقة أو بستان. وسنحاول في هذا البحث ذكر بعض هذا التراث النحوي والصرفي ما حققت منها وشرحت وما لم يتم عليها عملية التحقيق والتعليق والتوسيع ثم نضيف إليها بعض المقالات المنشورة وغير المنشورة ليقف القارئ على مدى جهود أولئك العلماء في إنفاق أوقاتهم وأنفسهم على إبقاء اللغة العربية وتوسيع دائرتها وتقديم عجلتها إلى الأمام مع إيصالها إلى أذهاننا نحن المتأخرين ثم ما زاد بها المتأخرون على مجهودات المتقدمين في هذا التراث وتسابقوا مع العرب مع كونهم أعاجم ونرى من بينهم من جمع بين النحو والصرف في التأليف اقتداء بعلماء بصرة في بداية جهودهم النحوية وأمثلة هؤلاء العلامة أبو عبد الله محمد بن مسنى البرناوي في كتابه: "نزهة يسيرة على معرفة ما يقبل الصرف وعدمه في النحو"، والشيخ موسى الأديب بن عبد الله في كتابه: "الناقع السابل على الجامع الشامل"، والعالم محمد الوالي بن سليمان في كتابه: "معين الطالب شرح للأرجوزة الوردية"، و"تدريب الطلاب على تحسين صنعة الإعراب"، والشيخ علامة السودان عبد الله بن فودي في "البحر المحيط" و"لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق"، والشيخ المؤرخ محمد بللو بن عثمان فودي في "نظمه للعوامل المائة للجرجاني"، والشيخ الطاهر فيرم في نظم "العوامل المائة للجرجاني"، أيضا والشيخ جبريل بن عمر في: "نظم أوضح المسالك لابن هشام"، و"شرح الفريدة للسيوطي"، والشيخ عثمان بن إسحاق التوردي في كتابه: "إعراب الحروف"، وأبو عبد الله الفلاني في: "المفصل في النحو"، والشيخ إسحاق بن أحمد في كتابه: "المعين فيما يذكر من الأعضاء ويؤتث" ثم كتاب: "الأسس النحوية التي لا يسع الطالب جهلها" للشيخ محمد الأمين سليمان وهو أرجوزة نحوية جمع فيها صاحبها عوامل مائة نحوية اقتداء بالجرجاني كما أقر الناظم بذلك في قوله:

ثم هَيَ في القياسي ** قل سبعة حَمِيمي
دَكَرَ ذا الجرجاني ** شيخُ النَّحاةِ الأَفْحَمِ. (٥٢)

وكذا في "الطف الرحيم الرحمن في نظم العوامل المائة للإمام الجرجاني" ألفه الشيخ محمد الثاني بن أبي بكر سدوكي. ومنهم من جرد علم النحو من الصرف في مؤلفاته متبعا في ذلك منهج المازني والجرمي، وعلى رأس هذه الكتب: "الدرر اللوامع ومنار الجوامع"، وهو كتاب صرفي محض

ألّفه الشّيخ طاهر فيرم و"شرح لامية الأفعال لابن مالك" ألّفه الشّيخ علي جبّ على غرار ما صنعه الشّيخ حمد بن مُجّد الرائي المالكي في كتابه: "فتح المتعال على القصيدة المسّماة بلامية الأفعال"، إلا أن علي جبّ خالفه في الأسلوب لأن الرائي ما كان يوافق ابن مالك في جميع الأفكار الصرفية الواردة في نظمه ويرجح خلاف اختياره حيناً أو أحياناً إذا بدا له أن الصواب خلافه، أما علي جبّ فقد قام بشرح النظم قصد التسهيل لا لترجيح الآراء. وكذلك كتاب "موضحة الإبدال على سهولة بلا إشكال" للشّيخ عمر والي زاريا وقام الأستاذ أحمد الرفاعي أبوبكر بتحقيق هذا الكتاب للحصول على درجة الماجستير بقسم اللغة العربية جامعة بايرو-كانو، سنة ٢٠٠١-٢٠٠٢م^(٥٣). وكتايي: "مصباح الأفعال" و"تعمير الحصن" كلاهما للشّيخ مُجّد راجي الشهير بـ"طن ميتوكا" وأخبر البروفيسور علي نائي سويد رحمه الله تعالى بأنّ أمه كانت خادمة للشّيخ عثمان بن فودي فالمصباح أرجوزة نظمها في علم التصريف وأورد فيها ما يزيد على خمسة آلاف فعل في اللغة العربية وأما "التعبير" فهو تكملة لما فات الشّيخ عبد الله بن فودي في "حصنه" وأخبرنا الدكتور ثيظ بأن الأستاذ أبوبكر أبوبكر ياغول قد قام بتحقيق الكتاب لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية بجامعة الشّيخ عثمان بن فودي صكتو، سنة ١٩٩٩م.

ومعرفة الضمائر والحروف للشّيخ مُجّد بن معطي الكشناوي ورأية الإعراب للشّيخ عثمان بن فودي المجدد وتصريف المبتدئ، وتقريب النحو كلاهما للشّيخ آدم عبد الله الإلوري. ولنذكر من مؤلّفات المحدثين النحوية ما يأتي:

"أصول النحو تاريخ وتأصيل" ويعتبر هذا الكتاب من أوائل الكتب النحوية المؤلفة في نيجيريا في تناول قضايا أصول النحو وعالج فيه صاحبه الأصول الأربعة للنحو العربي التي هي: القياس أو التعليل، السماع أو النقل، الاستصحاب أو استصحاب الحال، الإجماع. وهو جزء واحد ألّفه الأستاذ الدكتور قاسم بدماصي.

وكتاب: "الخطيب الشريبي وجهوده النحوية والتصريفية" في مجلدين كبيرين أصله أطروحة الدكتوراه قدمه صاحبه إلى شعبة اللغة العربية، جامعة الإمام مُجّد بن سعود الإسلامية بالرياض، ونال إعجاب الحاضرين ثم طبع أخيراً وكذلك "اختيارات ابن يعيش النحوية والتصريفية

جمعا ودراسة وتقويما" بحث في الأصل قدمه للحصول على شهادة الماجستير قبل أن يصير كتابا وكلاهما للأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام.

"صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة وتوجيه" و"أسباب مشاكل النحو العربي كما يراه النحاة المحدثون" و"تعليق لغوي على كلمة الأسقام الواردة في الصلاة المعروفة بجوهرة الكمال" وهذه الكتب الثلاثة ألفها علي نائبي سويد. ثم "ظواهر تصريف الأفعال في القراءات السبع الشهيرة دراسة حرفية تطبيقية" للدكتور غمبو حسن وكذلك "صور من الإعلال بالحذف في القرآن الكريم" و"كشف الغطاء عن منصوبات الأسماء" و"حذف فاء المثال في القرآن الكريم دراسة صرفية" و"تيسير تصريف الأفعال" كلها للدكتور يحيى فاروق ثيط إضافة إلى ما حققه وحلّله من الكتب النحوية للسابقين من علماء نيجيريا منها "لمع البرق فيما لدى تشابه من الفرق" للشيخ عبد الله بن فودي، و"مروى الصدى في علم الصرف" للشيخ مُجَّد بن صالح الفلاقي، ثم كتاب "قمطرة الطلاب في علم الإعراب" للشيخ علي حمزة النافطي حققه وعلق عليه إبراهيم عبد الله هوساوا و"منظومات العوامل في النحو" لعلامة السوادن الغربي الشيخ مُجَّد بلو فودي تحقيق المسعودي سعود غازي أبو شاكبي.

ومن الأبحاث الجامعية: "مساهمة علماء غرب أفريقيا في نموّ وتطوّر النحو العربي، دراسة لمنطقتي تمبكتو وبلاد هوسا في الفترة ما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين" لمحمد صالح حسين قدمه إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو-كانو، لنيل شهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٥م و"أدوات الجر واستعمالاتها في القرآن الكريم" للشيخ الحاج أحمد الرفاعي ١٩٦٠م جامعة كانو، و"أساليب الحال في القرآن الكريم" للشيخ أرمياء غمبو ماشي ١٩٩٢م كانو، و"صور من أساليب الإبدال والإعلال في القرآن" قدمه الشيخ عبد الحميد شعيب أغاكا إلى قسم اللغة العربية جامعة بايرو-كانو للحصول على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٩٢م، و"الإنتاجات النحوية العربية لبعض المؤلفين النيجيريين اليورباويين: دراسة تحليلية وصفية" قدمه قاسم إبراهيم إلى قسم اللغة العربية كلية الآداب، جامعة إلورن، للحصول على شهادة الدكتوراه سنة ٢٠١٤م، و"مجهودات بعض النيجيريين في النحو العربي" قدمه منتقى عبد

الرحمن السيوطي إلى شعبة اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحكمة-إلورن، وفاء لبعض متطلبات الحصول على شهادة الماجستير سنة ٢٠١٦م. و"موازنة بين العلامة بيروك عبد الله بن يعقوب السملاوي وبين الشيخ عبد الله أويس في شرح نظم المجراية في الجمل" قدمه بشير لون إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كانوا، للحصول على شهادة الماجستير سنة ٢٠١٣م.

أضف إليها بعض المقالات المنشورة على جميع المستويات: الإقليمي والدولي مع العالمي منها: "تيسير النحو بين التجديد والفوضى" ألقاه البروفيسور عبد الرحمن أحمد الإمام في مؤتمر المجلس العالمي للغة العربية المؤتمر العاشر في لبنان في ذكرى المرحوم الدكتور عوض القوزي سنة ٢٠١٥م، و"استشهاد علماء يوربا النيجيريين بالقرآن الكريم في تقعيد النحو العربي" لقاسم إبراهيم مقالة نشرتها مجلة العاصمة-مجلة بحثية سنوية محكمة المجلد السادس، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة ترونترم كيرلاء الهند، و"ما لا ينصرف من الجموع دراسة نحوية وصرفية" للبروفيسور قاسم بدماصي قام بنشرها مجلة الدراسات اللغوية، مجلة فصلية محكمة تعني بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض تصدر من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجلد الرابع عشر-العدد الرابع ٢٠١٢م، و"تعليق على الحصن الرصين" للشيخ عبد الله بن فودي، مقالة نحوية صرفية كتبها البروفيسور علي نائي سويد ونشرتها مجلة الدراسات العربية العدد الرابع سنة ١٩٧٦م.

وهذه قلة من كثرة ما بذلها علماء نيجيريا سلفا وخلفا في إثراء المكتبات العربية النحوية بتراثهم العلمي ما إذا قرأ العرب الأتقاء مضامينها ووقفوا على صفحاتها لما يسعهم سوى أن ينشدوا بملئ أشداقهم مدحا وإعجابا لقرائح الأعاجم التي جادت بمثل هذه الأفكار رحم الله الأموات منهم وأنسأ في أجل الباقيين.

الفصل السادس: نماذج من مواقف بعض علماء نيجيريا في بعض القضايا النحوية

المختلف فيها

الحديث في هذا الفصل امتداد مما تطرق إليه البيان في سابقه وذلك في تراث علماء نيجيريا في النحو ويتعرض البحث هنا للحديث عن بعض المسائل النحوية التي خالف فيها

علماءنا النيجيريون بعض ساداتهم في العالم العربي الإسلامي، وهذا يختلف عمّا وعد به القارئ في بداية البحث عن المسائل الخلافية النحوية في مؤلفات علماء نيجيريا لما يتميز به أحدهما عن الآخر فالأول موازنة بين موقفهم ومواقف العلماء النحويين في البلدان المختلفة من بصرة وكوفة وبغداد وغيرها، أما الثاني فمقارنة مقتصرة على النحويين النيجيريين واختلاف مواقفهم النحوية فيما بينهم، وبأوجز العبارة: فإن الأول يجري بين النحويين النيجيريين وبين النحويين العرب أو غيرهم، حينما يركز الثاني على النحويين النيجيريين مع أقرانهم النيجيريين أيضا، وهناك مؤلفات نحوية عديدة أنتجها النحويون النيجيريون عالجوا فيها القضايا النحوية المختلفة، منها ما كان موضع خلاف بين النحويين أنفسهم واتخذ كلّ منهم مواقف يعترض بها على غيره وساهم النحويون النيجيريون في هذه الاختلافات حتى سجّل بعضهم في كتبهم ما رأوه أصوب وأرجح عندهم، ردّوا على بعض النحويين المشهورين أقوالهم. وفيما يلي نماذج حية من ذلك:

الفصل السابع: "الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام النيجيري ومواقفه النحوية"

- موقفه في إدغام التاء في "تفعل" واعتراضه على كلام ابن مالك في القضية

اشتهر لدى علماء النحو والصرف حذف إحدى التائين في المضارع من أمثال: "تفعل" وتفاعل" وما على شاكلتهما قصدا للتخفيف أو تركهما وإثباتهما، وهذا مذهب جمهور النحاة وعلى رأسهم الخليل، وسيبويه، وأبي عثمان المازني، وغيرهم. وحكم القرآن المجيد بالوجهين كليهما استعمالا لقوله تعالى في موضع ﴿تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا...﴾ [سورة القدر: ٤] أي "تنزل الملائكة" بالتخفيف وأيضا في موضع آخر قوله: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى... فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس: ٤، ٦] أي يتذكّر.. وتتصدّى وحذف إحدى هاتين التائين قصدا للتخفيف، وفي موضع آخر من القرآن أثبتهما وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ [السجدة: ١٦] وقوله أيضا: ﴿...تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا...﴾ [فصلت: ٣٠]. وفي هذه الآيات القرآنية دلائل وحجج للموقفين وثالثتهما جواز الإدغام أي تدغم التاء الأولى في الثانية وتكون مشددة ثم تجلب همزة

الوصل لتسهيل النطق لأنه لا يبدأ القول بالحرف المشدود، قال الإمام الاسترابادي: "...فإن شئت أدغمت، وذلك بتسكين الأول وتحتاج إذ ذاك إلى الإتيان بهمزة الوصل إذ لا يبدأ بساكن".^(٥٤)

هذا ما اتفق عليه علماء النحو منذ القدم وإن كان هناك اختلافات فيما بينهم عن أي تائين حذفت أو أي هذه الوجوه أفضل، أعني إثبات التاء وحذفها أو إدغامها وأي هاتين التائين أصلية وغير هذه من النقاط التي خالف فيها بعضهم بعضا، أما الأستاذ عبد الرحمن النحوي النيجيري له مواقف مع آراء بعض النحويين القدامى في القضية عامة ومع ابن مالك خاصة.

وأما معارضته لبعض القدماء تبدو ذلك في أيّ تائين حذفت، وقد ذهب رجال من النحاة إلى أن الثانية هي المحذوفة وخالفهم في ذلك نفر لكونها أصلية والأولى فرعية ولا يمكن حذف الأصل للفرع وعند هؤلاء الأولى هي المحذوفة، واتخذ الأستاذ عبد الرحمن النحوي جانب الفريق الأول وفضل كون الثانية هي المحذوفة، وقال: "أما خلافهم في أولى التائين بالحذف فالمختار عندي كون الثانية هي المحذوفة كما ذهب إليه سيبويه وجمهور البصريين^(٥٥)

هذا ما قاله أحمد النحوي وتنحصر حجته على ذلك في أربع نقاط كما تبدو:

- إذا حذفنا الأولى يحذف بمعنى الإسناد ويفسد المفهوم لأنها حرف المضارعة.
- حكم علماء النحو والصرف بحذف النون في منطلق وحذف التاء في مغتسل عند التصغير مع كونهما حرفين ثانيين في الترتيب وأبقوا الحرف الأول لأنه يفسر معنى معيناً ويوضح لنا صورته كاسم الفاعل، وقالوا: "مُطَيَّلِقٌ ومُغَيِّسِلٌ" فإذا اعتبروا أهمية هذه الميم وموقعها في الكلمة فأولى بنا أن نطبق هذا الاعتبار في كون التاء الثانية هي المحذوفة هناك.
- ردّ على الفريق الثاني في اعتبارهم الأصل والفرع عند اتخاذ القرار بين المحذوفة والبقية وقالوا بأن الأصل أقوى من الفرع ولا يجوز حذفها واحتكم الأستاذ عبد الرحمن النيجيري إلى ما حدث للمنقوص والمقصور عند وجود التنوين العوض وهو كما يعرف ينوب عن الحرف حيناً أو عن الكلمة تارة وعن الجملة أحياناً أخرى، وهو في المنقوص والمقصور ينوب عن

الحرف ولماذا حذفت الياء في قاضيٍ وفَتَى وهي أصلية أصلهما قاضيٌ وفَتَى والتنوين فرع منها ومع ذلك حذف الأصل للفرع وإذا صح هذا ولا بد أن يجوز ذلك.

- وأخيرا استشهد بما أقره أبو البركات الأنباري في إنصافه أنه: "إذا اجتمع الحرفان ووجب حذف أحدهما، فإن القياس حذف ما لم يدل على معنى وإبقاء ما دلّ على معنى لأنّ حذفه مثل حذف بعض الكلمة".^(٥٦)

هذه أربع نقاط لخصها الباحث من بيان الأستاذ عبد الرحمن النيجيري في موافقته للذين قالوا بأن التاء الثانية هي المحذوفة وإليك الآن أدلة الذين قالوا بأن الأولى هي المحذوفة.

منهم من قال-جزما- بأن الأولى هي المحذوفة كهشام الضريّر وبعض الكوفيين ومنهم من قال بأنك حر في حذف ما شئت أي قد تكون أولية وقد تكون ثانية ومنتهى ما لديهم من الحجة هي أنها زائدة وحذف الزائدة أولى من حذف الأصلية لأن الزائد أضعف من الأصلي.^(٥٧)

تعليق الباحث على الموقفين

يتّضح خلال ما سبق من البيان أن حجة الفريق الأول الذين قالوا بأن التاء الثانية هي المحذوفة أصحّ وأرجح لا لأن سيبويه في قائمة علمائهم لما قال في كتابه: "وإن شئت حذفت التاء الثانية وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمُنُونَ الْمَوْتَ﴾ وكانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكن وتدغم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا ۗ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢] و﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ...﴾ [يونس: ٢٤] وهي التي يفعل بها ذلك في يذكرون فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك".^(٥٨)

وليس لهذا فحسب بل لأن حجّتهم أقوى وتفصيلهم أوضح وأقنع، أضف إلى ذلك ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي وأورده ابن الشجري في أماليه وقال: "وللخليل أن التاء الأولى في

"تذكرون" وأمثاله حرف منفرد فلو حذف لم يبق ما يدلّ على المعنى الذي كانت التاء تعطيه". (٥٩)

وأما الفريق الثاني الذي يعتبر الموقع فهذا لا يكفيهم حجة لأن القيمة أولى بالاعتبار لا الموقع وإذا حكمنا بالمنطق السليم نرى أن قدوم الشيء بالمرتبة الأولى لا يدلّ على أفضليّته وأولويّته فرحم الله أبا الحسن اللغوي حين يقول: "فحذف ما لا معنى له أسهل كما أنه لما اجتمعت التاءان في "تذكرون" ونحوه حذفت الثانية ولم تحذف الأولى حيث كانت لمعنى". (٦٠)

تنبيه: يقول قائل بأن ابن عصفور حكم على هذه التاء الثانية التي تلتقطها الأفواه من هنا وهناك وجزم القول بأنها زائدة خلافا للذين قالوا بأصالتها وفصلّ القول في هذا وهو في صدد الحديث عن قسمي التاء قسم يحكم عليه بالأصالة وقسم يحكم عليه بالزيادة وقال: "فالقسم الذي يحكم بالزيادة: التاء التي في أوائل أفعال المطاوعة نحو قولك: كسرتُه فتكسّر وقطّعتُه فتقطعّ ودحرجته فتدحرج، والتاء في أول تفاعل نحو: تغافل وما تصرف من ذلك". (٦١)

فتعليق الباحث على هذا هو إن ابن عصفور بهذا البيان يشرح لنا حروف الزيادة التي وضعها علماء الصرف لنقل الفعل من الثلاثي إلى الرباعي أو الخماسي أو السداسي ويجمعها قولك: "هويت السمان" أو "سألتمونيها" أو "اليوم تنسأه" وهكذا وباعتبار التاء إحدى هذه الحروف هي زائدة وأما باعتبارها مع تاء المضارعة للمخاطب أو المخاطبة فهي أصلية لأنها تأتي هكذا من الماضي قبل أن تضاف إليها حرف المضارعة وفي مثل هذا الموضع نحكم عليها بالأصالة والأولى التي بمثابة علامة المضارع تكون زائدة، ومما يدلّ على هذا الزعم هو أن ابن عصفور ما كان يتحدث عن تاء المضارعة مع هذه التاء، ولذلك تراه يختصّ التاء التي هي من حروف المضارعة من أحرف الزيادة ولو لم يتجاوز أمثلته في هذا الأفعال الثلاثية وأتى بتقوم وتخرج فقط.

اعتراض الأستاذ عبد الرحمن النحوي كلام ابن مالك

جرى بين عبد الرحمن وابن مالك اعتراضات حول مسألة الإدغام أي إدغام هاتين التائين في المضارع فإدغامهما في الماضي والمصدر قضية اتفق عليها الجمهور بالجواز لا بالوجوب فأنت

مخبر بين الأخذ والترك كما تطرق إليه الحديث في السابق وقال الإمام الكردي وهو يتحدث عن الإدغام المتماثلين:

وذاك قد يكون في مثلين ** اجتماعاً أو متقاربين

إلى أن قال....:

ولم يجب في تنزلاً ** واقتلو وتقاتلان. (٦٢)

وأما محلّ الخلاف بين عبد الرحمن النيجيري وابن مالك الأندلسي هو جواز هذا الإدغام في المضارع وقد قال ابن مالك في غير واحد من مؤلفاته النحوية والثرفية منها شرحه للكافية الشافية كما نقل منها الأستاذ عبد الرحمن النيجيري "وقال ابن مالك: إذا أدغمت فيما اجتمعت في أوله تاءان زدت همزة وصل يتوصل بها إلى النطق بالتاء المسكنة للإدغام فقلت في "تجلى" "تجلى" قد يقال في نحو: تَعَلَّمَ تَعَلَّمَ استثقلاً لتوالي المثليين متحرّكين...". (٦٣)

وقال أيضاً في ألفيته:

وحَيَّ أَفْكَكْ وَأَدَّغَمَ دُونَ حَذَرَ ** كَذَاكَ نُحُو تَتَجَلَّى وَاسْتَتَرَ

وما بتائين ابتدي قد يقتصر ** فيه على تاكتين العبر. (٦٤)

وقد صرح الناظم في هذا البيت بما يجوز فيه الفك والإدغام وذكر لذلك مثالين هما "تجلى" و"استتر" وتجلى فعل مضارع لتجلى ويجوز ابن مالك الإدغام في هذين التائين لذلك قال شراحه في بيان هذا البيت: "ومن أدغم أراد التخفيف فيقول إَجَلَّى فيدغم أحد المثليين في الآخر فتسكن إحدى التائين فيؤتى بهمزة الوصل توصلًا للنطق بالسكن". (٦٥)

وأما الأستاذ عبد الرحمن النيجيري فيردّ على كلام ابن مالك بقوله: "قلت: هذا يخالف ما قرره الصرفيون والنحويون...". (٦٦). ثم أضاف إلى هذا القول بيانات تنحصر في نقطتين مهمتين:

الأولى: لا يجوز حذف حروف المضارعة أو إدغامها لقوة دلالتها ولتصدرها.

الثانية: اجتلاب همزة الوصل إلى الفعل المضارع المشددة حروفها يؤدي إلى الثقل إذن فأسلوب التخفيف حذف إحدى هاتين التائين لا الإدغام.

هذا ما عليه عبد الرحمن والحق معه- في نظر الباحث- ويؤيده في ذلك ما قاله الإمام الأشموني في موضعين من كتابه، قال في الأول: "ويجوز الإدغام في الفعل الماضي إذا اجتمع فيه تآن والثانية أصلية نحو: تتابع ويؤتى بهمزة الوصل فيقال: اتّابع...".^(٦٧)

ويتّضح جليا من هذا النص نظرا لما كان عليه البحث من ذي قبل بأن الفعل الماضي المبدوء بالتائين هو الذي جاز فيه الإدغام وليس الفعل المضارع لأن الأشموني قد صرح بذلك، والموضع الثاني: قوله في شرح بيتي ابن مالك المنقولين فقال- بعد كلام طويل-: "...فقلت في تتجلى، اتجلى هذا كلامه وفيه نظر لأن تتجلى فعل مضارع واجتلاب همزة الوصل لا يكون في المضارع والذي ذكره غيره من النحاة أن الفعل المفتوح بتائين إن كان ماضيا نحو: تتبّع وتتابع جاز فيه الإدغام واجتلاب همزة الوصل، فيقال: اتّبع واتّابع وإن كان مضارعا نحو: تتذكر لم يجز فيه الإدغام إن ابتدى به لما يلزم من اجتلاب همزة الوصل، وهي لا تكون في المضارع بل يجوز تخفيفه بحذف إحدى التائين".^(٦٨)

وهذا النص غني عن البيان لوضوحه وشموله جميع الجوانب والأشموني بهذا يردّ على ابن مالك في رأيه مع أنه يشرح ألفيته ويوافق هذا ما عليه عبد الرحمن في أن الإدغام لا يجوز في المضارع بل في الماضي والمصدر. ولنختتم هذه المسألة ونفصل بينهما بما قاله رضى الدين في شرح الشافية وقال: "فإن قال قائل: فلأي شيء لم يدغم في "تتذكر" وأمثاله؟ فالجواب أن الذي منع من ذلك شيئان: أحدهما أن الفعل ثقيل فإذا أمكن تخفيفه كان أولى وقد أمكن تخفيفه بحذف أحد المثقلين فكان ذلك أولى من الإدغام الذي يؤدي إلى جلب زيادة، والآخر أنك لو أدغمت لاحتجت إلى الإتيان بهمزة الوصل وهمزة الوصل لا يدخل على الفعل المضارع".^(٦٩) فيصدق هذا القول ما عليه عبد الرحمن النيجيري في حججه التي منع الإدغام من أجلها في الفعل المضارع منها

الثقل كما ذهب إليه رضى الدين وأضاف إليها كون همزة الوصل ممنوعة الدخول على الفعل المضارع عند الصرفيين.

وزبدة القول: إن ما عليه ابن مالك في جلب همزة الوصل إلى الفعل المضارع المبدوء بالتائين لأجل الإدغام كلام خالفته فيه القواعد النحوية والصرفية ولأن المتكلم إذا احتاج إلى التخفيف فالحذف أولى له من الإدغام في المضارع إلا في الماضي والمصدر وإلا فليفكك كما اعترف ابن مالك بأفضلية التفكيك من الإدغام في ألفيته ولو أثقل من الحذف، ولهذا وذاك حكم الباحث بأن الحق مع عبد الرحمن أحمد النحوي النيجيري لأن الجمهور والقواعد حكما بذلك.

"الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام النيجيري ومواقفه النحوية"

اكتشف الأستاذ عبد الرحمن النحوي بعض الأخطاء التي طالما وقع فيها بعض النحويين السابقين في نسبة الأقوال إلى أصحابها والتقول على فطاحل النحو ما لم يقولوها ولم يسجلوها في كتبهم النحوية ومؤلفاتهم اللغوية وكان بهذه الاكتشافات- في علم الباحث- أول من نبّه القراء إلى ما في هذه الكتب من وضع شيء في غير موضعه وتعتبر هذه المحاولات مما خالف النحويون النيجيريون مع غيرهم من العرب في بعض الأحكام النحوية لأنهم يحتجون بأقوال نسبوها إلى غير أصحابها جهلا أو انتحالا وكان الأستاذ عبد الرحمن النحوي من أولئك النحويين النيجيريين الأوائل الذين قاموا بهذا الدفاع وقدموا في ذلك مجهودات لا يعلم قدرها إلا من أمعن النظر فيها بقلب سليم ويحسب هذا في الحركات النحوية النيجيرية أو في المسائل النحوية الخلافية لدى علماء نيجيريا كما ظهر ذلك جليا في عنوان هذا البحث، ومن هذه الاكتشافات:

ما قيل في أحكام "لات".

اختلف النحويون في حقبة كلمة "لات" قديما وحديثا ولكل منهم مواقف مختلفة حتى اختلف كل فريق فيما بينهم حيناً آخر عند وضع حكمها أو شرح بيانها يتفقون في شيء

ويختلفون في شيء آخر ووقع هذا الاختلاف في نقطتين مهمتين: الأولى: هل هي كلمة مفردة/بسيطة أم مركبة؟ وإذا كانت مركبة فمن أين وكيف تركبت؟ والنقطة الثانية: هل هي تعمل أم لا؟ وإذا كانت تعمل فما عملها؟ هل يحسب مع إنَّ أم مع كان؟ فما حكم معموليها إذن؟. هذه هي الأمور التي تجدر الإشارة إليها وفصل القول فيها-ولو بالاختصار-في هذا الصدد قبل الانتقال إلى ما اكتشفه الأستاذ عبد الرحمن النحوي في القضية.

إعمال "لات" وأجحكامها

ذهب جمهور النحو إلى أن "لات" تعمل عمل "ليس" وهذا يعني أنها ترفع الاسم وتنصب الخبر لأن عمل ليس امتداد من عمل كان ولو كان هناك فروق يسيرة بين الاثنين وتشارك "لات" مع "ليس" في العمل بشروط سوف يصل إليها البحث. قال الإمام المرادي: (٧٠) "ما، ولا، ولات، وإن المشبهات بليس، هذه الأحرف من باب كان وإن فصلت عنها لأنها حروف وتلك أفعال". (٧١) ويفهم من هذه العبارة شيءين هما كون لات شريكة ليس وكان في العمل، ثم كونها حرفا لا فعلا كما ذهب إليها بعضهم، وعلى هذا قال ابن مالك:

إعمال ليس أعملت ما دون إن ** مع بقا النفي وترتيب زكن

إلى أن قال:

في النكرات أعملت كليس لا ** وقد تلى لات وإن ذا العلا

وما للات في سوى حين عمل ** وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل". (٧٢)

وهذا البيت الأخير يقودنا إلى ما قاله سيبويه وأورده الإمام السيوطي في همعه من الشروط التي سبق أن التفت إليها البحث في "لات" ومن هذه الشروط أنها لا تعمل إلا في "الحين" ويشترط أن يحذف اسمها ويبقى خبرها. وقال سيبويه: وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ كان معناها كمعناها، كما شبهوا بهالات في بعض المواضع وذلك مع الحين خاصة لا تكون لات إلا

مع الحين تضرر فيها مرفوعا وتنصب الحين لأنه مفعول به ولم تمكن تمكئها ولم تستعمل إلا مضمرا فيها لأنها ليس كليس في المخاطبة والإخبار عن غائب تقول: "لستَ ولستِ وليسوا" وعبد الله ليس ذاهبا فتبنى على المبتدأ وتضرر فيه ولا يكون هذا في "لات" لا تقول: "عبد الله لات منطلق ولا قومك لاتوا منطلقين".^(٧٣) هذا ما قاله سيويه في القضية أورده الباحث مع طوله لأن الحديث يحيل إليه حيناً بعد حين في هذه السطور. ويؤرى فيها مصداق ما أثبتته ابن مالك في أن لات تعمل مع الحين فقط بشرط أن يحذف أحد معموليها أي مرفوعها. ومن الجدير بالذكر هنا ما زاده الإمام السيوطي في بيانه على هذه الأقوال ومن هذه الزيادات قول سيويه بأن لات لا تعمل إلا في الحين وقال الإمام السيوطي معلقاً على هذا القول نقلاً من كتاب البسيط قوله: "وربّ شيء يختصّ في العمل بنوع ما لا لسبب كما أعملوا لدن في غدوا خاصة والتاء في القسم، وقيل لا تقصر على لفظ الحين بل تعمل أيضا في مرادفه كا أوان وساعة وعليه ابن مالك كقوله: نَدِمَ البغاة ولات ساعةً مندم"^(٧٤) ويتّضح للقارئ خلال هذا المنقول ما زاد بعض النحويين المحدثين على شروط المتقدمين من أمثال سيويه بأن لات تعمل في حين فقط ويسمح لها العمل في مرادف الحين كالأوان والساعة وغيرهما.

ثم زاد السيوطي قوله في أن الشروط الواجب حذف أحد معموليها واشترط الجمهور كون المحذوف اسمها وعلى هذا يعلق السيوطي بأنّ: "الأكثر كون المحذوف الاسم وقد يكون الخبر وقرئ بالوجهين قوله تعالى: ﴿...فَنَادُوا وَّلَاتَ حِينٍ مِّنَاصٍ﴾ [ص:٣] أي ولات الحين حين مناص أو ولات حين مناص لهم"^(٧٥) وكأنّ المتكلم في أن يختار من الحذف ما شاء إما اسما أو خبرا اعتمادا على قراءة أخرى كقوله تعالى: "فنادوا ولات حين مناص" برفع النون في حين. وقد نرى من المحدثين من نفي شرط حذف أحد معمولين ويعارض رأي الذين قالوا بجواز هذا الحذف سواء الذين حكموا بحذف الاسم أو الذين قالوا بحذف الخبر نظرا للأصل الذي تفرع منها لات

في الحكم وعلى رأس هؤلاء الشيخ خالد^(٧٦) الذي قال: "وكان القياس أن يكون هذا هو الغالب بل كان ينبغي أن حذف المرفوع لا يجوز البتة لأن مرفوعها محمول على مرفوع ليس ومرفوع ليس لا يحذف فهذا فرع تصرفوا فيه ما لم يتصرفوا في الأصول لقوتها".^(٧٧)

ونرى من النحاة من زعم أن لات تعمل عمل حرف الجر إذا دخلت على اسم الزمان فقط وعلى رأس هؤلاء أيضا الفراء ومن لفّ لقه كما سجلها الإمام السيوطي في الهمع والأستاذ عبد الرحمن النحوي في خطيبه إلا أن الذي يراه البحث فيما ذهب إليه الفراء أنه لم يحكم جزما بأنها تجر الاسم فكأنه فقط ينقل إلى القراء قول بعض العرب في إخفاض اسم لات لذلك قال: "ومن العرب من يضيف لات فيخفض. أنشدوني: "لات ساعة مندم".^(٧٨)

وجعل هؤلاء "لات" من أسماء لازمت الإضافة، وتكملة عجز البيت سبق أن نقله الباحث من همع السيوطي ونسبه إلى ابن مالك وقال القراء: "ولا أحفظ صدره"^(٧٩) ومما يؤيد ما اكتشفه الباحث في قول السيوطي وعبد الرحمن النحوي ما أثبتته الفراء نفسه في معانيه بعد ذلك القول المنقول أي: "والكلام أن ينصب بها لأنها في معنى ليس، أنشدني المفضل:

تذكر حبّ ليلي لات حيناً ** وأضحى الشيب قد قَطَعَ القرينا.^(٨٠)

وهذا النص الأخير كاف لمعرفة موقف الفراء في هذه المسألة.

ومنهم من قال بأن لات لا تعمل كأبي حيان وغيره وأولوا الاسم الذي بعدها إلى تقدير وفي نظرهم إن كان الاسم مرفوعا فمبتدأ وإن كان منصوبا فعلى إضمار فعل ماض إما أن يكون أرى أو غيره فيقال: و"لات حين" أي ولات أرى حين مناص^(٨١) وعدّ السيوطي الأخفش من رؤوس هؤلاء القوم زعما أن ابن عصفور نقل الرأي عنه (الأخفش) واتبعهم في ذلك جمع غفير منهم المرادي الذي قال: أما لات فأثبت سيويه والجمهور عملهما ونقل منعه عن الأخفش^(٨٢) وسوف يتعرّض البحث إلى ما نسب إلى الأخفش من الرأي إن حقا أولا.

أما القول الثاني فيتمثل في هل "كلمة" لات" مفردة أم مركبة فاختلافهم في هذا يشبهه - نوعا ما- اختلافهم في أحكامها وإعمالها أو إهمالها يُقرأ في معظم المؤلفات النحوية بأن سيبويه قال بتركيبها من "لا" و"التاء" هكذا ورد السيوطي والمرادي والأشموني وغيرهم وقال المرادي: وهي مركبة عند سيبويه من "لا" النافية "والتاء".^(٨٣)

ومنهم من قال بحرفيتها كالفراء باعتبار ما سبق أن أشار إليها الباحث من قول السيوطي وعبد الرحمن النحوي، ومنهم من قال بفعاليتها كابن أبي الربيع الذي قال بأنها...الأصل في لات لَيْسَ أبدلت سينها تاء كما في ستّ فعادت الياء إلى الألف لأن الأصل في ليس لَاسَ لأنها فعل ولكنهم كرهوا أن يقولوا ليت فيصير لفظها لفظ التمني...".^(٨٤) هكذا حلّل هذا الفريق كلمة لات وأولوها إلى أنها فعل أصلا وهناك جماعة من هذا الفريق أيضا آمنوا بفعاليتها واختلفوا في اشتقاقها وقال هؤلاء بأنها من أَلَتَ يَأْتِ وعلى رأسهم أبي ذر الحشني^(٨٥) واحتج هؤلاء بآية قرآنية هي: ﴿...وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤] فكلمة لا يليتكم أولها اللغويون إلى أصلين منهم من أوله إلى أَلَتَ يَأْتِ ومنهم من أوله إلى لات يليت لأن أباعمرو قرأ بـ"لا يَأَلْتُكُمْ" بالألف اعتبارا منه في ذلك بقوله: ﴿...وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ...﴾ [سورة الطور: ٢١] وقد قال رؤية بني العجاج في قول شعره:

وليلة ذات ندى سریت ** ولم يلتني عن سراها لیت^(٨٦)

وقد نسب السيوطي في "همعه" إلى الأخفش القول بأن "لا" زيدت التاء عليها لتأنيث الكلمة كما حدث ذلك في ثمّ وربّ...

هذه أقوال متنوّعة قيلت في كلمة لات فهي مركبة أم مفردة بسيطة وينتقل الباحث الآن إلى ما اكتشفه الأستاذ عبد الرحمن النحوي النيجيري، ويتمحور هذه الاكتشافات في ثلاث نقاط بعدما قد أبدى موقفه في القضية حيث يرجح رأي الذين قالوا بأن "لات" بسيطة وليست مركبة إلا أنه خالف ابن أبي الربيع والحشني في فعليتها ومال إلى حرفيتها وقال: "القول بأن "لات" بسيطة وليست مركبة هو الأقرب عندي، والمختار من بساطتها هو كونها حرفا في الأصل..."^(٨٧) وأما تلك النقاط التي تدور حولها اكتشافاته هي:

١- ما نسب إلى سيبويه من أنه حكم بتكيب "لات" من "لا" والتاء الزائدة كتكيب "إنما" وسيبويه لم يقل ما يشبه هذا بل ادّعاء نسب إلى شخصيته إذ ليس لسيبويه كتاب سوى كتابه المعروف وتحدث عن كلمة "لات" في موضعين من جميع مجلّدات هذا الكتاب سبق أن أورد الباحث كلامه في الموضوع الأول وأما ثانيه فهو الذي قاله في باب أسماء "هذا باب ما يكون مضمرا فيه الاسم متحوّلا عن حاله إذا أظهر بعده الاسم" وقال فيه بعد جولة طويلة: "...وكما أن لات إذا لم تُعملها في الأحيان لم تعملها فيما سواها فهي معها بمنزلة ليس فإذا جاوزتها فليس لها عمل"^(٨٨) وهذا الأستاذ النحوي النيجيري هو أول من تّبّه الجميع إلى هذه الفكرة المنسوبة إلى سيبويه جهلا أو انتحالا وقال: "ما نسب إلى سيبويه بأنه يذهب إلى أن "لات" مركبة من حرفين "لا" و"التاء" الزائدة كتكيب "إنما" لم أجد ما يدل على ذلك في مظانه عند سيبويه"^(٨٩)

٢- ما نسب إلى الأخفش من أنه أهمل عمل "لات" كما أشار إلى ذلك الإمام السيوطي وأقره المرادي كما سبق القول، وإليك ما قاله سعيد بن مسعدة الشهير بالأخفش في معانيه ونقارن بينه وبين ما نسب إليه، قال: "...فشبّهو "لات" بليس وأضمروا فيها اسم

الفاعل ولا تكون "لات" إلا مع "حين" ورفع بعضهم "ولات حينٌ مناصٍ" فجعله في قوله

مثل ليس كأنه قال ليس أحدٌ وأضمر الخبر. ثم استشهد بيت شعري قيل فيه:

طلبوا صلحنا وولات أوانٍ ** فأجبنا أن ليس حينٌ بقاءٍ. (٩٠)

وقال في تحليل البيت: فجرّ "أوانٍ" وحذف وأضمر "الحين" وأضاف إلى "أوانٍ" لأن

"لات" لا تكون إلا مع الحين. (٩٠)

يفهم من وضوح هذا النص ما للأخفش من الآراء والمواقف في القضية بدون إضافة ما

ليس فيه والتقول عليه ما لم يقله، ونبه الأستاذ عبد الرحمن النيجيري إلى هذه النقطة أيضا بعد ما

قد اكتشفها وقال: "هكذا نسب إلى الأخفش والجمهور، ولا أدري من هم الجمهور؟ لأن النص

الموجود في معاني الأخفش لا يدل على ما نسب إليه وذلك النص إنما هو تكرار لما قاله سيبويه

وما قاله سيبويه لا يدلّ ظاهرة على ذلك". (٩١)

٣- ذهب بعض النحويين إلى أن "لات" كلمة وبعض كلمة أي "لا" و"التاء" ونُسب هذا

القول إلى أبي عبيدة معمر بن مثنى وممن نسبوها إليه الأنباري والعكبري والرضي وغيرهم.

فالذي نرى في مجاز أبي عبيدة يخالف هذا القول لأن الذي قال هو: "أي لات إنما هو

من "ولا" وبعض العرب تزيد فيها الهاء فتقول لاه فتزيد هاء الوقف، فإذا اتصلت صارت

تاء" (٩٢). واكتشف عبد الرحمن النحوي حقيقة هذا القول ونسبته كما فعل في سابقه

وقال: "فالقول بأن "لات" كلمة وبعض كلمة هو مذهب لأبي عبيد القاسم بن سلام

وليس لأبي عبيدة معمر بن المثنى ولعل سبب الخلط هو التشابه في الكنى، وكون أبي عبيد

تلمذ على أبي عبيدة...". (٩٣)

هكذا تبّه القراء إلى هذه الأخطاء الشائعة في كتب النحويين واقتصر السبب في هذه

النقطة الأخيرة على نقطتين معتدراهم بهما، هما التشابه بين اسمي أبي عبيدة معمر بن مثنى

وتلميذه أبي عبيد القاسم بن سلام، هذا أبو عبيدة وذاك أبو عبيد، تشابه قريب جدًا ثم كون الثاني تلميذ الأول وإذا أثبت شيئًا أو حكم بحكم قد يُظن به أنه منقول من كلام أستاذه، هكذا قام هذا النحوي النيجيري بهذا الجهد الجهد في إدراك هذه الحقائق ونسبة كل قول إلى قائله من دون لبس أو غش.

مواقفه فيما قيل عن رافع المبتدأ والخبر

مُلئت صفحات المؤلفات النحوية بموضوع المبتدأ والخبر وقام النحويون قديما وحديثا بشرح قواعدهما وبيان أحكامهما وكيف يأتي الخبر جملة وغير هذه من بياناتهم واتفقوا جميعا على أنهما مرفوعان إذا لم يسبقهما أحد النواسخ ثم وضعوا شروطا لكيفية تقديم الخبر لأن المعلوم أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر ولا يجوز للمتكلم أن يقدم ذلك الخبر إلا عند وجود أحد تلك الشروط. وهكذا فصلوا القول في هذا الموضوع النحوي المهم تفصيلاً مقنعاً إلا أن هذه التفصيلات ليست محل حديثنا في هذا البحث أما الذي يهتمه هو أقوالهم المتنوعة واختلافاتهم المتباينة في العامل فيهما، أو بأسهل العبارة، بماذا ارتفع المبتدأ والخبر لأن القاعدة النحوية تقول: لا بد أن يكون لكل معمول عامل، ولو كان المحدثون يقولون أشياء عن هذه القاعدة وحسب الباحث ما تطرق إليه حديثه عن ذلك في الباب الثاني. فالمبتدأ والخبر - كما قلنا - مرفوعان كما في قول سيبويه بأن المبتدأ والمبني عليه رفع^(٩٤) ويقصد بالمبني عليه خبره لما قد فسره الجملة التي تليه وقال: "المبتدأ الأول والمبني ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه".^(٩٥) فما الذي رفعهما هذا ما يلتفت إليه البحث قليلا قبل أن يضيف إليه اكتشاف الأستاذ عبد الرحمن النحوي في القضية.

ولقد تضاربت الآراء حول العامل الحقيقي في المبتدأ والخبر فمن قائل إن العامل في المبتدأ معنوي وهو الابتداء والعامل في الخبر لفظي وهو المبتدأ وعلى رأس هؤلاء سيبويه وبعض الجمهور.

قال سيبويه: "فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء وذلك قولك عبد الله منطلق، ارتفع عبد الله لأنه ذكر ليبنى عليه المنطلق وارتفع المنطلق لأن المبني على المبتدأ بمنزلة".^(٩٦)

وللباحث وقفة يسيرة مع هذا النص المنقول لتعليقات بعض النحويين عليه وسأؤخر الوقفة حتى يصل البحث إلى تلك التعليقات.

ولقد اتفق موقف سيبويه مع رأي أستاذه الخليل حين قال: "زيد خارج... رفعت زيدا بالابتداء ورفعت خارجا لأنه خبر الابتداء"^(٩٧) ورجح ابن عقيل رأي سيبويه^(٩٨)، ولقد تعارض مذهب ابن السراج وابن جني والمبرد وغيرهم مع قول اسيبويه والخليل لما قال ابن السراج في أصوله: "فالمبتدأ رفع بالابتداء والخبر رفع بهما".^(٩٩)

ولما قال المبرد أيضا في موضعين من "مقتضبه" قال في الأول: "قولك زيد منطلق فزيد مرفوع بالابتداء والخبر رفع بالابتداء والمبتدأ"^(١٠٠) ثم قال في الموضوع الثاني: "فأما رافع المبتدأ فبالابتداء ومعنى الابتداء التنبيه إلى أن قال: والابتداء والمبتدأ يرفعان الخبر".^(١٠١) لكن ابن جني قد فصل القول في السبب الحقيقي الذي عارضوا به قول سيبويه وأرجعه إلى ما قيل بأن العامل لا يجوز أن يتقدم على معموله، ألم تر أنه إذا اتفقنا مع سيبويه في رأيه فكيف نحلل إذا وصل القول إلى تقديم الخبر على المبتدأ أليس في هذا تقدم الم معمول على العامل لأن المبتدأ هو الذي رفع الخبر في نظر هؤلاء، فافقرأ معي قول ابن جني في الموضوع، "فليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه، فأما خبر المبتدأ فلم يتقدم عندنا على رافعه لأن رافعه ليس المبتدأ وحده إنما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعا فلم يتقدم الخبر عليهما معا وإنما تقدم على أحدهما وهو المبتدأ فهذا لا ينتقض لكنه على قول أبي الحسن^(١٠٢) مرفوع بالمبتدأ وحده ولو كان كذلك لم يجوز تقديمه على المبتدأ".^(١٠٣)

وبهذه النقطة- كما يبدو-ردّ ابن جني على سيبويه وبعض الجمهور رأيهم، ولقد نسب السيوطي إلى الأخفش والرماني القول بأن العامل في الخبر الابتداء وذكر معها ابن السراج^(١٠٤) إلا أن الأمر بخلاف ذلك لأن قول الأخفش والرماني-إن صحت النسبة- كما زعمها السيوطي لم تتماش مع القولين المشهورين السابقين لا إلى رأي سيبويه ينتمي ولا مع موقف ابن جني يحسب. وقد سبق أن أوردنا قول ابن السراج فأين وجه التوافق بينه وبين ادعاء السيوطي؟ ولو أنه قد اختار لنفسه موقفاً آخر حيث قال: "إن عامل المبتدأ عندي الخبر..."^(١٠٥).

ولقد زعم بعض النحويين في نص سيبويه السالف الذكر أنه يحتمل الوجهين وعلى رأسهم السيرافي في شرحه لكتاب سيبويه واتبعه في ذلك صاحب الخطيب عبد الرحمن النحوي، ولكي يتّضح البيان أنقل إلى القارئ قول السيرافي: "ولسيبويه فيه عبارات مختلفة مشبهة يوهم بعضها أن الخبر يرفعه المبتدأ وذلك قوله: فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، يعني يرتفع بالمتدأ، ويوهم بعضها أن الابتداء يرفع المبتدأ والخبر، لقوله: "وارتفع المنطلق وهو يعني خبر الابتداء لأن المبني على المبتدأ بمنزلته."^(١٠٦)

هكذا نقل السيرافي نص سيبويه زاعماً أن فيه ما يحتمل حكيمين.

وقفه الباحث مع تعليق السيرافي

أنا لم أر ما يحتمل الوجهين أو يوهم الحكيمين من هذا الكلام لذلك نقلت النص بأكمله في بداية هذه السطور من كتاب سيبويه، فصاحب القول قد صرح بموقفه وأبدي رأيه من غير شبهات أو غموض حيث قال: "فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء" هذا كلام واضح غني عن الشرح والتفسير فكأن الذي أدّى بالسيرافي إلى هذا الادعاء ما عقب به سيبويه قوله في الجملة التالية: "لأن المبني على المبتدأ بمنزلته" فالضمير عائد على المبتدأ- كما يبدو- والمنزلة منزلة الرفع أي الخبر بمنزلة المبتدأ في الحكم لأتهما مرفوعان ولذلك ترى معظم النحويين

يثبتون رأيا واحدا في هذه القضية لسيبويه كما فعل ابن عقيل والسيوطي حسب بيان البحث في السابق ولهذا أقول بأن هذا النص لا يحتمل سوى رأي واحد ألا وهو: يرتفع المبتدأ بالابتداء ويرتفع الخبر بالمتدأ وهذا اكتشاف من اكتشاف. وقال عبد الرحمن موافقا لموقف السيرافي: "فقد وجدنا أن كلام سيبويه يحتمل المذهب الأول القائل بأن الابتداء رفع المبتدأ والمتدأ رفع الخبر، كما يحتمل المذهب الثالث الآتي وهو أن الابتداء رفع المبتدأ والخبر معا".^(١٠٧) هكذا اتبع عبد الرحمن السيرافي في تأويل كلام سيبويه وحمل معناه في غير موضعه وهذا القول الأخير غير مقبول.

آراء عبد الرحمن النحوي في المسألة

١- اكتشف فيما قيل عن المبرد نظرا لما في موضعين من مقتضبه وما نسبه إليه ابن مالك أيضا وذلك أن الابتداء رفع المبتدأ ورفع الخبر بواسطة الخبر "ولعل الخطأ وقع عند الطبع لأن صاحب الخطيب أحال إلى كلام ابن مالك المنقول من مقتضب المبرد وكيف يمكن أن يرفع الخبر بواسطة الخبر؟ لأنه يخالف ما عليه المبرد إذ سبق أن أورده الباحث أما إذا قال رفع الخبر بواسطتهما فهذا صحيح وموافق". أما القول الآخر الذي اكتشفه عبد الرحمن هو ما قاله المبرد: "وأما حيث كان خبرا وقع مرفوعا كما كان المبتدأ، رفعا بالابتداء"^(١٠٨). وهو في هذا القول يحكم لكلا المبتدأ والخبر بعامل معنوي هو الابتداء ولم يدرك هذا أحد في كتابه فيما يعلم الباحث سوى عبد الرحمن النحوي.

٢- ما نسب إلى الأخفش والرماني وعُدَّ معهما ابن السراج- كما بينا سابقا- بأن الابتداء هو الذي رفع المبتدأ والخبر معا وهذا غير صحيح لأن ابن السراج موقفه واضح كما نقل البحث قوله من أصوله، وهذا الأستاذ عبد الرحمن قام بهذا العمل ونبه القراء إلى ما في هذا التوثيق من الاضطرابات.

٣- يرى عبد الرحمن أن لابن جني قولين في هذه المسألة الأول مشهور والثاني خفي لذلك نسب إليه السيوطي والعكبري وغيرهما القول بأن الخبر يرتفع بالابتداء والابتداء نظرا لما في "خصائصه"، ثم أرانا عبد الرحمن ما في "لمعه" من قول آخر سكتوا عنه وذلك ما قاله ابن جني: "إن المبتدأ عمل فيه الخبر والخبر عمل فيه المبتدأ والابتداء معًا". (١٠٩)

هذه هي المواقف الخاصة التي رآها هذا النحوي النيجيري خلال بحثه الطويل عن الخطيب الشربيني وجهوده النحوية، ومع هذا وذاك، التمس هؤلاء العلماء العذر فيما وثقوها اضطرابا قائلًا: "فهذا الاضطراب في التوثيق قد يكون نتيجة لاختلاف أقوال أصحاب الآراء أو أن لصاحب الرأي قولين: أحدهما هو المشهور عنه وهو المذكور في كتبه المتداولات والآراء الأخرى في كتاب له غير مشهور أو مفقود أو مخطوط". (١١٠)

اكتشافه فيما نسب إلى الفراء عن حركة النون في جمع المذكر السالم

ظفرت الجموع بأنواعها في اللغة العربية بعناية النحويين قديما وحديثا درسا وتأليفا وعلى وجه الخصوص جمع المذكر السالم الذي هو أحد ما يعرب بالحروف في النحو العربي كالثنائية، والأسماء الستة والأفعال الخمسة، وهو يعرب بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرًا على القول المشهور وهذا قول أكابر اللغويين والنحويين من أمثال الخليل وسيبويه والأخفش والكسائي وغيرهم ولو كان هناك اختلافات طويلة فيما بينهم عن نوعية المفرد الذي يجمع جمع مذكر سالم وهذا طبيعي كعادتهم في سائر الأحكام النحوية لأنه قلما تجد حكما نحويا إلا وحوله أقوال متنوعة، أما ما يدعو إلى الغرابة قول بعضهم في جعل هذا الإعراب على النون بدلا من على الواو والياء ويعرب جمع المذكر السالم في نظر هؤلاء إعراب الحركات بدلا من إعراب الحروف ويكون النون مفتوحا في محل النصب ومكسورا في محل الجرّ ومضموما في محل الرفع.

وقد جعل الأشموني سبب إعراب الحروف عليهما (الثنية وجمع المذكر السالم) إلى كونهما فرعاً للمفرد وإعراب الحروف فرع لإعراب الحركات فجعل الفرع مع الفرع طلباً للمناسبة^(١١١) وذهب الكوفيون إلى أنه يعرب بالحركات إذا سمي به. كلّ هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى قول الجمهور بأن القياس في نون جمع المذكر السالم أن تكون مفتوحة وعكس ذلك في المثني أي تكون مكسورة قال ابن مالك:

ونون مجموع وما به التحق ** فافتح وقلّ من بكسره نطق

ونون ما ثني والملحق به ** بعكس ذاك استعملوه فانتبه. ^(١١٢)

يفهم من هذين البيتين ما ذهب إليه البحث من قول الجمهور في حركة نوني الثنية والجمع ولكن الناظم أشار إلى نقطة مهمّة جداً ألا وهي كسر تلك النون في الجمع بدلاً من فتحها وهذا محلّ نقاش البحث لما اكتشفه الأستاذ عبد الرحمن النحوي فيما نسب إلى الفراء من الآراء في هذه المسألة، ولقد ورد في كسرهما أقوال مختلفة وآراء متباينة منهم من قال بأنه لغة كالناظم (ابن مالك) في شرحه لكتاب التسهيل حيث قال: "يجوز أن يكون كسر نون الجمع وما ألحق به لغة"^(١١٣). وإذا حكمنا بأنها لغة فلا سبيل إلى ردّها لأنها لغتهم وكيف نرد عليهم ما جبلوا عليها؟ ومنهم من قال بشذوذها كابن عقيل راداً على ابن مالك بقوله: "...وقد تكسر شذوذاً... وليس كسرهما لغة خلافاً لمن زعم ذلك"^(١١٤).

وقد قال بعضهم بأنما تسببه الضرورة الشعرية لأنها تأتي كثيراً في الشعر. فهذه النون تفتح طلباً للخفة من ثقل الجمع وليفرقوا بينها وبين نون الثنية التي قيس بكسرها، ومن الأبيات المشهورة للاستدلال في هذا الأمر قول الشاعر:

أكل الدهر حل وارتحال ** أما يبقى عليّ ولا يقيني

وماذا تبغي الشعراء مني ** وقد جاوزت حدّ الأربعين. ^(١١٥)

روي بكسر النون في "الأربعين" وله بيت آخر قال فيه:

عرفنا جعفرًا وبني أبيه * * * وأنكرنا زعانف آخرين. (١١٥)

وقد قال بعضهم بأنها ضرورة شعرية وأشار الشربيني في "الفتح الخالق المالك في حلّ ألفاظ ابن مالك" إلى أن الأخفش الأصغر عليّ بن سليمان حكم بأنها كسرة إعراب بدون التفريق بينه وبين العقود وغيرها وجعله بمنزلة الجمع المكسر وجعل إعرابه في آخره والصحيح اختصاصه بالشعر مع الياء. (١١٦)

وقد يحتج هؤلاء بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "...اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسنين يوسف" (١١٧) وقد روي بوجه آخر بإسقاط النون في سنين وقال: "اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف" لذلك قال الإمام العيني في بيان نص الحديث: "بأن النون سقطت من سني يوسف للإضافة" (١١٨)، ويفيدنا في هذا الصدد تعليق الأشموني على هذا الحديث حيث أرجعه إلى وزن "الحين" فهو يعرب بالحركات الظاهرة على النون. قال هذا عند ما يشرح بيت ابن مالك الذي يقول:

وبابه ومثل حين قد يُرد * * * ذا الباب وهو عند قوم يطرد. (١١٩)

وهاك نصه: "ومثل حين قد يرد ذا الباب: فيكون معرباً بالحركات الظاهرة على النون مع لزوم الياء" (١١٩) ثم استشهد ببيت شعري مع هذا الحديث، أما البيت:

دعاني من نجد فإن سنينه * * * لعبن بنا شيئاً وشيئنا مُرداً. (١٢٠)

وفي استشهاده للحديث نكر "سنينا" الأول حسب ما في إحدى الروايات وكتب "اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف" وعقب قوله بـ: "أي مجيء الجمع مثل حين عند قوم من النحاة منهم الفراء "يطرد". (١٢١)

وقفة الباحث مع الأشموني وعبد الرحمن النحوي في رأي ابن مالك

ذهب عبد الرحمن إلى أن لابن مالك رأيين في القضية، الأول: اعتقاده بأن كسر النون في جمع المذكر السالم لغة، والثاني: زعمه بأنه ضرورة، واستشهد على الأول بقوله في شرح الكافية الشافية، واحتج في الثاني بقوله في شرح التسهيل، وقال "ذهب بعض النحويين-منهم ابن مالك في أحد قوليه إلى أن كسر النون في الجمع السالم وما حمل عليه لغة لبعض العرب"^(١٢٢). وأشار إلى هذين الكتابين في هامش الصفحة.

وأما الأشموني فقد ذهب إلى أن لابن مالك في هذه المسألة قول واحد وهو أن كسر هذه النون لغة واستشهد بنفس الكتابين الذين استشهد بهما عبد الرحمن النيجيري وإليك ما قال: "قال في شرح التسهيل: يجوز أن يكون كسر نون الجمع وما ألحق به لغة، وحزم به في شرح الكافية..."^(١٢٣). هكذا نقل الأشموني كلام ابن مالك من كتابيه شرح التسهيل والكافية الشافية. فالسؤال إذن لماذا هذا التعارض بين هذين النحويين في نسبة الرأي إلى ابن مالك؟ هذا ما سيجيب عنه الباحث في السطور التالية.

أصوب القول ما ذهب إليه الأشموني لأن ما في الكتابين دليل قاطع على موقف المؤلف (ابن مالك) وقد نقل الأشموني ما قاله في شرح التسهيل ولأنقل إلى القارئ قوله في شرح الكافية الشافية، قال ابن مالك شارحا لبيت صاحب الكافية، يقول البيت:

والنون في جمع له فتح وفي ** تثنية كسر وعكس قد يفى.^(١٢٤)

وقال ابن مالك: "ونون الجمع الذي على حدّ المثني، والحمول عليه مفتوحة وكسرهما لغة"^(١٢٤). وبين هذا النص المنقول من شرح الكافية وذلك من شرح التسهيل توافق تام ولذلك قال الباحث بأن تحليل الأشموني صحيح وأصحّ، راجح وأرجح، أما ما ذهب إليه عبد الرحمن ففيه تناقض ترى أنه لم ينقل هذين النصين في كتابه بل اكتفى بذكر اسم الكتابين والإشارة إلى رقم

صفحتيهما. والذي أوقع صاحب الخطيب في الإشكال هو أنه اختلط رأي المحقق مع رأي الشارح، فابن مالك حكم بلغته في شرحه للكافية وقام الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي بتحقيق الكتاب فهو الذي قال في هامش هذه الصفحة بأن كسر هذه النون ضرورة.^(١٢٥) فمن هنا نسب عبد الرحمن النحوي هذا القول إلى ابن مالك ظنا منه أو خطأ ووقع الالتباس والتناقض بينه وبين الأشموني.

إذن فالقول بأن كسر النون في الجمع السالم لغة قول للدكتور عبد المنعم أحمد محقق شرح الكافية الشافية وليس لابن مالك كما زعمه صاحب الخطيب الشرييني.

ما اكتشفه عبد الرحمن النحوي في القضية

اكتشف خطأ النسبة فيما ذهب إليه معظم المصادر النحوية بأن الفراء كان مع الذين قالوا بجواز حركة الإعراب مع لزوم الياء في الجمع السالم أثبت الأشموني هذا القول في نصه السالف النقل وغيره، والصحيح أن هذا الرأي للمبرد في متقضبه، فالذي قام به الفراء في معانيه الإخبار ببعض العرب الذين اعتادوا استعمالها ولم يقل جزما بجوازه، لأنه يفسر لنا قول الله تبارك وتعالى في سورة الحجر: "الذين جعلوا القرآن عضين" وقال: "وواحدة العضين عضه رفعها عضون ونصبها وخفضها عضين، ومن العرب من يجعلها بالياء على كل حال ويعرب نونها فيقول: عضينك ومررت بعضينك وسنينك وهي كثيرة في أسد وتميم وعامر"^(١٢٦) ألم يثبت الفراء رأيه في هذا النص؟. إذ قال أولا: "وواحدة العضين عضه رفعها عضون ونصبها وخفضها عضين" فلما ذا ينسب إليه رأي الإعراب بالحركات على النون؟ وأما قوله الثاني حين قال: "وإنما جاز ذلك في هذا المنقوص الذي كان على ثلاثة أحرف فنقصت لامه، فلما جمعه بالنون توهموا أنه فعول إذ جاءت الواو وهي واو جماع فوقعت في موضع الناقص فتوهموا أنها الواو الأصلية وأن الحرف على فعول ألا ترى أنهم لا يقولون ذلك في الصالحين والمسلمين وما أشبهه"^(١٢٧). فهو في هذا يتحدث

عن المنقوص أي ما نقصت لامه، فمثال: سَنَةٌ، كلمة مفردة جمعها سنين بحذف التاء التي هي لامها فهذا هو المنقوص المشار إليها الذي حكم الفراء بجواز الإعراب على نون جمعها فليس الحكم على جميع الجمع السالم، فينطبق هذا على نصّ ذلك الحديث المذكور آنفاً، ألم يك قد بيّن الرأي الأصوب في نهاية النص حيث قال: "ألا ترى أنهم لا يقولون ذلك في الصالحين والمسلمين". وهذا ما اكتشفه الأستاذ عبد الرحمن النيجيري النحوي في خطيبه وقال: "إن بعض المصادر نسبت إلى الفراء أنه يذهب إلى جواز ظهور الإعراب على آخر الجمع السالم من غير تفصيل فكأنه يميز ذلك مطلقاً.... إلى أن قال: ...والصحيح الذي فهمت من نص الفراء أنه أجاز ذلك في المنقوص فقط، أي في كل ثلاثي حذفت لامه وعوضت عنها بالهاء التأنيث". (١٢٨)

الفصل الثامن: الأستاذ الدكتور قاسم بدماصي النيجيري ورأيه في جهود ابن جنيّ

عن "استصحاب الأصل"

كان الأستاذ قاسم بدماصي الإبداني من أكابر النحويين النيجيريين، قرأ على العلامة الإلوري قبل رحلته العلمية إلى المملكة العربية السعودية للحصول على الشهادات الأكاديمية، له إنتاجات نحوية متعدّدة منها كتاب "أصول النحو" (١٢٩) الذي يعتبر من أوائل ما كتب في هذا المجال في نيجيريا، درس فيها علم الأصول النحوية بأقسامها الأربعة التي هي القياس، السماع، الإجماع، والإستصحاب. ابتداء من القرن الثاني الهجري في باكورتها الأولى وانتهاء إلى عصر ابن جنيّ وما بعده بقليل، ووقع حديثه في جانب يخصّ ما في أعلى هذه الصفحة من العنوان، على ما اكتشفه من جهود اختفى للسابقين عن ابن جنيّ ويتمثّل ذلك في استصحاب الأصل الذي هو رابع تلك الأصول التي بنيت عليه القواعد النحوية وهو على حدّ تعريف الأنباري: "إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل". (١٣٠) وهو ركن هام استدركوا به بقية الأركان الثلاثة ولو كان هناك فريق يقولون بضعفه لما في لمع الأدلة للأنباري: "بأن استصحاب الحال من أضعف الأدلة ولهذا لا يجوز التمسك به ما وجد هناك دليل". (١٣١) وكأن الذي أدّى بالأنباري إلى هذا القول هو أن الاستصحاب لا يقدم عند إصدار الحكم

النحوي لأن إبقاء الشيء في أصله يأتي عند عدم وجود دليل تغييره ولذلك علق الإمام السيوطي على هذا القول بـ"ألا ترى أنه لا يجوز التمسك به في إعراب الاسم مع وجود دليل البناء من شبه الحرف أو تضمين معناه".

ومثال ذلك أن يقال الأصل في الأسماء الإعراب وإنما يبنى مع الدليل وذلك لشبه الحرف وضعياً أو معنوياً، وكذلك الأصل في الأفعال البناء حتى يوجد دليل الإعراب لذلك قال ابن مالك:

ومعرب الأسماء ما قد سلما	**	من شبه الحرف كأرض وسما
وفعل أمر ومضى بنيا	**	وأعربوا مضارعاً إن عرياً
من نون توكيد مباشر ومن	**	نون إناث كيرعن من فتن. (١٣٢)

وهذا المصطلح مصطلح فقهي تعرف عليه علماء النحو في القرن الرابع الهجري لما قال بعض العلماء بأن الإمام أبا حنيفة هو الذي أوجده لذلك يقال له مصطلح فقهي حنفي. (١٣٣) ولقد قال علماء أصول الفقه بأن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدلّ الدليل على التحريم وعند أبي حنيفة الأصل فيها التحريم حتى يدلّ الدليل على الإباحة. (١٣٤)

وهذا محل خلاف بينهم هل الأصل الإباحة أو التحريم؟ ولقد صرح غير واحد من أئمة الفقه أن الأصل الإباحة فهذا الإمام السبكي (١٣٥) الذي أفتى في أشباهه بتحليل أكل الزرافة نظراً لهذه القاعدة، والقرآن يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ [البقرة: ٢٩] أورد الإمام السيوطي هذا الفتوى في أشباهه الأصولية، وكل هذا وذاك يدلّ دلالة واضحة على أن النحويين اقتبسوا هذا المصطلح من الفقهاء إضافة إلى ما قاله بعض المؤرخين في أن أصول النحو بأركانها ترسخت قدمها وكملت فروعها حتى صار علما مستقلا في القرن الرابع الهجري وكان في نظر هؤلاء كل ما يوجد قبل ذلك من لمسات القياس والسماع وغيرهما كما بينا في الباب الثاني ملامح فقط لا تعدّ علما كامل المفاهيم، وإليك ما قاله الدكتور عبد الحق السوداني في هذا: "وقد كان لابن جني (٣٩١هـ) وابن الأنباري (٥٧٧هـ)، والسيوطي (٩١١هـ)، أداءً تأسيسياً لهذا

العلم عندما شعروا بضرورته فحددوا مفاهيمه الكلية وقد كانت إسهاماتهم تبنى هذا العلم من حيث الموضوع والمنهج".^(١٣٦)

فلا نطيل القول في استصحاب الأصل هنا لما قد ينتج من ذلك من تطرف فالذي يمس هذه السطور هو ما قيل عن ابن جني في أنه لم يدرس الاستصحاب في كتابه الخصائص.

ذهب بعض المحدثين الذين كتبوا عن ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية إلى أنه لم يدرس الاستصحاب (استصحاب الأصل) في خصائصه ومنهم من قال بأنه درسه بدون تناول موضوعه بل تطرق حديثه إلى ما يشبه ذلك ولم يدرسه دراسة مباشرة أو يعطى الموضوع حقه ومستحقه وهناك الفريق الثالث الذين قالوا بأن ابن جني درس الاستصحاب دراسة مستوفية لا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها وشرحها وعدّه هؤلاء أول من كتب وألّف في أصول النحو بمفاهيمه الأربعة. ومن الفريق الأول جميل إبراهيم علوش في كتابه المعنون بـ"ابن الأنباري وجهوده في النحو"^(١٣٧) والدكتور أحمد سليمان في: "دراسات نحوية في خصائص ابن جني" هذا ولقد كتب الدكتور سليمان سالم علي ياقشع من جامعة العلوم والتكنولوجيا لكلية العلوم الإدارية الجمهورية اليمنية، كتب عن "ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية" وتكلّم كثيرا عن حركات ابن جني في القياس، والتعليل، والإجماع، وترك جانب الاستصحاب كأن ليس له فيه جهد يذكر أو حركة تسجل. أما الأستاذ قاسم بدماصي من رؤساء الفريق الثالث الذين قالوا بأنّ ابن جني درس الاستصحاب في خصائصه دراسة كافية، ومن تدبير قراءة كتاب "الخصائص" يدرك أن ابن جني درس الاستصحاب وإن لم يطلق عليه هذا العنوان، فمثلا قوله في "باب إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول ما لم يدع داع إلى الترك والتحول" وهل يوجد هناك فرق بين هذا العنوان وبين تعريف الأنباري للاستصحاب الذي سبق ذكرها أم يختلف عن قاعدة أصول الفقه القائلة: "الأصل في الأشياء الإباحة حتى يدلّ الدليل على التحريم، وعندما شرع ابن جني في بيان هذا العنوان قال: "من ذلك" أو "إنما أصل وضعها أن تكون لأحد الشيءين: أين كانت وكيف تصرفت فهي عندنا على ذلك وإن كان بعضهم قد خفي عليه هذا من حالها في بعض الأحوال حتى دعاه إلى أن نقلها عن أصل بابها وذلك أن الفراء قال: "إنّها قد تأتي بمعنى بل".^(١٣٨)

وخلاصة ما يهدف إليها ابن جني بهذا البيان هي إبقاء الشيء على أصله ما لم يوجد دليل النقل لذلك مثل بـ"أو" وقال بأن معناها يمس أحد شيئين أي إما هذا أو ذاك فلا يكون كليهما كما لا يخلو عن أحدهما وقال بأن الفراء نقلها عن أصلها وفسرها بمعنى بل ولذلك قال في موضع آخر مستشهدا بآية قرآنية ليثبت أن "أو" تستعمل أصلا لأحد الشيئين وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفافات: ١٤٧] فلا يكون فيه "أو" على مذهب الفراء بمعنى بل ولا على مذهب قطرب في أنها بمعنى الواو".^(١٣٩) وإذا فسرنا "أو" في هذه الآية بمعنى الشك وذلك أن الكلام حكاية من الله لقول المخلوقين وكأنه يقول إذا رأيتم تقول عدد هؤلاء القوم مائة ألف أو يزيد وهذا الشك ناتج من كثرتهم في عيون الناظرين وليس بأن الله تبارك وتعالى هو الذي يشك.

وابن جني تحت هذا العنوان وغيره من كتابه قد درس الاستصحاب كما يبدو من دون ريب ولا شبهة وهذا ما أدى بابن بدماصي النيجيري إلى هذا التنبيه وهذا الاكتشاف حتى قال: "وهذا وهم بينهم في فهم موقف ابن جني من استصحاب الأصل وعدم التثبت الكافي من مجهوده فيما كتب عن هذا الأصل قبل الحكم عليه إذ إنه درس الاستصحاب ووضع بعض معالمه الأولى في باب خاص".^(١٤٠)

هوامش الباب الثالث

١. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الطبعة الثالثة: ١٩٧٨م، الناشر غير مذكور، ص: ١٣.
٢. شيخو أحمد سعيد غلادنتي، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م، الناشر: دار المعارف كورنيش النيل-القاهرة، الطبعة غير مذكورة، ص: ٢٨.
٣. آدم عبد الله الإلوري، موجز تاريخ نيجيريا، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، ص: ١٦.
٤. إبراهيم جامع أوتويو، دروس أساسية في جغرافيا نيجيريا، الطبعة الثانية ١٩٨٨م الناشر غير مذكور. ص: ٥.
٥. هو الدكتور إبراهيم حلمي الغوري جغرافي شهر من دولة السودان وهو أستاذ مادة رسم الخرائط في كلية الهندسة والعمارة - جامعة الخرطوم. انظر في ذلك كتابه: "اطلس السودان والعالم" نشرته المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية، ص ٦٢.
٦. شيخو أحمد سعيد غلادنتي، المرجع السابق، ص: ٧٠-٧١.
٧. آدم عبد الله الإلوري، الدّين النصيحة، الطبعة الثانية، بدون التاريخ، الناشر غير مذكور، ص: ٢٥.
٨. قريب الله مُحمَّد الناصر المختار الكبير، مالم كبير، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان "صوكوتو" العاصمة العلية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، الطبعة الثالثة: ٢٠١٣م، الناشر: مطبعة الاتصال للطباعة العربية وغيرها، كنو-نيجيريا، ص: ٣٠-٣١.
٩. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص: ٣١.
١٠. شيخو أحمد سعيد غلادنتي، المرجع السابق، ص: ٤٥.
١١. آدم عبد الله الإلوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، الناشر: مكتبة وهبة شارع الجمهورية-عابدين-القاهرة، ص: ١٦-١٧.
١٢. يحيى فاروق ثيط، لمع البرق فيما لدى تشابه من الفرق للشيخ عبد الله بن فودي دراسة وتحليل الدكتور يحيى فاروق ثيط، الطبعة الأولى: ٢٠١١م، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات كنو-نيجيريا، ص: ٢٧-٢٨.

١٣. آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة دار النور لاجوس-نيجيريا، ص: ٣٤.
١٤. مُجَّد صالح حسين، مساهمة علماء غرب أفريقيا في نموّ وتطوّر النحو العربي دراسة لمنطقتي تمبكتو وبلاد هوسا في الفترة ما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين، بحث مقدّم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كنو، غير منشور، ص: ٣٠٩.
١٥. قاسم إبراهيم، مواقف وآراء العلماء في نسبة منظومة "أيا طالب الإعراب" إلى كاتبها بين التأييد والتعارض، مقالة نشرتها مجلّة ألوري، Vol. 129، Alore Ilorin Journal of the Humanities، ٢٠٢٠م، ص: ١٨١.
١٦. هناك التناقض فيما ذهب إليه الإلوري في نسبة هذه القصيدة إلى صاحبها لأنّه جمعها مع كتاب: "معرفة الضمائر والحروف" للشيخ مُجَّد بن معطي بن علي الكشناوي، وقال في الغلاف الأمامي: "ويليه رائية الإعراب للشيخ عبد الله بن مُجَّد فودي الفلاني المجدد الإسلامي الأكبر بغرب إفريقيا"، أما عندما وصل إلى عرض القصيدة في ص: ٩، قال: "قال الشيخ عثمان بن فودي: أيا طالب الإعراب"، راجع الطبعة الثانية من الكتاب المذكور نشرته مطبعة الثقافة الإسلامية، أغغى، نيجيريا بدون التاريخ.
١٧. آدم عبد الله الإلوري، نظام التعليم العربي، المرجع السابق، ص: ٣٥.
١٨. آدم عبد الله الإلوري، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، الطبعة الأولى مع الإعادة: ٢٠١٢م، الناشر: مكتبة وهبة شارع الجمهورية عابدين - القاهرة، ص: ١٣.
١٩. عبد الله بن فودي، لمع البرق فيما لذي تشابه من الفرق: دراسة وتحليل الدكتور يحيى فاروق ثييط، الناشر: دار الأمة كانو، نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١١م، ص: ٥٥.
٢٠. القلقشندی، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، ج ٥، ص: ٢٧١.
٢١. مُجَّد صالح حسين، المرجع السابق، ص: ٣٠٩.
٢٢. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص: ٥٦.
٢٣. آدم عبد الله الإلوري، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٢٤. مُجَّد صالح حسين، المرجع السابق، ص: ٣١١.
٢٥. آدم عبد الله الإلوري، المرجع السابق، ص: ٦٠.

٢٦. قاسم إبراهيم، العقد الثمين في تراجم النحويين في بلاد يوربا، الطبعة الأولى: ٢٠١٧م، الناشر: مركز كيؤوداميلولا لخدمات كمبيوتر والطباعة، إلورن، ص: ١٤.
٢٧. يحيى فاروق ثيظ، المرجع السابق، ص: ٢٨.
٢٨. قريب الله محمد الناصر المختار الكنوي، مالم كبير، المرجع السابق، ص: ٣٩.
٢٩. يحيى فاروق ثيظ، مروى الصيدي في علم الصرف للشيخ محمد بن صالح الفلاقي تحقيق وشرح الدكتور يحيى فاروق ثيظ، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م، الناشر: دار الأمة لووكالة المطبوعات كانو- نيجيريا، ص: ٢٣-٢٤.
٣٠. يحيى فاروق ثيظ، المرجع نفسه، ص: ٢٨.
٣١. الشيخ عبد الله بن فودي، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، شرح وتحقيق المسمى ب: توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات لعمر بن محمد بوي، الطبعة غير مذكورة، الناشر غير مذكور، ص: ١٦.
٣٢. محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الطبعة الأولى: ١٩٦٤م، الناشر غير مذكور، ص: ٥٦.
٣٣. آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا، المرجع السابق، ص: ٦٢.
٣٤. محمد بلو بن عثمان بن فودي، المرجع السابق، ص: ٣٠.
٣٥. آدم عبد الله الإلوري، المرجع السابق، ص: ١٨.
٣٦. قريب الله محمد ناصر مالم كبرى، الرسالة الجليلة، المرجع السابق، ص: ٧٣.
٣٧. مصطفى السنوسي زغلول، أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م، الناشر: دار الدعوة والإرشاد، إيصولو، لاغوس- نيجيريا، ص: ٩.
٣٨. محمد صالح حسين، المرجع السابق، ص: ٣١٢.
٣٩. عبد الله بن فودي، لمع البرق، المرجع السابق، ص: ٣٣.
٤٠. محمد بللو بن عثمان، المرجع السابق، ص: ٢١.
٤١. محمد بللو بن عثمان بن فودي، المرجع السابق، ص: ٤٠.
٤٢. أحمد سعيد الرفاعي، تفريغ الأورام وتفنيذ الأوهام، دراسة تفكيكية لآراء الإلوري في طبقات العلماء ببلاد يوربا، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، الناشر: مطبعة القبلة لاغوس، نيجيريا، ص: ٢٨، نقلاً عن كتاب "نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا".

- ٤٣ . آدم عبد الله الإلوري، **لحات البلّور في مشاهير علماء إلورن من ١٢٠٠ إلى ١٤٠٠هـ**، الطبعة الأولى: ١٩٨٢م، الناشر: مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماهير، ص:٤٨.
- ٤٤ . آدم عبد الله الإلوري، **المرجع نفسه**، ص:٤٨.
- ٤٥ . يوسف بن أبي بكر السكاكي أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، تضييظ وتعليق نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية: ١٩٨٧م، ص:٦.
- ٤٦ . قاسم إبراهيم، **العقد الثمين، المرجع السابق**، ص:٢٥.
- ٤٧ . آدم عبد الله الإلوري، **لحات البلّور، المرجع السابق**، ص:٦١.
- ٤٨ . قاسم إبراهيم، **العقد الثمين، المرجع السابق**، ص:٢٦.
- ٤٩ . آدم عبد الله الإلوري، **نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا**، الطبعة الثالثة: ١٩٩٠م، الناشر: مكتبة وهبة، شارع الجمهورية-عابدين، القاهرة، ص:١٦٢.
- ٥٠ . آدم عبد الله الإلوري، **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.
- ٥١ . آدم عبد الله الإلوري، **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.
- ٥٢ . مُجد الأمين سليمان، **الأسس النحوية التي لا يسع الطالب جهلها**، كتاب مخطوط، ص:٢.
- ٥٣ . يحيى فاروق ثيظ، **مروى الصدى في علم الصرف**، المرجع السابق، ص:١٦.
- ٥٤ . رضى الدين بن الحسن الاستراباڏي، **شرح شافية ابن الحاجب**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة غير مذكورة، ص:٦٣٦.
- ٥٥ . عبد الرحمن أحمد الإمام ، **الخطيب الشريبي وجهوده النحوية والتصريفية**، الناشر: دار الأمة لووكالة المطبوعات، كانو-نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م، الجزء الثاني، ص:١٣٢٩.
- ٥٦ . عبد الرحمن أحمد الإمام، **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.
- ٥٧ . عبد الرحمن أحمد الإمام، **المرجع نفسه**، ص:١٣٢٨.
- ٥٨ . عمرو بن عثمان بن قنبر سيويو، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام مُجد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٩٨٨م، الجزء الرابع، ص:٤٧٦.
- ٥٩ . رضى الدين بن الحسن الاستراباڏي، **المرجع السابق**، ص:٤٥٦.
- ٦٠ . رضى الدين بن الحسن الاستراباڏي، **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.
- ٦١ . علي بن مؤمن الإشبيلي ابن عصفور، **الممتع الكبير في التصريف**، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، ص:١٨١.

٦٢. عثمان بن عمر الكردي ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، تحقيق حسن أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية-مكة، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م، ص: ٨٠.
٦٣. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ص: ١٣٢٧.
٦٤. مُجَّد بن عبد الله الطائي ابن مالك، ألفية ابن مالك، الناشر: دار التعاون، الطبعة غير مذكورة، ص: ٧٩.
٦٥. عبد الله العقيلي المصري ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق مُجَّد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جوده النجار وشركاه، الطبعة العشرون، ١٩٨٠م، الجزء الرابع، ص: ٢٥١.
٦٦. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ص: ١٣٢٨.
٦٧. علي بن مُجَّد بن عيسى الشافعي الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، الجزء الرابع، ص: ١٥٦.
٦٨. علي بن مُجَّد بن عيسى الشافعي الأشموني، المرجع نفسه، ص: ١٥٩.
٦٩. رضى الدين بن الحسن الاستراباذي، المرجع السابق، ص: ٦٣٦-٦٣٧.
٧٠. هو الإمام الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي المعروف بابن أم قاسم، مفسر لغوي أديب ولد بمصر وأقام بالمغرب له من الكتب تفسير القرآن في عشر مجلدات، وإعراب القرآن، وشرح الشاطبية في القرآن، وشرح ألفية ابن مالك، هو من علماء القرن الثامن الهجري.
٧١. بدر الدين حسن بن علي المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، الجزء الأول، ص: ٥٠٦.
٧٢. مُجَّد بن عبد الله الطائي ابن مالك، المرجع السابق، ص: ٢٠.
٧٣. عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٥٧.
٧٤. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية-مصر، عدد الطبعة غير مذكورة، المجلد الأول، ص: ٤٦٠.
٧٥. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المرجع نفسه، المجلد الأول، ص: ٤٦٠.
٧٦. قال الإمام الزركلي: "هو خالد عبد الله بن أبي بكر بن مُجَّد الجرجاوي الأزهري زين الدين وكان يعرف بالوقاد نحوي من أهل مصر ولد بجرجا ونشأ وعاش في القاهرة وتوفي عائدا من الحج قبل أن يدخلها

- له "المقدمة الأزهرية في علم العربية" و"موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب" و"شرح الأجرومية" والتصريح بمضمون التصحيح في شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وشرح البردة، والألغاز النحوية وغيرها، انظر في كتاب الأعلام للزكلي خير الدين الدمشقي، الناشر: دار القلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م، المجلد الثاني، ص: ٢٩٧.
٧٧. عبد الرحمن بن أحمد الإمام، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٤٠٣.
٧٨. أبو زكريا الفراء، يحيى بن زياد الديلمي الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، الطبعة الأولى سنتها غير مذكورة، المجلد الثاني، ص: ٣٩٧.
٧٩. وقد روى ابن السكيت في كتاب الأضداد البيت بأكمله وهو:
ولتعرفن خلائقا مشمولة *** ولتندمنّ ولات ساعة مندم. انظر في الخزانة ١٤٧/٢.
٨٠. أبو زكريا الديلمي الفراء، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص: ٣٩٧.
٨١. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٣٩٧
٨٢. بدر الدين بن قاسم المرادي، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٥١١
٨٣. بدر الدين بن قاسم المرادي، المرجع نفسه، المجلد الأول، ص ٥١٢
٨٤. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٤٥٩.
٨٥. قال عنه الفيروزابادي في "البغية" بأن اسمه مصعب بن محمد بن مسعود الخشني الجباني النحوي ابن النحوي إمام في العربية والفقه والأدب توفي سنة ٦٠٤هـ. انظر ٢٨٧/٢.
٨٦. محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، المجلد الثاني والعشرون، ص ٣١٧
٨٧. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٤٠٩.
٨٨. عمرو بن قنبر سيبويه، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص: ٣٧٥.
٨٩. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، المجلد الأول، ص: ٤١٠.
٩٠. أبو الحسن المجاشعي البصري الأخفش الأوسط، معاني القرآن للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، الجزء الثاني، ص ٤٩٢.
٩٠. أبو الحسن المجاشعي البصري الأخفش الأوسط، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
٩١. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٤٠٦

٩٢. مجاز القرآن لأبي عبيدة، المجلد الثاني، ص: ١٧٦.
٩٣. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٤١١
٩٤. عمرو بن قنبر سيبويه، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ١٢٦
٩٥. عمرو بن قنبر سيبويه، المرجع السابق، الصفحة نفسها.
٩٦. عمرو بن قنبر سيبويه، المرجع نفسه، ٢٦٠، ص ١٢٧.
٩٧. الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، الجمل في النحو، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م، ص ١٤٤.
٩٨. قال ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك بعد ما ذكر أوجه الآراء في العامل في المبتدأ والخبر وعقب قوله بـ"وأعدل هذه المذاهب مذهب سيبويه وهو الأول" انظر شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون، ج ١، ص: ٢٠١.
٩٩. أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيقي عبد الحسين القتلي الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ج: ١، ص: ٥٨.
١٠٠. محمد بن يزيد الأزدي المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب -بيروت، الطبعة غير مذكورة، ج ٢، ص: ٤٩.
١٠١. محمد بن يزيد الأزدي المبرد، المرجع نفسه، ج ٢، ص ١٢٦.
١٠٢. يقصد ابن جني هنا بأبي الحسن الأخفش الأوسط لأنه على حد ما سجله السيوطي في همعه هو الذي حكم بأن الخبر يرتفع بالابتداء ولو كان هناك فرق يسير بين المبتدأ والابتداء ففي الجمع الابتداء وفي الخصائص المبتدأ ورأي المبتدأ قول لسيبويه وأبي على الفارسي كما نص عليه الرضي في شرحه للكافية ٨٧/١. فالذي جعلنا نؤمن بأن المقصود بأبي الحسن هو الأخفش وليس غيره ذلك أن للنحويين أبوى الحسن المشهورين هما الأخفش صاحب معاني الحروف القرآن والاشتقاق ومعاني الشعر ووجيرها ثم الرمان صاحب معاني الحروف وغيره تلميذ الزجاج وابن السراج وله أكثر من مائة كتاب أشار إليه الفيروزابادي في البلغة. في تراجم أئمة النحو واللغة، ص: ١٥٤. والأول سابق لابن جني (توفي سنة ٢١٥هـ) يمكن له الاحتجاج بأقواله والثاني معاصر له توفي سنة ٣٨٤هـ وتوفي ابن جني سنة ٣٩٢هـ. أضف إلى ذلك أن ابن جني قد سبق أن ذكر أبا الحسن في الكتاب نفسه وأضاف إليه الأخفش.

١٠٣. أبو الفتح عثمان ابن جني، **الخصائص**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة، ج ٢، ص: ٣٨٧.
١٠٤. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **المرجع السابق**، ج ١، ص ٣٦٠.
١٠٥. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **المرجع نفسه**، ج ١، ص ٣٦١.
١٠٦. قال المبرد هذا في الجزء الأول من مقتضبه، ص: ١٣، إلا أنه غير مشهور ولعل السبب في ذلك شهرة رأيه في موضعين مختلفين من هذا الكتاب إضافة إلى أن هذا القول الثالث تطرق إليه لأنه ليس في صدد الحديث عن الخبر والمبتدأ.
١٠٧. عبد الرحمن أحمد الإمام، **المرجع السابق**، المجلد الأول، ص ٢٥٢.
١٠٨. عبد الرحمن أحمد الإمام، **المرجع نفسه**، المجلد الأول، ص ٢٥٣.
١٠٩. أبو الفتح عثمان ابن جني، **اللمع في العربية**، تحقيق فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت، الطبعة غير مذكورة، ص: ٨٢.
١١٠. عبد الرحمن أحمد الإمام، **المرجع السابق**، المجلد الأول، ص: ٢٦٣.
١١١. علي بن محمد بن عيسى الأشموني، **المرجع السابق**، ج ١، ص ٦٦.
١١٢. ابن مالك عبد الله الطائي الجياني، **المرجع السابق**، ص: ١١.
١١٣. علي بن محمد بن عيسى الأشموني، **المرجع السابق**، ج ١، ص: ٦٧.
١١٤. عبد الله بن عبد الرحمن الهمداني ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة العشرون: ١٩٨٠م ج ١، ٦٨.
١١٥. البيت من الوافر وقيل أنه لجرير في ديوانه أخرجه الأشموني في شرحه على الألفية، ج ١/٦٧ د السيوطي في الأشباه والنظائر ج ٧/٢٤٨ بلا نسبة وابن عقيل في شرح الألفية ج ١، ص: ٦٨، وابن جني في سر صناعة الإعراب، ج ٢/٦٢٧، وعبد الرحمن أحمد في الخطيب الشربيني، ج ١/١٣٢.
١١٥. البيت من الوافر وقيل أنه لجرير في ديوانه أخرجه الأشموني في شرحه على الألفية، ج ١/٦٧ د السيوطي في الأشباه والنظائر ج ٧/٢٤٨ بلا نسبة وابن عقيل في شرح الألفية ج ١، ص: ٦٨، وابن جني في سر صناعة الإعراب، ج ٢/٦٢٧، وعبد الرحمن أحمد في الخطيب الشربيني، ج ١/١٣٢.
١١٦. عبد الرحمن أحمد الإمام، **المرجع السابق**، ج ١، ص: ١٢٩.

١١٧. والحديث بأكمله: عن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ إذا قال: سمع الله لمن حمده في الركعة الأخيرة من العشاء الآخرة قنت وقال: اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج عباس بن أبي ربيعة اللهم انج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر "اللهم اجعلها سنين كسنين يوسف"، وقال عبد الوهاب: كسني يوسف وقال: فيها كلُّها نَجّ نَجّ، وقال: أبو عامر اللهم نَجّ نَجّ. والحديث في صحيح البخاري رقم (٦٢٠٠) وفي صحيح مسلم (٦٧٥) والنسائي رقم (١٠٧٣) وابن ماجه (١٢٤٤) ومسند الإمام أحمد بن حنبل رقم (١٠٧٥٤).
١١٨. أبو مُجَدُّ مُحَمَّدٌ محمود بن أحمد بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة غير مذكورة، الجزء ٢٢، ص ٢١٢.
١١٩. علي بن مُجَدُّ بن عيسى الأشموني، المرجع السابق، ج ١، ص ٦٣.
١١٩. علي بن مُجَدُّ بن عيسى الأشموني، المرجع نفسه، ج ١، ص ٦٣.
١٢٠. البيت من بحر الطويل منسوبة إلى الصمة بن عبد الله القشيري أُورِد في تلخيص الشواهد، ص: ٧١، وفي خزانة الأدب، ج ٨/٥٨-٦١، وفي المقاصيد النحوية ج ١/١٦٩، أما في جواهر الأدب فبلا نسبة ص: ١٥٧، وفي الخطيب الشربيني ج ١/١٣٢، وفي معاني القرآن للفراء ج ٢/٩٢.
١٢١. علي بن مُجَدُّ بن عيسى الأشموني، المرجع السابق، ج ١، ص ٦٤.
١٢٢. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣١.
١٢٣. علي بن مُجَدُّ بن عيسى الأشموني، المرجع السابق، ج ١، ص ٦٧.
١٢٤. مُجَدُّ بن عبد الله الطائي ابن مالك، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، المجلد الأول، ص ٢٠٠.
١٢٤. مُجَدُّ بن عبد الله الطائي ابن مالك، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
١٢٥. مُجَدُّ بن عبد الله الطائي ابن مالك، المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٠٠.
١٢٦. أبو زكرياء ابن منظور الديلي الفراء، المرجع السابق، ج ٢، ص ٩٢.
١٢٧. أبو زكرياء ابن منظور الديلي الفراء، المرجع نفسه، ج ٢، ص ٩٣.
١٢٨. عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٧.
١٢٩. وله إنتاجات علمية أخرى منها النحوية واللغوية أمثال: "استصحاب الأصل ومظاهره في النحو العربي، و"مباحث التشبه عند قدامة ابن جعفر في كتابه نقد الشعر وأبي هلال العسكري في كتابه

- الصناعتين وعبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة مع المقارنة (كتاب مخطوط)، حرف الجر الزائد والتشبيه بالزائد (كتاب مخطوط) الاتجاه الإسلامي بين أحمد شوقي، وأحمد محرم في شعرهما (كتاب مخطوط)، خدمة النحو والصرف للقرآن الكريم، علامات الإعراب في العربية الفصحى تاريخ وتطور، وغير هذه من الكتب والمقالات، انظر في ذلك سيرته الذاتية، ومقالة نشرتها مجلة النور لقاسم إبراهيم بعنوان: "مساهمات قاسم بدماصي في تطوير النحو العربي".
١٣٠. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كتاب الاقتراح في علم أصول النحو، الناشر: إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية: ١٣٥٩هـ، ص ٧٢
١٣١. الدكتور محمود فجال، الإصباح في شرح الاقتراح، الناشر: دار القلم دمشق الطبعة الأولى: ١٩٨٩م، ص ٣٥٦.
١٣٢. محمد بن عبد الله ابن مالك، ألفية ابن مالك، المرجع السابق، ص ١٠
١٣٣. الدكتور عبد الحق سوداني، محاضرات في أصول النحو، الطبعة الأولى ٢٠١٧م، ص ٥٢
١٣٤. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٩٩٠م ص ٦٠
١٣٥. هو الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي فقيه شافعي أصولي يلقب بقاضي القضاة قرأ على والده والإمام الذهبي وغيرهما بدأ الفتوى ولم يتجاوز عمره ثماني عشرة سنة له من المؤلفات: "شرح مختصر ابن الحاجب"، شرح منها ج البيضاوي في أصول الفقه، طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى، وغير هذه من الكتب وهو شقيق بهاء الدين السبكي، وهو من علماء القرن السابع والثامن الهجريين، انظر كتابه: الأشباه والنظائر، ج ١/٤١.
١٣٦. عبد الحق سوداني، المرجع السابق، ص: ٢.
١٣٧. أصل هذا الكتاب رسالة الدكتوراه قدمها صاحبها إلى معهد الآداب الشرقية، جامعة القديس يوسف، بلبنان سنة ١٩٨٠م، ونالت إعجاب الحاضرين ثم أوصي بطبعها وإخراجها كتابا وهي في حدود أربعمئة وثلاث صفحة (٤٠٣).
١٣٨. أبو الفتح ابن جتي، الخصائص، المرجع السابق، ج ٢، ص: ٣٥٩.
١٣٩. أبو الفتح ابن جتي، المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٦٣.
١٤٠. قاسم بدماصي، أصول النحو تاريخ وتأصيل، الناشر: شمس للنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة الأولى: ٢٠١٠م، ص ١٥٨.

الباب الرابع:

المسائل الخلافية النحوية واللغوية لدى علماء نيجيريا

تمّ بذر النحو العربي وأينعت ثماره وشبكت أركانه في البصرة وغيرها من الأمصار العربية والإسلامية قبل ظهور الدرس النحوي في نيجيريا وأنشئت المدارس النحوية الخمسة- التي سبق ذكرها- وانتشرت أفكارها وآرائها وشاعت صيتها في العالم قبل إقبال علماء نيجيريا على النشاط النحوي لأنّ بداية التأليف في النحو العربي في نيجيريا وقعت في القرن السابع عشر الميلادي- كما أثبت التاريخ- فيمكن القول إذن: بأن نيجيريا لم تهتد إلى النشاطات النحوية إلا في ذلك القرن ويعتبر ما قبل ذلك مرحلة النشوء والتكوين ولم يكن هناك إنشاء فكرة أو إبداء رأي جديد في مسألة من مسائل النحو أو إصدار حكم حول قضية من قضاياها بدون الاعتماد على من سبقهم من النحويين التقليديين لذلك تراهم دائما يبنون مؤلفاتهم على أحكام المدرسة البصرية والكوفية وغيرها بدون الخروج عليهم أو عن إطارهم. ويشهد على ذلك تأليف الشيخ عمر جبريل في نظمه لأوضح المسالك لابن هشام، والشيخين: الطاهر بن إبراهيم، وأبوبكر سدوكي في نظمهما لعوامل مائة الجرجاني أو ابن إسحاق التوردي في شرحه لفريدة السيوطي وإعرابها وغيرهم من المؤلفين النيجيريين النحويين، وكيف لا يكون ذلك؟ وقد تلمذوا على كتب تلکم العلماء النحويين وقرأوا في مجلداتهم وتأثروا بآرائهم وأسلموا بكلّ ما جاء من السابقين العرب وغيرهم ورأوا أنفسهم مقصورين في عدم بلوغ الغاية التي وصلها الأوائل وصاروا عيالا عليهم في الآراء والأفكار والقضايا والمسائل لا في علم النحو فحسب بل في جميع العلوم العربية والإسلامية.

الفصل الأول: المدارس النحوية في نيجيريا

يُرى ما سجّله بعض الباحثين الجامعيين في تقسيم المدارس النحوية الموجودة في نيجيريا إلى أقسام كما فعل مُجدّ صالح حسين في أطروحته للدكتوراه التي قدّمها إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو- كنو سنة ١٩٨٥م، وقد قام بتقسيم المدارس النحوية والمراكز العلمية النيجيرية منذ القرن الثالث عشر الميلادي إلى ستة أقسام، فعل هذا اقتداء بتقسيم العلماء للمدارس النحوية وهذا لا

يعني أن في نيجيريا مدارس نحوية أو علمية حديثة تضيف جديدا إلى آراء المدارس النحوية القديمة، وقد عقب الباحث قوله بعدم التوافق بين تقسيمه وتقسيم علماء النحو القدامى للمدارس النحوية. وكذا ما جاء به قاسم إبراهيم في بحثه للدكتوراه في قسم اللغة العربية، جامعة إلورن سنة ٢٠١٤م من تحديد المراحل النحوية إلى: مرحلة التكوين والوضع، ومرحلة التطور والارتقاء، ومرحلة النضوج والبلوغ، ثم مرحلة الترجيح. قام بهذا التحديد على غرار تحديد العلماء للمراحل التي اجتازها النحو العربي قبل الوصول إلى هذه الصورة التي نشاهدها اليوم، واستعار ذلك الباحث استعمالاتهم، ولا هناك التشابه بين مراحلهم وبين مراحلهم. ولا عيب فيما يقومون به من هذا التقسيم والتحديد وقد فعل ذلك غيرهم من الباحثين خارج هذه الدولة وهذا الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام- وإن كان نيجيريا- حدّد أربع مراحل للنحو العربي في مصر منذ عهده الأول إلى عصر الخطيب الشربيني في أطروحته للدكتوراه ووضعها في: مرحلة غرس البذرة النحوية، ومرحلة جهود آل ولّاد، ومرحلة عصر الموسوعات النحوية (بين القرن السابع والثامن)، ثم أواخر دولة المماليك وأوائل دولة العثمانيين. قدّم هذا البحث في السعودية بين ظهران العرب ولم يقوموا ضدّ هذا التقسيم، وإن صحّ هذا عندهم فلا غرو أن يصحّ ذلك عندنا، وهذا تشابه العنوان وتحالف المضمون لأن ما تضمّنه كلّ من تلك المدارس النحوية المشهورة من الحركات والنتائج والآراء والنشاطات تختلف تمام الاختلاف عمّا تضمّنه ما نسمّيه اليوم بالمدارس النحوية النيجيرية على اختلاف تقسيماتها.

وفي الآونة الأخيرة نرى من المحدثين النحويين من يحاولوا إبداء الآراء النحوية الجديدة وإظهار المواقف اللغوية المخالفة، نلمس ذلك فيما ذهب إليه من يلقب بسبويه نيجيريا البروفيسور علي نائبي سويد في مخالفته أهل العراق في قضية الجملة الاسمية والفعلية واتخذ فيها مواقف تخالف الجمهور، وشرح بيانا- في نظره- أفضل وأوضح من بيانهم لا نشتغل بذلك هنا لئلا يكون فيها تكرار وسنوضّحها في الصفحات التالية.

ومن هؤلاء المحدثين البروفيسور عبد الرحمن أحمد الإمام في تجريد عنوان الكاتب عن "الواو" عقب كتابة مقدمة أو مكتوب، والمألوف أن يكتب "وكتبه" بعد مقالة أو غيرها ولكن

عبد الرحمن أحمد فضّل "كتبه" بدون "الواو" وسنوسع ذلك أيضا إذا وصل البحث إلى الفصل الثالث في هذا الباب بإذن الله تعالى.

ومغزى هذا الفصل: توضيح القول بأن ليس لعلماء نيجيريا آراء نحوية جديدة تختصّ بهم، وإن كان هناك ملامح تشبه ذلك، فجميع ما يبدو أنها من الآراء تستقى بيانها ودليلها من ما قد وضعها النحويّون في مختلف العصور، وتعتمد حججهم على شواهد لغوية قد تكلم عنها العلماء في المدارس المختلفة، وأما محاولات بعضهم في إسناد المواقف النحوية الجديدة لعلماء نيجيريا فأبتر، لأن بضاعتهم في هذا قليلة، فإذا أثبتنا هذه الدعوى فسيؤدّي إلى إنشاء مدرسة نحوية جديدة تقال لها المدرسة النيجيرية، فهل يقبل منا العلماء العرب هذا الاقتراح...؟ فجميع المدارس النحوية المشهورة ممتدة من المدرسة البصرية ذلك أن كلاً من هذه المدارس متكوّنة من العلماء العرب وغيرهم ممن درسوا في البصرة حيناً أو عايشوا علماء هذين البلدين (الكوفة والبصرة)، فهل حقّق هذا الفضائل لعلمائنا النيجيريين؟ فالجواب: لا.

الفصل الثاني: أسباب الاختلافات النحوية واللغوية في مؤلّفات علماء نيجيريا

من العادة أن تختلف وجهات النظر في قضية من القضايا وتتعارض مفاهيم العلماء عند تحليل المسائل، دينية كانت أم لغوية أم أدبية لأن آراء الأجناس البشرية مختلفة كاختلافنا في الطول والقصر والجسد واللون ومهما كثر بيان كل فريق واتّضحت حججه يخالفه غيره ويردّ عليه أقواله وفقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: ١١٨].

قال الإمام النسفي في تفسير هذه الآية، أي: "ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك"^(١). وهكذا شأن العلماء والأئمة في المجالات العلمية، وهذا الإمام الشافعي تلميذ الإمام مالك ويخالفه في بعض القضايا الدينية وذلك أبو الحسن الأرخش مع كونه تلميذ سيبويه يشاطره في إبداء الآراء ويخالفه في المسائل النحوية، وهو من هو، يتولى الصدارة والرفعة في صفوف النحويين، وهذا سنة الله في الكون.

أما في نيجيريا فقد ظهرت الاختلافات النحوية في نتاجات علماء نيجيريا بما فيها المقالات والمؤلفات وغير ذلك نتيجة أسباب يمكن حصرها في هذه العوامل الثلاثة:

الأول: العامل الثقافي والترسيخي، الثاني: العامل العقدي، الثالث: العامل الاجتماعي

- **العامل الثقافي:** هذا عامل حقيقي من العوامل التي سببت وجود الاختلافات النحوية في مؤلفات علماء نيجيريا لأن الله تبارك وتعالى أكرم أبناء هذه الدولة سلفا وخلفا بالإقبال على درس وفهم العلوم الدينية واللغوية عامة والعلوم النحوية والصرفية خاصة، ترسخت أقدامهم فيها وتثقفوا بثقافتها درسًا وتأليفًا واستطاعوا بذلك إبداء الملاحظات نظرا لما أتى بها المحدثون واقترحوا على النحو التقليدي بعض الأمور واتخذوا بذلك مواقف مختلفة، ونرى في نيجيريا من درس هذا وذاك وأتقن أسلوبيهما وتوسط بينهما يأخذ من النحو التقليدي ما يوافق روح العصر ويصلح للدراسين في تيسير فهم النحو العربي ويردّ على المحدثين فيما لمس فيها غلوهم وتجاوزهم الحد ومن أمثال هؤلاء البروفيسور علي نائبي سويد وإسهاماته في قضية نحوية جرت بينه وبين الأستاذ الدكتور مهدي المخزومي صاحب كتاب "النحو العربي نقد وتوجيه" من حيث اقترح نائبي سويد على النحويين بعض أمور يرى فيها مصلحة لدارسي العربية وخالفه في ذلك مهدي المخزومي.

وكذلك الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام وغيرهما، وأدّت بهم إلى هذه الخطوات ثقافتهم في هذا العلم وتبطنهم إلى خباياه واهتدائهم إلى أسرارهم مع جلوسهم واتكائهم على أريكته وترسيخهم في فهم قواعده وضوابطه وساعدتهم كذلك معاشتهم العرب في بيئات مختلفة نتيجة رحلة علمية قاموا بها إلى البلدان العربية وقرأوا كتبهم، واستمعوا إليهم حتى نرى منهم من يسافر إلى البادية ليستفيد من علمائها، ويسمع من أعرابها، وتثقفوا بهذه الثقافات كلّها، وفازوا بما لم يفز بها آباؤنا وأجدادنا السابقون لعدم وجود الوسائل والإمكانيات، وأخذت هذه الثقافة العلمية بأيديهم إلى إبداء الملاحظات على بعض القضايا النحوية واتخاذ المواقف المختلفة فيما كتبه غيرهم.

- **العامل العقدي:** إبتُلِيَتْ نيجيريا بتعدّد العقائد الدينية وخاصة في هذا العصر الراهن الذي يتخاصم الصوفيون مع السلفيين والوسطية مع السلفية في بعض القضايا الدينية الفرعية، فهذا وسطي يدّعي-مثلا-عدم فرضية النقاب وتغطية الوجه على المرأة المسلمة وإطلاق معنى الآية الواردة عنها على الحجاب الكلي وإبقائها على زوجات الرسول خصوصًا، وذلك سلفي يزعم فرضيتها على عامة نساء المؤمنين، وهنا صوفي يُجِلُّ الاجتماع للذكر وكتابة بعض الآيات القرآنية أو الأدعية غير الماثورة لشربها أو تعليقها تبركا والتداوى الخالية من المحرمات. وهناك سنيّ يتمسك-فقط-بما عليه نصّ قرآني أو دليل سنيّ مع بعض ما اجتمع عليه علماء مذهبه ويحرم خلاف ذلك من الأمور الدينية التي تجزى الفاعل-حسب عقيدة الأشعريين-وتقترب بها إلى الملك الديان وغير هذه من المشاكل الإسلامية الفرعية المختلف فيها منذ حياة الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، وأدى بهم هذه الحركات الدعوية إلى تأليف الكتب وعقد الحلقات والمؤتمرات وإصدار الردود والانتقال من محلّ النقاش-الذي هو تدعيم موقفك وتأييده بالحجج الدينية القاطعة والبراهين الإسلامية الدامغة-إلى المؤخدة على أنفسهم فيما قالوه أو كتبوه من استعمال لغوي وتركيب نحوي ليظهر بذلك كلّ واحد فهمه للعربية وإدراكه الأسلوب التشريعي على غيره، ويشهد على هذا ردود لغوية دينية جرت بين بعض الكتاب النيجيريين مثل: عبد الفتاح يس أحمد حنبلي وسميه عبد الفتاح سارومي، وتبادل المؤلفات بين نافع أحمد الجوهري وعبد الحكيم أحمد المنفلوطي وغير هذه من المناقشات الدينية والمشاكل الدعوية التي أدّت إلى اختلافات سوف نعرضها في محلها.

- **العامل الاجتماعي:** هذا عامل آخر يفيد من أنّ لعلماء نيجيريا اختلافات نحوية خلال مؤلّفاتهم، وساعد هذا العامل بكثير في تعدد هذه المؤلفات، ألم تر بينهم من يخاصم غيره ويردّ على مکتوباته ويأخذ عليه في بعض المواقف اللغوية ما إذا نظر إليها القارئ العادي المنصف بعين عميق وقلب منشرح يشم فيها رائحة الحقد والضغينة، فأبي عيب على من اتخذ فكرة البصريين النحوية قائمته في الاستعمال وترك آراء الكوفيّين اللغوية جانبه في

التراكيب، وصحيح قوم خطأ قوم آخر، فطعام زيد قد يكون سماً لعمر، فهل على مثل هذا الكاتب الرد المؤدى إلى اللعنة والشتن أو القتال والخصوم وتجريح الشخصية...؟ فالجواب لا ألف لا، فهذا حقد بعينه، وأمسك الباحث قلمه عن الإتيان بأمثلة هؤلاء المؤلفين لئلا يؤدي به إلى تعديل قوم وتجريح الآخرين مما كان البحث الأكاديمي منها بريئاً. ولنبدأ بإيراد هذه الاختلافات واحدة تلو أخرى ونقارن بين حججهم ونوازن بين مواقفهم مع الترجيح-إن أمكن- ولسنا بذلك في هذا البحث خصماً ولا حكماً وإنما نقوم بدراسة نقدية لهذه الآراء حيناً أو دراسة تحليلية لأفكارهم النحوية حيناً آخر حتى نعطي البحث حق عنوانه، نبدأ بالأستاذ الدكتور نائي سويد لسببين:

الأول: لاحتلاله أعلى مكان بين النحويين الأكاديميين وهو علم لا يجهل ومعرفة لا تنكر.
والثاني: لأنه من شمال نيجيريا وهو الوحيد من تلك المنطقة الذي سجّل له التاريخ قضايا نحوية تناسب- في علم الباحث- هذه الاختلافات النحوية المشار إليها هنا، وقد تجاول بعض البلدان وحاوّر بعض الإخوان إلا أنه لم يحصل على مؤلفات لها علاقة بهذا العنوان. مع أنّ هناك نتاجات نحوية أخرى المتعددة تُرى لعلماء تلك المنطقة على اختلاف مستوياتهم وثقافتهم سجلنا بعضها في الباب السابق.

الفصل الثالث: مسائل مختلف فيها بين العلماء النيجيريين

بين نائي سويد ومهدي المخزومي:

أرى من المستحسن ذكر أسماء رجال أسهموا كثيراً في هذه المناقشة العلمية التي جرت بين نيجيري وعراقي/بغدادى حول مسألة نحوية لغوية اختلف فيها رأيهما ووجهة نظرها وأدت بهم هذه المناقشة إلى تبادل الرسائل العلمية مع توسط رجل أزهري يعتبر ثالثهما وهاك أسمائهم:

١- الأستاذ الدكتور مهدي المخزومي العراقي، أستاذ النحو والصرف ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة الرياض سابقاً، والأستاذ الأسبق بكلية الآداب، جامعة بغداد. وهو الذي أثار بصائر الدارسين وهيج مشاعرهم في قضية الجملة الاسمية والجملة الفعلية حينما يحلّل مشاكل النحويين في باب الاشتغال في كتابه المشهور: "النحو العربي نقد وتوجيه" وهو في

ذلك يتفق مع ابن مضاء في دعوته إلى إلغاء هذا الباب في النحو العربي. ويحلل هذا الباب بطريقة تقسيم جديد للجمل في اللغة العربية بإثبات شرط التجدد للجملة الفعلية وشرط الثبوت للجملة الاسمية متأثراً نوعاً ما بفكرة الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحيائه للنحو العربي. وهو المنشيء والموقد لنار هذه المناقشة الأدبية والاختلاف النحوي الذي كنا في صدد الحديث عنها في هذه السطور.

٢- الأستاذ الدكتور علي نائي سويد النيجيري، أستاذ النحو والصرف، قسم اللغة العربية- جامعة بايرو، كنو- نيجيريا، صاحب مقالة علمية وضعت لدراسة مشكلات النحو العربي وسميت بـ "مشاكل النحو العربي كما عرضها ابن مضاء ونشرت في الجزء الأول من مجلة "دراسات عربية" أشار فيها الكاتب إلى أماكن القصور فيما ذهب إليه المخزومي من وضع قاعدة جديدة للفرقة بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية وكأنه بذلك يصب النفط والبتروال في نار هذه المناقشة ويجرّكها حتى قام المخزومي بالرد العلمي على مقالته المنشورة وأورد نائي سويد مقالته هذه مرة ثانية مع الردود عليها في كتاب سماه "صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة وتوجيه"، وهو كتاب صغير الحجم كثير النفع إضافة إلى ما فيه من معظم أفكاره النحوية ومواقفه اللغوية.

٣- الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب الأزهرى، أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم، جامعة الأزهر، والرئيس السابق لقسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو- نيجيريا وهو الذي توسط بين المخزومي ونايبي سويد في تعليقه الكبير على رسالة المخزومي ردّاً به على أفكاره وآرائه النحوية في القضية مسانداً لموقف نائي سويد لأنه سبق أن عالج ما تمّت له صلة بموضع الخلاف في كتابه المعروف "دراسات نقدية في النحو العربي" ولذلك استأذن (عبد الرحمن أيوب) من نائي سويد أن يقوم بالرد على رسالة المخزومي وعنوان رسالته بـ "الجمل الاسمية والفعلية في العربية، تعليق على رسالة أستاذ كبير".

هذه ثلاثة رجال أوردتهم الباحث في هذا الصدد مع عناوين رسائلهم العلمية ليكون القارئ على علم وبصيرة بنبذة يسيرة عن شخصياتهم وتاريخ مناقشاتهم قبل الحصول على موقف كلٍ منهم وحججه في هذه المسألة المشار إليها، ويمكن أن نصوغ موضوع المناقشة هكذا...

نظرية الجملة الاسمية والفعلية لدى المخزومي واقتراح سويد مع تعليق أيوب

قام النحاة التقليديون وعلى رأسهم الخليل بتقسيم الجمل العربية -نظرًا لما تبدأ به- إلى الجملة الاسمية والجملة الفعلية وإن كان معظمهم يطلقون على هذا التقسيم مصطلحًا آخر، فهذا سيبويه قال في كتابه: "باب المسند والمسند إليه" وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدءًا فهذا العنوان يشمل الجملتين كليهما لأنها قد تكون المسند مقدمًا أو مؤخرًا، ومثّل سيبويه بآية قرآنية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ [النور: ٣٥]، ويصطلح عليه المبتدأ والخبر حينًا آخر. وعرفوا الجملة الاسمية بأنها هي التي بدأت باسم صريح، كزيد قائم أو مؤول نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ أي صومكم خير لكم أو غيرهما.

ثم عرفوا الجملة الفعلية بأنها تبدأ بفعل سواء كان ماضيًا أم مضارعًا أم أمرًا وسواء كان الفعل متصرفًا أم جامدًا وسواء كان تامًا أم ناقصًا سواء كان مبنيا للفاعل أم مبنيا للمفعول^(٢) وحذف الفاعل في هذا كله أو ذكر ولذلك صار المثال في باب الاشتغال جملة فعلية نحو: "زيدا ضربته" والتقدير في نظرهم ضربت زيدا ضربته وكذلك النداء نحو: "يا عبد الله" لأنّ التقدير عندهم أدعو عبد الله. وقد زاد ابن السراج على هذا التقسيم وثلثه بالجملة الظرفية^(٣) حتى أفرد الإمام شهاب الدين الأندلسي لذلك فصلا مستقلا قال في عنوانه: "أقسام الجملة ثلاث: اسمية، وفعلية، وظرفية"^(٤) وفعل هذا بدون الالتفات إلى الذين قد قسموها إلى اثنتين، فكأنّ في تقسيمه هذا اتفاق العلماء النحويين، ونجد من زاد على ذلك إلى أربعة وأكثر على حسب وجهة نظر كلٍ منهم، أما أشهر هذه التقسيمات وأشملها التقسيم الأول. وهذا ما وضعه النحاة الأقدمون قبل مجيء المحدثين وتبطنهم إلى تفتيش أعمال سابقهم وتعديلها.

ومن بين أولئك المحدثين الأستاذ مهدي المخزومي الذي له رأي خاص في هاتين الجملتين ويتمحور ذلك في وضع شرط جديد قبل تنظيم الجمل في الاسمية أو الفعلية وقيد الفعلية بالتجدد

والتغير والاسمية بالثبوت وعدم التغير، فمثلاً: "قام إبراهيم، وإبراهيم قام" كلتاهما جملة فعلية في نظره فالمتكلم قدم المسند في الأول أو أخره في الثاني خلافاً لقاعدة النحويين التي فصلت بين الأولى بالفعلية وبين الثانية بالاسمية باعتبار التقديم. هذه خلاصة ما انتهى إليها المخزومي في كتابه: "النحو العربي نقد وتوجيه" عندما ينقل إلينا آرائه الخاصة في أن الضمة علم الإسناد^(٥) وهو يردّ بذلك على آراء ومواقف الأستاذ عبد الرحمن أيوب في الموضوع وقد زعم أيوب بأن الوظيفة اللغوية في جملي: "مُحَمَّدٌ ضَرَبَ وَضَرَبَ مُحَمَّدٌ" كانت قد اختلفت من مبتدأ إلى فاعل مع اتفاق العلامة الإعرابية، سجّل هذا في دراساته النقدية وهو بصدد الحديث عن التفرقة بين الجملتين السابقتين وإليك نصه: "وإذا كان من الصحيح أن المفعول قد تميز عن الفاعل بالحالة الإعرابية فإن المبتدأ قد تميز عن الفاعل بمكانه في التركيب"^(٦) وأيوب في هذا الموقف يقر بأن الجملتين مختلفتان في كون الأول مبتدأ وخبراً والثاني فعلاً وفاعلاً، وهما أيضاً اسمية وفعلية ولو اتفقتا في الإعراب.

موقف نائي سويد واقتراحه في الموضوع

اقترح نائي سويد على النحاة جميعاً عدم تقسيم الجمل العربية بالاسمية والفعلية نظراً للإسناد اعتماداً على نظريات ذكر ثلاثاً منها:

أ. عدم الاتفاق بين الجملتين عند الاستعمال واختلاف الإسناد في التراكيب وهو في هذا الصدد يتحدث عن المطابقة بين المسند والمسند إليه في العدد والنوع ولو اتفقتا في حالة الأفراد، فمثلاً قام مُحَمَّدٌ، ومُحَمَّدٌ قام، تركيب واحد وفيه المطابقة أما في: قام مُحَمَّدَانٌ ومُحَمَّدَانٌ قاما، وقد اختلفتا كما تشهد عليه الصورة، وكذلك "جاءت المرأة والمرأة جاءت" و"جاءت البنات والبنات جئن".

ب. اختصاص كل من الجملتين ببعض حروف النفي فمثلاً استعمال "ليس، ولم يكن" مع الجملة الاسمية، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].

واستعمال "لم، ولن، ولمّا"، و"ما" مع الجملة الفعلية، تقول: ما جاء إبراهيم وفي الحديث:
 "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم النساء"، لم يقم مُحمّد، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
 وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ [البقرة: ٢١٤].

ج. من الأفعال ما لا يقبل التجدد والاستمرار، مثال ذلك: أفعال مات، عور، إحمّر وغيرها
 فإنّ هذه الأفعال لا تقبل التجدد ولا الاستمرار ففعل "مات" مثلاً أين التجدد فيه فهل
 ينتهي الإنسان من موته ثم يموت أيضاً كما يحدث في قام الذي قد يقعد ثم يقوم ويستمرّ
 قائماً.

هذه هي النقاط الثلاث التي بنى عليها سويد اقتراحه وإلى هذه الأمور يشير في عبارته
 هذه "نحن لا نؤمن بأن الرجوع إلى المسند يكون أساساً لتقسيم الجمل في اللغة العربية
 لأمو...^(٧)."

ولما وقف المخزومي على هذه النظريات السويدية واقتراحاته خلال مقالته المنشورة بعنوان:
 "مشاكل النحو العربي كما عرضها ابن مضاء" وقرأ مضامينها بادر إلى ردّ هذه الأفكار إلى
 صاحبه لما لاحظ فيها فكأن الكاتب يشير إلى آرائه (أي المخزومي) ويعارض عليه في كتابه
 السالف الذكر كما رسم ذلك في رسالته حيث قال: "...فوجدت فيها بحثاً قيمة ولفت انتباهي
 مقالة وضعت لدراسة مشكلات النحو العربي، لأني معنيّ بكل ما يقال ويكتب في هذا...
 واستوقفتني في المقالة أو في البحث مواضع فوجئت بأنّها تخصني فقرأتها في أناة...^(٨)."

وهذا ما ردّ به المخزومي على سويد في نظرياته واقتراحاته التي يدور حول تلك النقاط

الثلاث:

- ردّ على النقطة الأولى في عدم الاتفاق والمطابقة بين الجملتين في العدد عند الاستعمال
 والتركيب، وزعم المخزومي بأنّ هذا لا تعتبر حجة لأن اللغويين يأتون بها فقط إذا تقدم
 المسند إليه على المسند تطابق، وإذا تأخر المسند إليه لا تطابق، ألم تر أن الله تبارك وتعالى
 أتى بجملة تطابق فيها المسند مع المسند إليه في العدد والتذكير في تقدم المسند، وقال جلّ

شأنه: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ [الأنبياء: ٣٠]. و"الذين"

هو المسند إليه وجمع الله تبارك وتعالى المسند مع تقدمه.

وامتثل بهذا الاستعمال القرآني لتدعيم موقفه ومساندة رأيه. وهذا الشأن يذكرنا ما ذهب إليه الأستاذ إبراهيم مصطفى بأن من العرب من يجعل المطابقة في العدد مثل المطابقة في النوع سواء قدم المسند إليه أو آخر وهم الطائيون وبلحارث وأطلق النحاة لغة أكلوني البراغيث على مثل هذا النوع التعبيري، واختار له ابن مالك لغة: "يتعاقبون فيكم ملائكة"^(٩). يشير إلى هذا الحديث الشريف ما نصّه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم، كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون" متفق عليه.

- وردّ على النقطة الثانية التي تنص على اختصاص كلّ من الجملتين ببعض حروف النفي بأن بين هذه الحروف تداخل وتبادل في الاستعمال فحرف "ليس" مثلاً تنفي بالجملة الفعلية كما تنفي بالجملة الاسمية وأتى بمثالين حيين: الأول قول العرب في: "ليس خلّق الله مثله" فجملة خلق الله مثله جملة فعلية ومع ذلك دخل عليها حرف "ليس".

وبقول الشاعر أيضاً: فتأتينا بحر ناقح * في مقام ليس يثنيه الورع.^(١٠)

اكتفى المخزومي بمهذين المثالين لحرف "ليس" في رسالته لأنه هو الحرف الوحيد من بين الحروف التي جاء بها سويد-الذي حضره وقت إعداد الرسالة أو أتى به على وجه المثال لا الاستيعاب، لأنّ هناك آية قرآنية قد توافق مذهبه هذا، حيث استعمل الله تبارك وتعالى حرف "ما" النافية مع الجملة الاسمية وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أو لعل ما نقر المخزومي عن الاستشهاد بهذه الآية ما اجتمع عليه معظم المفسرين بأن هذا "ما" حرف نفي ولكنه لا يعمل لوجود إلا بعد المنفي عنه ويشير إلى هذا البيان الإمام الألوسي في تفسير هذه الآية وقال: "ولا عمل-لما-بالاتفاق لانتقاض نفيه بإلا..."^(١١).

ومع هذا وذاك فإن "ما" تدخل على الجملة الاسمية كما تدخل على الجملة الفعلية وإن لم تعمل فيها كما ظهر في الآية الكريمة لأنّ "إلا" الاستثنائية هي التي منعتها من العمل.

- اعترض المخزومي على سويد في النقطة الثالثة والأخيرة التي فيها يشير سويد إلى ما يقبل التجدد والتغير من الأفعال وزعم المخزومي بأن تلك الأفعال المشار إليها تتجدد وتتغير فمثلا: فعل مات عور وغيرهما يمكن تصريفهما من الماضي إلى الأمر والنهي فهذا- في نظر المخزومي- تجدد وتغير فكأنه يحتكم إلى الصيغة في تبرير رأيه وسويد يعتبر مادة هذه الأفعال في وضع قواعده ونظرياته.

وفحوى ما يهدف إليه المخزومي في رأيه كون المسند متجددا ومتغيرا تجعل الجملة فعلية بدون اعتبار التقديم، فمثلا جاء مُحَمَّدٌ ومُحَمَّدٌ جاء جملتان فعليتان فهو بذلك يردّ على النحاة التقليديين ويقترح عليهم استعمال جديد- في نظر نائي سويد بهذا الاقتراح متفلسف ومتعسف لأن المخزومي في هذا الافتراض أسوأ مما كان عليه النحاة في تقسيم الجمل باعتبار الإسناد- واحتجّ المخزومي أيضا بتعريف الجرجاني للاسم والفعل بأن الاستمرار والتجدد يقترن مع الفعل والاسم بريء من التجدد وصديق للتبوت. إذن فيطلق الجملة الاسمية على المسند والمسند إليه إذا كانا اسمين نحو: الشمس طالعة والبيت جميل وما إلى ذلك.

ويؤيد هذا الرأي- نوعا ما- معظم علماء البلاغة في قاعدتهم وبيانهم عن الجملة الاسمية والفعلية لما أثبتته أحمد الهاشمي بأنه لو افترضنا أن من الشروط التي نقبل الجملة الفعلية الاستمرار أو التجدد فقد نرى من الجمل الاسمية ما تفيد ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وشرح هذه الآية بأن سياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت، وتمادى في بيانه وقال بأن الجملة الاسمية قد تخرج على أصله وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن ومثال ذلك قول الشاعر:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمرّ عليها وهو منطلق. (١٢)

ومحلّ الشاهد: "وهو منطلق" جملة اسمية لكنها تفيد التجدد والاستمرار أي تنطلق دائما لتوزع على الفقراء وأرباب الحاجات.

واتفق علماء البلاغة بأن خبر المبتدأ إذا كان فعلا فإنها تكون كالجملية الفعلية في إفادة التجدد والحدوث نحو: "الوطن يسعد بأبنائه" ويوافق هذا المذهب ما زعمه المخزومي في أن: "مُجَّد قام" جملة فعلية لأن الخبر فعل.

وإن كان هناك بعض اللغويين الذين لم يقبلوا تأييد رأي نحوي بموقف بلاغي اعتمادا على أن ما يكون مقبولا نحويا حيناً قد يُرفض بلاغياً، فمثلاً لو قال القائل: "أكلت الدجاجة الزجاجة"، فهذه الجملة فصيحة نحويا إذا حركت الكلمات كما ينبغي لكنها سقيمة بلاغياً لاستحالة ذلك، فالجملة فصيحة وليست بليغة. أما الذي أدى بالباحث إلى الاستشهاد البلاغي وجود التوافق بين هذه القاعدة البلاغية وبين موقف الأستاذ المخزومي في الموضوع.

تعليق الأستاذ عبد الرحمن أيوب على ردِّ المخزومي

سبق أن أشرنا في بداية هذا الفصل بأن الأستاذ الدكتور عبد الرحمن مُجَّد أيوب هو الذي توسط بين سويد والمخزومي في هذه القضية وعلّق على رسالة الرد التي جادت بها قريحة المخزومي بعدما وقف على مقالة سويد وأيد أيوب موقف سويد لأن له أسبق حديث في الموضوع لذلك ترى المخزومي يشير إلى كتابه (دراسات نقدية) عندما يردّ على النحاة بعض الأفكار في كتاب "النحو العربي نقد وتوجيه" وطلب (أيوب) من علي سويد أن ينوب منابه في بيان أمور أشار إليها المخزومي في رسالته محاولاً تنفيذ الحجج، وتدحيض الآراء الواردة فيها وقطع بذلك جهيزته قول كلّ خطيب ولنحصر نقاط تعليقه في هذه المحاور الآتية:

- علّق على النقطة الأولى التي هي المطابقة مخالفا رأي المخزومي في أن المبتدأ الذي خبره فعل يختلف عن جملة الفعل والفاعل ومثلاً: قام مُجَّد وهذا فعل وفاعل ثم مُجَّد قام مبتدأ خبره فعل وكلا الجملتين في نظر المخزومي فعليتان ولم تجانبه الصواب بهذا القرار في نظر أيوب لعدم المطابقة بين الكلمتين في حالتي التثنية والجمع وإن وجدت في حالة الأفراد لأن قام مُجَّد لا يتغير الفعل في حالاته الثلاثة، أما مُجَّد قام فتتغير في التثنية والجمع وهاك نص أيوب: "...وبالتالي فمن غير الصواب القول بأن التركيبين المبتدأ والخبر الفعلي والفعل والفاعل متمثالان تركيبياً"^(١٣).

وفيما ادّعاه المخزومي في الاستعمال القرآني: ﴿...وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ [الأنبياء: ٣] لتوثيق مذهبه مع إبراهيم مصطفى في القضية فقد رد عليه أيوب بأن هذا الاستعمال استعمال لهجة عربية خاصة لا تقاس عليها ولا تبنى عليها القاعدة. ويعتمد هذا الرأي الأيوبي على ما حكم به معظم المفسرين واللغويين بما فيهم الأخفش الذي قال عن هذه الآية: "استعمال فريق يقولون: ضربوني قومك" (١٤).

ومنهم من قال غير ذلك لأنّ هذه القراءة قراءة صحيحة ومشهورة وصحّت نسبتها إلى الرسول (ﷺ) ولذلك يأتون بتأويلات وبيانات تختلف إحداها عن الأخرى وهذا الكسائي رئيس النزعة الكوفية في النحو العربي حكم بالتقديم والتأخير في هذه الآية ويقصد بذلك أن الله تبارك وتعالى قدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم، أي: "الذين ظلموا أسروا النجوى" ومنهم من قال ببديته كالمبرد كقولك: "إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله" فبنو بدل من الواو في انطلقوا، ومنهم من قال بأن التقدير، أعني: الذي ظلموا ويكون "الذين" منصوبا وأجاز الفراء أن يكون خفضاً بمعنى: "اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم" (١٥). وغير هؤلاء من النحاة واللغويين الذين حكموا على هذا التركيب وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ولم نعر على من قال بمطابقة كون "الذين" فاعلا أو مسندا إليه إلا شذمة قليلون من المحدثين واتبعهم في ذلك المخزومي.

- فأما تعليقه على النقطة الثانية في اختصاص كلّ من هاتين الجملتين ببعض حروف النفي فمختصر جدّا لأن أيوب رضي بمثال جاء به المخزومي واعترف برده على سويد في جملة "ليس خلق الله مثله" في أن ليس يدخل على الجملة الفعلية كما يدخل على الاسمية، وإن لم ننس؛ فسويد عدّ كلمة ليس مما تنفى بها الاسم أو الجملة الاسمية خاصة. إلا أن أيوب مع إيمانه بفصاحة مثال المخزومي احتكم إلى إعادة صيغة القاعدة ونقول إذن: من علامات الجملة الاسمية عدم قبول النفي بلم أو لن أو لما وقبولها بليس، وهذه القاعدة لا تنفى دخولها على الفعلية- كما تبدو-.

وقصارى ما يرمي إليه المخزومي بهذه القاعدة عدم توافق النفي وسيلة للتفريق بين جملي الفعلية والاسمية لأن هذه تقبل ما لا تقبلها تلك من حروف النفي.

- ففي التجدد والتغير الذي هو ثالث هذه النقاط وآخرها فقد حكم فيها أيوب بأن وجود صيغة المضارع لهذه الأفعال التي قال عنها سويد بأنها لا يتجدد ولا تتغير لا تعتبر مبرراً، فنحن نتذكر بأن المخزومي قال فيما سبق من بيانه أن جميع هذه الأفعال المشار إليها تصرف من الماضي إلى الأمر والنهي وعلى هذا الأساس في رأيه يصاحب هذه الأفعال التجدد والتغير وقال أيوب: إن جملة مُجَّد مات تختلف مادته عن مُجَّد سافر لأن الأول غير قابل للتجديد ويمكن القول: مُجَّد سافر كثيراً عندما كان قاضياً ولا يمكن مُجَّد مات كثير عندما كان طالبا، ومعنى التجدد والتغير الذي يشير إليه سويد أي يتوقف وينتهي ذلك العمل ثم يبدأ من جديد، ألم تر أنك لو قلت أكل فلان ممكن أن ينتهي من ذلك الأكل ويتوقف حيناً أو يبدأ بأكل طعام جديد، وهذا ما يعني بالمادة وليست الصيغة التي يحتج بها المخزومي.

وبناءً على قاعدته (المخزومي) في هذا الصدد فمحمد عاقل جملة فعلية لوجود الفعل الماضي لكلمة "عاقل" لأنها من عقل-يعقل، فهذا تجدد أيضا إذا كنا مؤمنين بالصيغة التي يتحدث عنها المخزومي ولا هناك فرق بين مات يموت، عور يعور وبين عقل يعقل من مُجَّد عاقل. وإذا أرجع المخزومي قضاؤه إلى قول النحويين بأن صيغة الفاعل إذا أضيفت تعني الماضي، وإذا نونت تعني المضارع والمستقبل فمثلا: "إبراهيمُ كاتبُ الرسالة" فتهدف هذه الجملة إلى الماضي لأنها أضيفت و"محمدٌ قائمٌ أو محمدٌ قائمٌ غداً" تعني الاستقبال أو المضارع ففي هذا تناقض لأن هذه الأمثلة جمعاء جمل اسمية وماذا يقول المخزومي إذا قدمت صيغة الفاعل لأنها بصورته اسم فالجملة اسمية وفي بيان المخزومي فعل لأنها قد تعني الماضي أو المستقبل فمثلا استشهد المخزومي بيت شعري لابن تمام في أحد كتبه النحوية وهو في ذلك الصدد يردّ على النحاة موقفهم في تقسيم الجمل على أساس لفظي محض فهذا هو البيت:

إذا مارق بالغدر حاول غدره ** فذاك حري أن تميم حلاله. (١٦)

ومحلّ الشاهد في هذا البيت "مارق بالغدر حاول" فالجملة اسمية لأن الترتيب "مارق حاول" فمارق صيغة فعل منون فهي مضارع نظراً لرأي النحاة التي اتبعه المخزومي في كتابه، وبناء

على هذا فإن الجملة فعلية وليست اسمية كما زعم المخزومي حتى نؤمن الالتباس والتناقض، ومن خلال هذه الجولة السريعة ندرك أن خلاصة هذه السطور تتمحور في أربعة أمور:

- ما أثبتته النحاة في تقسيم الجمل إلى اثنتين: الفعلية وهي ما بدأت بالفعل، والاسمية فهي ما بدأت بالاسم بدون مراعاة موقع المسند في الجملة.
- ما عليه المخزومي في مراعاة حالة المسند والمسند إليه قبل إصدار الحكم عليهما سواء قدما أو أُخْرًا.
- اقتراح نائي سويد وموقفه الجديد، لا إلى رأي النحاة يميل ولا في طريق المخزومي يسلك وردّ عليهما جميعا بأن الرجوع إلى المسند في تقسيم الجمل العربية إلى الاسمية والفعلية غير مقبول في نظره ولا يستساع أن يكون أساسا لهذا التقسيم.

بين نائي سويد ومُجّد النظيفي في أصل اشتقاق كلمة "الأسقم" الواردة في الصلاة المعروفة بجوهر الكمال

وجه إلى حضرة الأستاذ المرحوم علي نائي سويد بعض أسئلة تتعلق بمضامين تلك الصلاة المعروفة بـ"جوهر الكمال" عامة وبكلمة "الأسقم" الواردة فيها خاصة وغيرها مما لها صلة بطرق الصوفية في نيجيريا وأسهم الأستاذ إسهامات فعالة للإجابة عن الأسئلة الموجهة إلى معاليه وأدّت به تلك المساهمة إلى تأليف كتاب خاص لكي يحيط بجميع جوانبها ويبيدي رأيه الخاص في أصل اشتقاق كلمة "الأسقم" لأنه رأى خلاف ما رآه التجانيون في صيغة تلك الصلاة وكان بهذا الجهد -فيما يعلم الباحث- أول من لفت انتباه شيوخهم إلى أخطاء طالما أوقعوا أنفسهم ومريديهم فيها لأنهم قد اعتمدوا اعتمادا كلياً على بيان الإمام النظيفي^{١٧} في الموضوع وركنوا إلى فكرته ولم لا؟ وهو رأس من رؤوسهم وعلم من أعلامهم. ولنستوعب جميع جوانب الموضوع وليتضح للقارئ جلياً أرى من اللازم أن أنقل إليه صيغة هذه الصلاة في هذا الصدد حتى يقرأ الجملة قبلها والتي بعدها ويربط بين جميعها ولا يهيم في تحليلنا ودراستنا لكلمة الفكرة النظيفية والسويدية في المادة.

صيغة جوهرة الكمال

"اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الأدمي صاحب الحق الرباني، البرق الأسطع بمزون الأرباح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرّفنا بها إياه".^{١٨}

تلك هي جوهرة الكمال المشهور اسمها أوردناها من ألفها إلى يائها ليعرف القارئ موقع تلك الكلمة- التي هي محل النقاش- الترتيبي وليفهمها مباشرة عند الإشارة إليها في النقاش. آمن التجانيون بأن كلمة "الأسقم" اسم تفضيل من استقام، فكأن الكاتب (الإمام أحمد التجاني رحمته الله) في نظرهم استعمل صيغة التفضيل، فبدلاً من أن يقول: صراطك التام المستقيم ففضلّ المستقيم بكلمة "الأسقم"، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف اشتقت الأسقم من استقام...؟ ولنقرأ ما سجله الإمام النظيفي: "الأسقم بالجر نعت لعين أو التام أي الكامل في الاستقامة بلا اعوجاج، فهو اسم تفضيل مبني من استقام السداسي بعد حذف الألف والتاء الزائدتين والألف المنقلبة من الواو التي هي عين الكلمة وأبقيت السين مع زيادتها لتدل على أنه من استقام"^{١٩}.

ذلك نصّ النظيفي الذي ادّعى فيه أنه حذف الألف والتاء الزائدتين فهذا معروف لدى علماء الصرف لأنّ حروف الزيادة "سألتمونيها" لا بدّ من استعارة ثلاثة منها لتكمل الفعل سداسياً وحذف اثنين من هذه الحروف الثلاثة المستعارة وهما: "الألف والتاء"، وبقي "سَقَامٌ" بسكون السين، ثم حذف الألف الثانية لأنها منقلبة من الواو فكأنه يرجع كلمة قام إلى أصلها حسب بيان علماء الصرف وقاعدتهم التي تثبت بأن قام من قوم وقال من قول وعاد من عود وقلبت الواو ألفاً وتقال لها الأجوف الواوي وصارت قال قام عاد، فاستقام إذن: من استقوم وقلبت الواو ألفاً وصارت استقام وهذا ما يعنيه بـ"الألف المنقلبة من الواو التي هي عين الكلمة"

وبعد حذف هذه الألف بقيت "سقم" ولما لا يمكن بداية النطق بالحرف الساكن جيء بالألف في البداية ليسهل النطق فصارت أسقم.

هذه خلاصة ما يهدف إليه نص النظيفي وينتمي إليه رأيه واتبعه في ذلك جمع غفير من علماء الطريقة التجانية ومريديهم ولو لم نجد لهذا القول مرجع ولم نعر على قاعدة صرفية توافق رأيه هذا وتسانده من المصادر اللغوية قديمًا وحديثًا فأنتى للظيفي هذا الاشتقاق ومن أرشده إلى أن الفعل السداسي يستخرج منه أفعال التفضيل بهذه الصيغة...؟

تعليق الباحث على نصّ النظيفي

ولقد وضع علماء النحو شروطاً مستوفية في الفعل قبل صياغة أفعال التفضيل منها، ومن هذه الشروط "كون الفعل ثلاثياً مجرداً" كما أشار ابن مالك إلى هذه الشروط في أبيات من ألفيته، ولا خلاف بينهم في هذا إلا ما سمع كثيراً في صياغته من أفعال الرباعي كقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ [الأحزاب: ٥]. وقد أجاز ذلك سيبويه إذا كانت الهمزة للنقل من الزوم إلى التعدي كأخرج وأقام ولو كان المازني والأخفش والمبرد وابن السراج منعوا مثل هذه الصياغة وأولوا هذا الاستعمال القرآني إلى السماع وهذا السماع لم يتجاوز مرحلة الرباعي "أفعل" ولم يرتق إلى السداسي وهذه الشروط يتماشى مع بناء أفعال التفضيل وصيغة التعجب لأنهما زميلان اشتركا فيها ولذلك ترى علماء النحو يضعون مخرجا واحدا لكليهما في أفعال لم تستوف فيها تلك الشروط فاستمع إلى ابن مالك في هذا البيت بعدما قد أتى بهذه الشروط في أبيات سابقة وقال:

وما به إلى تعجب وصل * * * لمانع به إلى التفضيل صل.^{٢٠}

فكأن ابن عقيل في شرحه لهذا البيت يرد على الإمام النظيفي حول كلمة "الأسقم" حيث قال بأن الأفعال التي لم تستكمل فيها هذه الشروط يتوصل إلى التفضيل منها بـ"أشد" ونحوها كما يفعل في التعجب لأنه يصحّ في هذا ما يصحّ في ذاك ومنع من هنا ما يمنع من هناك وتقول في استخراج مثلا إذا أردت أن تتعجب أو تفضله على غيره "ما أشد استخراجاه" كذلك تقول: "هو أشدّ استخراجاً من زيد".^{٢١}

وانطلاقاً من هذا، لو أراد الكاتب استنباط التفضيل من استقام كما زعم النظيفي بأن أصل الأَسْقَم استقام ليستساغ في العربية أن يقول الكاتب صراطك التام وأشد استقاماً من غيره. ومن خلال هذه الجولة الوجيزة ندرك بأن رأي الإمام النظيفي في الموضوع لا يتماشى مع القاعدة الصرفية، ولنتنقل إلى الأستاذ سويد خلال تعليقه اللغوي على هذه الكلمة.

موقف الأستاذ سويد

يرى سويد بأن كلمة "الأَسْقَم" صحيحة الاستعمال ومناسبة للمكان الذي وضعت فيه من حيث لا يتناقض ما قبلها وما بعدها من الكلمات المستعملة في تلك الصلاة وهي مشتقة إما من الفعل "قام أو أقام" الثلاثي والرباعي واستحال اشتقاقها من سقم أو استقام. وسويد في محاولاته يرد على فرقتين، فرقة يزعم بأن "الأَسْقَم" من فعل "سَقِمَ" بكسر القاف ولو كانت هذه الفرقة قليلة ورسالة سويد إلى هؤلاء هي قاعدة الجمهور في عدم جواز صوغ أفعال التفضيل من فعل بكسر العين اللازم الدال على الألوان والعيوب الظاهرة^{٢٢} فيؤتى بكلمة أشد عند استعمال التفضيل من سقم كما أشرنا في مثال ابن عقيل فيقول فلان أشد سقماً. وبهذا سكتهم وبكتهم وأراحنا من طول تأويلهم.

فأما الفرقة الثانية فهي التي ترأسها الإمام النظيفي بقاعدة وضعها وبيان شرحه، وغاية ما يهدف إليه سويد في الرد على هؤلاء هو أنها من "قام" الثلاثي أو "أقام" الرباعي (لأن سيبويه قد أجاز صوغ أفعال التفضيل من الرباعي "أفعل" الذي ألفه للنقل كما سبق البيان) ووزن تفضيله أقوم وحدث فيها التعويض الذي في عرف علماء الصرف حذف حرف أو أكثر واستعمال حرف آخر مكانه وقد يحدث في مكان الحرف المعوض عنه أو في غير مكانه. وحدث هذا في غير مكانه لأن عين الفعل الذي هو "الواو" عوض عنها بالسين ووضعت قبل فاء الفعل الذي هو "القاف" وصارت الأَسْقَم فالقاف ساكن ثم السين المعوض عن الواو ساكن أيضاً ولضرورة التقاء الساكنين جعلت حركة الفتحة على حرف القاف التي هي حرف أصلي في الكلمة وتركت السين المستعارة مسكونة وصارت الأَسْقَم^{٢٣} وعقب قوله بأن صاحب الجوهر استعمل التعويض في

"الأسقم" لكي لا تتكرر الكلمة في جملتين متعاقبتين لأنه قد سبق أن استخدمها في سابقتها حيث قال: "عين المعارف الأقوم" ثم أيضا "صراطك التام الأسقم".

تعليق الباحث على تحليل سويد:

ولنقرأ في صفحات كتب اللغة لنعرف مدى موافقة موقف سويد آراء علماء اللغة وقاعدة علماء النحو والصرف.

يشهد على مذهبه في القضية-وخاصة في مسألة التعويض- ما أثبتته اللغويون قديما وحديثا

منها:

قال ابن فارس في فقه اللغة: إن من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض نحو مدحه ومدهه.

وما ذكر عن الخليل أيضا في قوله تعالى: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ إنما أراد "فحاسوا" فقامت الجيم مقام الحاء وإن كان الإمام السيوطي يشكّ في نسبة هذا القول إلى الخليل لذلك قال في مزهره: "وما أحسب الخليل قال هذا".^{٢٤}

ما قاله أبو الطيب اللغوي بأنه ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد.

ثم ما نقله أبو حيان في شرح التسهيل عن أستاذه ابن الصائغ حيث قال: قلما تجد حرفا إلا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً^{٢٥}. وهذا ما قاله علماء اللغة عن التعويض وعلى هذا حكم سيبويه في إرجاع كلمة أسطاع إلى أطاع وإن كان المبرد وغيره يخالفه في هذا وقال سيبويه: "ويحذفون ويعوضون ويستغنون بالشيء عن الشيء... إلى أن قال: والعوض قولهم زنادقة وزناديق حذفوا الياء وعوضوها الهاء، وقولهم أسطاع يسطيع وإنما هي أطاع يطيع زادو السين عوضا من ذهاب حركة العين من أفعل وقولهم اللهم حذفوا يا وألحقوا الميم عوضاً"^{٢٦}.

ويردّ المبرد على هذا الرأي بأن أسطاع من أطاع وهذا يؤدي إلى الجمع بين العوض والمعوض منه في نظره وذلك أن الفتحة التي ادّعى سيبويه أن السين عُوض منها ما زالت موجودة وإنما نقلت من العين إلى الفاء^{٢٧}.

ومما تجدر الإشارة إليها في هذا النقاش ما ذهب إليه ابن جني بأن السين حرف مهموس قد يكون أصلاً ك:سعد، وسافر أو زائداً كما حدث في الأسقم وحدث نفسه في "أسطاع" لأن السين زيدت عوضاً أي حدث فيها التعويض كما أشرنا إليها في كلام سيبويه وزاد ابن جني في تحليله بأن أطاع أيضاً من أطوع فنقلت فتحة الواو إلى الطاء فانقلبت الواو ألفاً لأن الواو قد بقيت ساكناً بعد نقل حركتها إلى الطاء ولسكون عين الفعل في أطاع عوض عنها بالسين وصارت أسطع التعويض والتبديل معا والسين في الأسقم عوضت عن عين الفعل التي هي الواو في الأقوم وحدث في هذا ما حدث في ذاك.

وهناك مثال آخر سجله ابن جني تأييداً وتثبيتاً لمذهب سيبويه لقيام الفراء مقام المبرد في مخالفته لرأي سيبويه وأرجع (الفراء) أصل أسطع إلى أفعل وشبهه اسطعت بأفعلت فالأصل عنده استطعت وحذفت التاء وبقي على وزن أفعلت ففتحت همزته وقطعت^{٢٨}، ومثل ابن جني بكلمة أهرقت فسكنت الهاء وجمع بينها وبين الهمزة فالهاء هنا عوضت من ذهاب فتحة العين فالأصل أَرَوَّقْتُ أو أَرِيَّقْتُ وحذفت فتحة العين وبقي (الواو) ساكنة وعوضت عنها بالهاء مع تغيير مكانها وصارت أهرقت. قارن بين هذا وذاك.

وأخيراً قال عبد الحميد في دروسه: العرب تقول أراق فلان الماء بوزن أقام وأجاب وقد يبدلون الهمزة في أوله هاء فيقولون "هراق فلان الماء" وهذه لغة يمانية.^{٢٩}

هذه جملة ما قالها علماء اللغة وما وضعها الصرفيون في اشتقاق الكلمة واستعمال حروف الزيادة وفي مناسبة التعويض مع التبديل وكلها تقوي موقف نائي سويد في هذه القضية وبالمقارنة بين وجهة نظره وبين تحليل الإمام النظيفي ندرك أن الصواب خالف النظيفي لعدم مطابقة حكمه مع قاعدة اشتقاق أفعل التفضيل من الفعل السداسي. ألم تر أن سويد عقب حديثه بعدما قد اطلع على أمهات الكتب اللغوية واتصل بقواعد علماء الصرف في صيغة التفضيل وقال بأنه في

تلك المحاولة قد أضاف جديدا إلى تلك المناقشة العلمية التي كانت مثار الجدل بين الطوائف الإسلامية في هذه الديار وحل مشكلاتهم اعتمادا على بيان علماء اللغة وقاعدة علماء الصرف في اشتقاق الكلمة وتصريفها وصياغتها^{٣٠}.

الفصل الرابع: مع الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام في استعمال واو العطف مع "كتبه" في آخر المقالة

اعتاد الكتاب العرب وغيرهم منذ فجر الإسلام أن يعقبوا مكتوباتهم بـ"وكتبه فلان" سواء أصدروا رسالة أو وثيقة، أو كتبوا مقالة، أخرجوا كتابا أو قدموه ليثبتوا نسبة ذلك المكتوب إلى أنفسهم فكرة وأسلوبا ولم تزل الحال في دنيا الناس إلى يومنا هذا إلا الذين يمتزجون بين هذين الأسلوبين "وكتبه" و"كتبه" بإثبات الواو حيناً وعدم إثباته حيناً آخر بدون تفضيل أسلوب على غيره أو ترجيح أحدهما على ثانيه، وكان الأستاذ أحمد الإمام من أولئك الذين يكتبونه بدون الواو إلا أنه تميز عن غيره ويخالفهم لأنه يحاول تفضيل أسلوب الكتابة بدون الواو وكان بهذه المحاولة أول من خالف الجمهور- في علم الباحث- في هذا الحكم ولذلك لن تجده يكتب مع الواو سواء ألف كتابا أو قدم كتاب غيره ويشهد على ذلك تقديمه للكتاب: "صواعق الرحمان على السحرة الكهان" لنافع أحمد الجوهري وكتابه القريب العهد "عن صحيح البخاري" وغيرهما من مقالاته العلمية ومكتوباته العربية.

ما فائدة هذه الواو؟ وما موقعها الإعرابي؟ وماذا تخسر المقدمة أو المقالة من إهمالها؟

هذه هي التساؤلات التي تراود العقل وترجع الفكرة وقد نرى من هذا من يحكم بين الجملتين بالسوية وينظر إلى من يفرق بينهما نظرة من يضيع أوقاته في ما لا يجدي ولا ينفع شيئا. والأمر بخلاف ذلك وشتان ما بين ما يكتب مع الواو وما يكتب بدونها، وإليك البيان عن تلك التساؤلات.

إضافة واو العطف مع "كتبه" تعتمد على أحد هذه الأمور الثلاثة وتطرق حديث الأستاذ أحمد الإمام إلى هذه الأمور في أحد مؤلفاته^{٣١}:

أ- اقتداء بمن مضوا من مهرة العربية وفصحائها الذين برعوا بسليقتهم وصنعتهم بيئتهم وتؤخذ منهم الفصحى وتوضع ما خالفت القواعد النحوية من تعابيرهم تحت السماع أو النقل ولم لا؟ فهم أصحاب هذه اللغة وعلى درهم يسير النحويون واللغويون ومن بين هؤلاء أبي بن كعب وعقبة بن عامر الصحابيَّان الجليلان ويعتبر أبي بن كعب أول من عقب مكتوبه بـ"وكتبه" بإثبات الواو في تاريخ العربية وهو ممن يؤمن بفصاحتهم ويكفيه شرفاً وعزاً أنه أول من كتب للنبي (ﷺ) وأثبت هذا ابن حجر في إصابته نقلاً عن الوافدي وقال: "قال الوافدي: "وهو أول من كتب للنبي (ﷺ) وأول من كتب في آخر الكتاب: وكتب فلان بن فلان" ٣٢.

ولقد سلك هذا المسلك رجال العلم من الصحابة وغيرهم منذ ذلك الحين، ومَن تبع أبي من الصحابة ما سجله التاريخ بأن عقبة بن عامر كتب القرآن بأكمله بيده وبخطه في مصحف واحتفظ مصر بذلك المصحف إلى الآن وفي آخره كتب: "وكتب عقبة بن عامر بيده" بإثبات الواو، وهؤلاء من فصحاء العرب وصفه العسقلاني على لسان سعيد بن يونس أنه "كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقهِ فصيح اللسان شاعراً كاتباً" ٣٣.

ب- استعمال هذه الواو استعمالاً عطفياً على جملة محذوفة تقديره: "قاله وكتبه" أو "أملاه وكتبه" أو "رتبه وكتبه" أو غيرها مما يدل على أن المعطوف عليه محذوف، وحذفت الجملة المعطوف عليها لدلالة الواو عليها ويدل على هذا ما قاله النحاة بأن بين الواو والعطف والجملة المعطوفة تقدير محذوف فمثلاً لو قلت: قام خالد وإبراهيم والتقدير بين العطف والمعطوف "قام" أي قام إبراهيم ولا خلاف في هذا بينهم إلا أن الذي اختلفوا فيه العامل ومنهم من رأى بأن العامل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف وحذف خوفاً من التكرار وهذا مذهب سيبويه وجمهور المحققين ثم الذين وضعوا العمل على الواو لنيابته عن العامل في المعطوف عليه كأبي علي الفارسي وأبي الفتح ابن جني وغيرهما واختار هذا ابن يعيش وابن السراج قبل الفريق الثالث الذي يرى بأن العامل فعل محذوف مقدر بعد

حرف العطف من جنس الفعل العامل في المعطوف عليه^{٣٤} وكلّ من هذه الآراء لا تخرج عن دائرة التقدير الذي يُشار إليه.

ويرى الأستاذ الإمام مشكلة التقدير في هذه الجملة كنقطة مهمة خالف الجمهور من أجلها في الكتابة بالواو معتمداً في ذلك على ما قاله علماء النحو بأن الجملة الواضحة بدون التقدير أفصح من التي بالتقدير، وقال: "لأن إعراب الجملة بدون تقدير محذوف مع سلامة التركيب أفضل من إعرابها بتقدير محذوف"^{٣٥}.

وإذا تمسكنا بهذا النص النحوي في تفضيل الجملة بدون الواو على الجملة بالواو وسينطبق علينا إذن مثل سائر يقول: كلمة حق أريد بها الباطل. فالمتكلم في بعض الأحيان يحتاج إلى تقدير محذوف قبل أن تتصف جملة بالفصاحة أو ليس النحويون هم الذين وضعوا التفرقة بين تقدير يحذف وجوبا وتقدير يحذف جوازا وماذا يقول الأستاذ في حذف ضمير أو ضمائر وقعت معمولة لفعل مضارع مبدوء بأحد حروف المضارع مثلا: أذهب فالتقدير المحذوف (أنا) ونصلي، التقدير (نحن) وهكذا. أو ما جواب فضيلته-حفظه الله-إذا وقع الضمير اسما (لليس الاستثنائية) نحو: جاء القوم ليس محمداً ويقدر حينئذ (هو) وغير هذه من الأمثلة التي لن يجد المتكلم بدّاً ومقرّاً منها سوى التقدير، وهذه من ناحية، ومن ناحية أخرى لو فضلنا "كتبه" بدون الواو على "وكتبه" بالواو وقد يعني الأول أنك تكتب عن شخص وأما الثاني فتعني الجانبيين أي أنت صاحب الفكرة والمقالة ثم كتبتها بنفسك فيفيد تقديرك إذن بـ"قاله وكتبه" أو "أملاه وكتبه" نظراً للدلالة الواو العاطفة في عرف علماء اللغة وأئمتها وذلك مطلق الجمع والتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي أسند إليهما وهذا قول الجمهور من البصريين بما فيهم سيبويه^{٣٦} وجمعت بين القول والكتابة أو بين الإملاء والخط في "وكتبه".

ونرى من الكوفيين من حكم على هذه الواو بالترتيب أي ترتب الجملة كما ينبغي ويجوز ويطلق هذا المذهب الترتيبي على هذه الجملة/العبرة التي كنا في صددنا اعتباراً لقسميه: الترتيب الزمني والترتيب الرتبي، ويطلق الزماني على أقدمهما كـ"قاله وكتبه" لأن الإنسان يقول ما يكتب أولاً قبل أن يكتب وإن لم يقلها جهراً فإنها لا بدّ من القول قبل الكتابة. فالرتبي قد يكون للأفضل

أو للتنظيم فقط ومثال هذا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا
وَأَسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. فالركوع قبل
السجود كما نرى ذلك في صفة صلاة النبي (ﷺ) وأيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ
مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ط فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا...﴾ [البقرة: ١٥٨]. فمن أراد السعي فإنه يبدأ بالصفاء لأن الله تعالى بدأ به في هذه الآية
وقد ثبت عن النبي (ﷺ) في صفة حجه حيث قال: "ابدؤا بما بدأ الله به" وأمثلة هذه كثيرة في
القرآن الكريم، وإن قال قائل: "فلماذا لم يوافق هذا الترتيب في هذه الآية القرآنية التي تقول: ﴿إِنَّ
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]. فالحياة قبل الموت
فالجواب عن هذا فيما بينه المفسرون واللغويون فقد قالوا جميعا بأن في الآية تقديم وتأخير أي قدم
سبحانه وتعالى ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم وقد قتل علماء البلاغة البيان في هذا كله
ومن الذين قالوا بهذا الإمام السمرقندي الذي قال: "جاء على وجه التقديم والتأخير" ٣٧ والخطيب
الشربيني في سراجته: "قيل: في الآية تقديم وتأخير أي: نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد
الموت" ٣٨.

وأرجع الإمام الجوزي في زاده معنى الآية إلى أصل المخلوقات لأننا من العدم إلى الوجود
ومن الوجود إلى العدم وقال: "فإنهم قالوا نموت ويحيا أولادنا أو ابتدائنا في أصل الخلقة ثم نحيا
ونموت" ٣٩. ونرى من القراء من قرأ ب: "إن هي إلا حياتنا الدنيا نحيا ونموت" بتقديم الحياة على
الموت كأبي وابن مسعود^{٤٠} رضي الله عنهما.

هذه هي جملة ما قاله علماء النحو في الواو العاطفة وتلك ما أثبتوها في تقدير المحذوف،
وصفوة القول من هنا وهناك ترجيح كتابة "وكتبه" بإثبات الواو على "كتبه" بدون الواو لأن مثل
هذا التقدير محبوب ومستحب في ذلك المكان.

ج- الفريق الثالث والأخير هم الذين يستخدمون هذه الواو ويستعملونها في هذا الصدد استعمالاً استثنائياً لا للاقتداء بالسابقين ولا للعطف بل استأنفوا بها فقرة جديدة إلا أن الحق كله مع الفريق الأول والثاني نظراً لما قدمناه من البيان.

بين الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد الإمام والجمهور في أحكام تشنية الأسماء

هذا موضوع نحوي من الموضوعات الموجودة في كتاب "الخطيب الشريبي وجهود النحوية والتصريفية" وهو كما يبدو، يرمي إلى مخالفة اتفاق ما عليه جمهور النحاة من قاعدة وحكم، ومن هذا المنطلق يجدر بنا الإشارة إلى تعريف يسير لتشنية الأسماء وما حكمه عند النحويين. فالتشنية على حد تعريف الدكتور فاضل: "اسم يدل على اثنين أو اثنتين بزيادة ألف ونون مكسورة في حالة الرفع أو ياء ساكنة مفتوح ما قبلها ونون مكسورة نصبا وجرا على صورة مفردة زيادة تغني عن عطف مفردى المثني على بعضها."^{٤١}

فهذا التعريف شامل وجامع لما نريده من حكم وتعريف وقاعدة اتفق عليها جمهور النحاة للتشنية بدون الالتفات إلى شذمة قليلة من النحويين الذين بينون حكم التشنية على النون لا على الألف.

ولا يريد الباحث أن يشتغل بهذه الآراء في هذا الفصل وسيأتي إلى ما يماثل ذلك في الفصل التالي:

فهذا أستاذنا قام ضد هذه الاتفاقية وأيد موقفه بالحجج والبراهين من آية قرآنية وشعر ونثر، وأرى من اللازم أن أنقل إلى القارئ تعليقه على كلام النحويين قبل الشروع في تنفيذ ما لم يقبل منها وتقويم ما فيها نوع من الزيع أو تأويل غير مؤول وما إلى ذلك إذا جاء وقتها - إن شاء الله - إليك نصّه.

موقف الأستاذ في القضية

"ذكر النحويون أن المثني يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ، وذكر أصحاب كتب العلل أسباباً لاختصاص الألف أو الياء المواقع الإعرابية في المثني ووردت نصوص فصيحة لزم المثني فيها

الألف في الأحوال الإعرابية الثلاثة، فقليل هي لغة لكنانة، وبني الحارت بن كعب وبني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزُيد وحثعم وهمدان وفزارة وقد وعدرة، وقد وردت شواهد كثيرة لهذه الظاهرة منها نصوص في القرآن الكريم، والحديث الشريف والشعر والنثر الفصيحين أقوال وآراء في توجيه هذه الشواهد وتفصيل ذلك هو التالي، بادئاً بالقرآن الكريم.^{٤٢}

هذا نص الأستاذ عبد الرحمن نقلناه لفظاً بدون الزيادة ولا النقصان وقد أبدى فيه موقفه وإلى ما يميل إليه مما يخالف موقف علماء النحو، ووعدنا بأشياء كثيرة من أدلة وبرهان أتى ببعضها، ولنرجع إليه مرة ثانية وهو يقول:

"ومن هذه الشواهد قوله تعالى: (إنّ هذان لساحران) بعد الإطلاع على بعض من كتب القراءات وكتب أعاريب القرآن وكتب النحو وجدت أنه وردت تسع قراءات لهذه الآية وخرّجت الأخيرة التي سأذكرها هنا على ستة أوجه، ووجدت أن الخلافات في القراءة وفي تحريجاتها النحوية تدور حول حرف "إن" تشديداً وتخفيفاً وتقديراً معناها "وهذان" بالياء أو الألف واللام في "لساحران" وتفصيل ذلك هو التالي"^{٤٣}

تسعة أوجه لقراءة آية ٦٣ من سورة طه في القرآن الكريم وإليك نص الآية بأكملها أولاً قبل الإشارة إلى كل قارئ من هذه القراء مع قراءته:

"قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى" (سورة طه الآية ٦٣).

القارئ الأول: أبو عمرو ابن العلاء البصرى قرأ (إنّ هذين لساحران) بتشديد نون "إنّ" وإثبات ياء التثنية علامة للنصب في (هذين).

القارئ الثاني: عبد الله ابن كثير المكي قرأ (إنّ هذان لساحران) بتسكين نون (إنّ) وتشديد النون في (هذان).

القارئ الثالث: حفص الدورى قرأ : (إنّ هذان لساحران) بتخفيف نون (إنّ) وإثبات الألف في (هذان)

القارئ الرابع: قرأ بـ (إنّ ذان لساحران) بتسكين نون (إنّ) وحذف الهاء في "هذان" وبقي "ذان".

القارئ الخامس: قرأ "إن هذان إلاّ ساحران" بتسكين نون "إنّ" وإبدال اللام "لساحران" بإلاّساحران.

القارئ السادس: اختلفوا في القراءة وظهرت فيها قراءتان الأولى "إنّ ذان إلاّ ساحران" بتسكين النون في "إنّ" وحذف الهاء في هذان ثم إبدال "لساحران" بـ"إلاّساحران". الثاني: إن هذان ساحران" بتسكين النون في هذان وحذف لام "لساحران".

القارئ السابع: "أَنَّ هذان ساحران" بفتح الألف وتشديد النون في "أَنَّ" مع حذف اللام في "لساحران".

القارئ الثامن: قرأ بـ "ما هذان إلاّ ساحران" بدون "إنّ" وبدون "اللام" وابدأها بـ"ما" و"إلا".

القارئ التاسع: قرأ بـ"إنّ هذان لساحران" بتشديد نون "إنّ" وإثبات الألف في "هذان".

هذه هي القراءات بأنواعها التسعة نقلناها ليكون القارئ على يقين تام بما سنوضحه في الفصل التالي، وليتضح الأمر جليا نضيف إليها اختيار أستاذنا من هذه القراءات وقال: "تلكم القراءات التسع حول الآية، وأوثقها هي الأخيرة وهي كما نرى تخالف إعراب التثنية النحويين، فلذلك سأحاول هنا إيجاد أوجه إعرابية لها قالها النحويون في مختلف العصور، وتصل هذه التخريجات إلى نحو ستة أوجه تقريبا".^{٤٤}

لا نشتغل بسرد هذه الأوجه الستة المشار إليها هنا في نص الأستاذ بل نفيد القارئ علما

بما آل إليه مع حجته في ذلك. والقراءة الأخيرة كما أقرها في النص هي: "إنّ هذان لساحران".

موازنة بين الموقفين: (موقف الجمهور وموقف الأستاذ)

سبق أن عرضنا إليكم أنواع القراءات ومنها ما هو موافقة للمصحف والقاعدة النحوية مثل: "إن هذا لساحران" ومنها ما توافق المصحف وتخالف القاعدة النحوية مثل: "إن هذان ساحران" ومنها ما تتبغى بين ذلك سبيلا، وحتى نرى منها ما تشك فيها القلوب وينكرها الذوق السليم ولم نثق بها لعدم صحة إسنادها إلى الرسول ﷺ ومنها ما تخالف المصحف مثل "إن هذان ساحران" و"إن ذان إلا ساحران".^{٤٥}

وإليك موقف الجمهور

القراءة المشهورة وقراءة الجمهور ما قرأ به حفص وابن كثير إلا أن ابن كثير شدد النون في "هذان" وهذه القراءة هي: "إن هذان لساحران" وحرف "إن" في هذا الموضع بمعنى ما "النافية" "ولساحران" بمعنى "إلا ساحران" أي ما هذان إلا ساحران.^{٤٦} ويوجد لها قبيل في القرآن الكريم في سورة الشعراء ١٨٦ قال تعالى: وإن نظنك لمن الكاذبين "أي ما نظنك إلا من الكاذبين".^{٤٧} ومما يدل على أن هذه القراءة هي الأفضل واتفق عليها الجمهور هو أن القرآن يفسر بالقرآن ثم يدل على هذا الحكم قول الشاعر:

ثكلتك أمك إن قتلت مسلما ** حلت عليه عقوبة المتعمد.^{٤٨}

أي "ما قتلت إلا مسلما.

وروي عن الخليل أنه قرأ "إن هذان لساحران" و"الإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل".^{٤٩}

وكأن الذي يهمننا بكثير في هذا الصدد، قراءتان فقط من هذه القراءات، لأن الجمهور مع إحداها والأستاذ مع الأخرى وقد قدمنا ما عليه الجمهور وسوف نصل إلى ما أخذ بها الأستاذ - إن شاء الله - ولننقل إليكم ما قاله الزجاج في هذه القضية.

"فأما القراءة الأولى وهي قراءة ابن كثير وحفص فأوضح القراءات معنى ولفظا وخطا وذلك أنهما جعلتا "إنَّ" المخففة من الثقيلة فأهملت، ولما أهملت كما هو الأفصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجئ باللام فارقة في الخبر ف"هذان" مبتدأ و(لساحران) خبره ووافقت خط المصحف".^{٥٠}

ظهر الحكم جليا في نص الزجاج السابق أن قراءة حفص هي أوثقها وأفصحها وخاصة عند ما قال: "ولما أهملت كما هو الأفصح من وجهيها".

وأما أوثق القراءات عند الأستاذ وهي: "إنَّ هذان لساحران" وبيانه في ذلك ينحصر في ست نقاط: وإليك بتصريف يسير:

الأول: "إنَّ" بالتشديد بمعنى نعم و"هذان" مبتدأ وخبره "لساحران" ومن الدليل على أن "إنَّ" قد تعني نعم في اللغة العربية قول الشاعر:

ويقلن شيب قد علا *** ك وقد كبرت فقلت إنّه.^{٥١}

الثاني: "إنَّ هذان لساحران" على لغة من يلزم المثني الألف في جميع الأوجه الإعرابية وهي لغة بعض قبائل العرب كبنو الحارث وغيرها.

الثالث: أن الأصل في كتابتها هو: "إنها ذان لساحران" فهذا يعني أن الهاء المتصلة باسم الإشارة ليست للتثنية بل هي اسم "إنَّ" والتقدير: إن قصة ذان لساحران. أو اعتمادا على ما أقره الكوفيون.

الرابع: "اسمها ضمير شأن محذوف تقديرها "إنَّ هذان لساحران".

الخامس: ألف هذان ألف الأصل والنون دليل على التثنية وحذفت ألف التثنية لالتقاء الساكنين باجتماعها مع ألف الأصل ودخول اللام لخبرها حسن لأنها دخلت على خبر "إنَّ".

السادس: ما قاله ابن تيمية عن إعراب الأصل وكل شيء يرجع إلى أصله، وأصل "هذان" هو هذا ولا يتأثر الإعراب في الأصل وأولى أن لا يتأثر في الفرع.^{٥٢}

هذه هي الحجج والبراهين التي اعتمد عليها الأستاذ حتى صرح بأن أوثق هذه القراءات القراءة الأخيرة على حسب ترتيبه وهي "إنّ هذان لساحران" بتشديد "إنّ" وإن كان هناك رأي آخر أرى من الإنصاف نقلها هنا ليساند ما عليه الأستاذ وذلك ما أقرّه الحملاوي بأن من شروط الثنية أن يكون معرباً، وأنّ "الذان وهذان" فليسا بمثنيين وكذا مؤنثهما وإنما هما على صورة المثني. ومهما يكن من شيء فإنني أرى - كالباحث - أن أتوسط بين الموقفين وأظهر ما بجانبه الصواب والرجاحة عندي.

بالنظر إلى الموقفين ندرك أن موقف الجمهور وقراءة حفص أصح وأوثق لبعض النقاط

الآتية:

- ١- أشرنا فيما مضى إلى أن القرآن يفسر بالقرآن، وهذه قاعدة أثبتها علماء علوم القرآن وذلك هو الشرط الأول، وبعده تأتي بقية الشروط وكون قراءة حفص موافقة لإحدى الآيات القرآنية كما مثلنا في السابق يجعلنا نومن بأن هذا من أسلوب القرآن وهذه القراءة أصح وأفصح من غيرها لكثرة ورد الآيات على هذا الشكل كما في ورد يوسف "إن هذا إلا ملك كريم وغيرها.
- ٢- كونها مشهورة على السنة القراء، وصحة إسنادها إلى الرسول ﷺ أكثر من غيرها.
- ٣- موافقتها لكتابة المصحف والإعراب النحوي بدون تأويل ممل يجعل القارئ يشك في صحتها.
- ٤- عدم كونها شاذة لأن علماء الشريعة اختلفوا في جواز قراءتها في الصلاة، وكيف يبنى علماء النحو الحكم عليها.

وهذه هي بعض النقاط التي رأيناها موافقة لقراءة حفص وأيدها وأخذت بيديها فوق

بقيتها.

الفصل الخامس: بين عبد الحكيم أحمد المنفلوطي ونافع أحمد الجوهري^(٥٣) في بعض المآخذ النحوية والصرفية

هناك معركة علمية دينية جرت بين بعض الشباب الإلوريين حول مسألة الخط والرمل وعلم الأوقاف والتنجيم وفي التداوى بتحريق الأوراق مع بعض الأشياء ثم في علم الأسرار الشهير في عرف الأفريقيين بالنقل (النقلي) ويتمثل ذلك في جمع الأدعية غير المأثورات ووضع الشروط على قراءتها بما فيها أسماء قد لا يفهم معانيها إلا الخبراء المتخصصون فيها، وفي الحقيقة طالما كانت هذه المسألة محل النقاش بين العلماء النيجيريين وخاصة اليورباويين منهم ويؤدي بهم إلى تكفير بعضهم بعضاً، وحدث هذا فعلاً- بين الأستاذ عبد الفتاح أحمد حنبلي يس الصوفي، مدير مركز النهضة العربية والإسلامية مع بعض أعوانه ومحبيه من الأتباع والتلاميذ وبين السيد نافع أحمد الجوهري السلفي وقامت بينهم الحروب العلمية ساقتهم إلى تأليف الكتب بعد ما قد عقدوا جلسة المناقشة بالتاريخ ١٠/مايو/٢٠٠٩م في رحاب مركز النهضة للأستاذ يس وانتهت بهم هذه المناقشة إلى عدم وجود الغالب بلّ المغلوب ولذلك ألف الجوهري السلفي كتاباً موسوماً بـ"صواعق الرحمن على السحرة الكهان" أورد فيه الحجج والبراهين التي قام من أجلها ضد ما كان عليه خصمائه، ثم جاء واحد من منتصرى الأستاذ يس اسمه عبد الحكيم أحمد المنفلوطي زاعماً أن في هذا الكتاب أخطاء لغوية نحوية وصرفية وألف كتاباً آخر سماه: "التدمير الأفظع على نافع الأقطع" ردّ به على الجوهري وأشار فيه إلى هذه الأخطاء مسجلاً فيه الصواب وهذا محلّ حديثنا. فقط أوردنا هذه المعلومات هنا ليكون القارئ على هدى وبصيرة عن سبب هذه الردود العلمية وفقاً لما قيل: "إذا عرف السبب بطل العجب"، وفحوى دراستنا في هذا الصدد هو هذه المآخذ اللغوية والأخطاء النحوية المزعومة، هل في الحقيقة أخطأ الجوهري في تراكيبه في تلك الاستعمالات المشار إليها أم لا؟ وهذا قمة غايتنا في هذا البحث لا غير.

خطأ المنفلوطي صاحبه الجوهري في بعض الاستعمالات منها قول الجوهري: "فسألته عن سبب إياه لقبول أخذي..."^{٥٤} فادعى المنفلوطي بأن الفعل أصله أَيْ-يَأْي-إِباء بمعنى رفض أو منع وعلى الجوهري أن يقول: "...عن سبب إباطه لا إياه" وقال: "فانظر أيها القارئ كما جعل نافع الرأس ذنبا والذنب رأسا في هذه الكلمة التي جاءت من أَيْ-يَأْي-إِباء بمعنى رفض أو منع، وبدلها نافع بكلمة أخرى وهي إياه بمعنى رجوعه..."^{٥٥}. وعلى المنفلوطي الرجوع إلى المعاجم والقواميس العربية-حتى الإنجليزية حينما-قبل إصدار الحكم لشخص أو عليه لأن نقده هذا غير مقبول لأسباب منها:

- كلمة "إياب" ليس من أَيْ يَأْي كما يظنّ المنفلوطي وإنما من آب يئيبُ إيابا وشتان ما بين أَيْ وآب في الميزان الصرفي لأن الأول من باب فتحتان: أَيْ يَأْي كما في سَعَى يسَعَى، والثاني من باب فتح كسر: آب يئيب كما في جاء يجيء.
- إذا كانت كلمة أَيْ بمعنى رفض ومنع كما ذهب إليه المنفلوطي نظرا لما في المعجم الوسيط فإن آب أيضا تعني أبعد وغاب كما تعني الرجوع قال الإمام الفيروزبادي: "آبه الله: أبعد، وآب الشمس إياباً وأيوباً: غابت"^{٥٦}.
- لنحتكم إلى قاموس لغوي آخر الذي يفسر الكلمات العربية بما يقابلها من الكلمات أو الاستعمالات الإنجليزية، قيل في المزدوج: "آب: رجوع To return, to come back, to go back"^{٥٧}.

فانطلاقاً من هذه المعاني المعجمية نرى كلمة "إياب" كما استعملها الجوهري صحيحة شكلاً واستعمالاً، فقلت شكلاً لأن كتابتها صحيحة رسماً وإملاءً فقلنا استعمالاً لأنها أنسب للمكان الذي وضعت فيه، ولنربط بين هذه الجملة وبين سابقتها لنرى كيف أدّى السياق بالجوهري إلى اختيار هذه الكلمة، قال: "والعجب أن القلم ينفلت من يدي انفلاتاً، وكنت أمسك به مثني وثلاث وهو مصرّ على الانفلات فسألته عن سبب إياه لقبول أخذي فأجابني بجواب كاد أن يقصرني بالجن والتفهقر"^{٥٨}. أي ذلك القلم يجيبه حيناً ويرجع حيناً آخر، ينفلت من يده دون قبول الأخذ وكأن القلم يخاف ويخوف صاحبه من مصير إصدار هذا الكتاب الذي

ينكر الأمور المنتشرة في أوساطنا ويحارب جهودا بذلها علماء هذه البيئة وهل هم يجعلون بطون كفهم في أذقانهم ويضعون أيديهم على صدورهم أو هل يكونوا مكتوفي الأيدي بدون مقاومة الكاتب وإعلان الحرب العنيف عليه.

وفي مسألة أخرى في استعمال كلمة الدَّهْمَاء

قال الجوهري في "صواعق الرحمان"، ص: ٨: "لأن الكتابة عن الكهانة التي يرتزق بها الآباء والمشايخ ويكتسب بها الطلاب لدى الناس، وهي أروج البضائع العلمية لدى الدهماء للعلماء اليورباويين، والتأليف عن علم الأسرار والأوفاق السحرية التي بها يقيّم الأولياء".

قضى المنفلوطي على هذه العبارة بالغموض ووصفها بعدم الوضوح وقال: "وأنت لا تكاد تفهم هذه الجمل برمتها... فانظر لفظ الدهماء في هذا المكان لا يظهر معناها لوقوفها في مقام لا يناسبها... فالدهماء كما عرفها المعجم الوسيط: "مؤنث الأدهم وهي من الدُّهْمَة بمعنى السواد، وما فائدتها في هذا المكان؟"^{٥٩}. هذه هي جملة ما حكم بها المنفلوطي على كلمة "الدهماء" المستعملة في جملة نافع الجوهري، وإرجاع معنى كلمة الدُّهْمَة إلى السواد ضدّ البياض أي اللون الأسود صحيح لغة واستعمالا، ولكن الذي يجب الانتباه إليه هو أن السواد أو الدهمة تعني أيضا جمع غفير فيه أخلاط من الناس وهي بالإنجليزية: Common People/The Populace, masses, riff rat.

وخير شاهد على هذا ما ورد في صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "عرضت علي الأمم فأخذ النبي يمرّ معه الأمة والنبي يمرّ معه النفر والنبي يمرّ معه العشرة، والنبي يمرّ معه الخمسة والنبي يمرّ وحده فنظرت فإذا سواد كثير، قلت يا جبريل هؤلاء أمّتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمّتك وهؤلاء سبعون ألفا قدّامتهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتبون ولا يسترقون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون"^{٦٠}. والحديث رواه البخاري في كتاب الرفاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب رقم ٦٥٤١ وأورده مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة. رقم ٢٢٠.

فانظر إلى كلمة السواد المتكررة في هذا الحديث وقد فسرها المحدثون وشرح كتب الحديث بما فيهم ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" والإمام النووي في المنهاج شرح صحيح مسلم وغيرها، بأنها تعني جماعة من الناس^{٦١} كما دلّ على ذلك سياق الجمل قبلها وبعدها في النص، فانطلاقاً من هذا وذاك ندرك بأنّ الذي يقصده الجوهري بهذه العبارة إيمان معظم الناس في البيئة اليورباوية بأن العالم هو من تبخر في فن علم الأسرار والأوقاف ويخط على الرمل ورأوا من لم يفز بهذه الأشياء كمن لم يرتق إلى درجة الولاية ولا يعدونه في صفوف العلماء الصالحين أو يحسبونه في زاوية الشيوخ الربانيين وليس في الجمل أيّ غموض كما زعم المنفلوطي وهي صحيحة تركيباً واستعمالاً لمن أمعن النظر فيها وتدبر معانيها.

ولنتقل إلى مسألة صرفية أخرى في استعمال وَجَبَ وَأَوْجَبَ

وكأن المنفلوطي يقرأ ما في قلبه لا ما في كتاب صواعق الرحمان. فانظر مثلاً قول الجوهري ص: ١٥، ما نصه: "لا يوجب علينا-نحن-التغاضي" وخطأه فيها المنفلوطي بأن الفعل وَجَبَ يختلف عن أوجب شكلاً ومعنى، وهذا صحيح لأن وجب ثلاثي المجرد وزنه فَعَلَ وَأَوْجَبَ للتعدي وللصيرورة وغيرها كما شرحه علماء الصرف ووزنه أَفْعَلَ بقطع الهمزة وهو المزيد على الثلاثي بحرف واحد أما قول المنفلوطي: "الصحيح في هذا التعبير أن يقول ذلك الطالب: لا يجب علينا التغاضي عنها"^{٦٢} بحذف ضمير "نحن" وتغيير الفعل من الرباعي إلى الثلاثي فهذا صواب منفلوطي وخطأ لغوي صرفي فهناك شيئان مهمان يجب على المنفلوطي الانتباه إليهما في هذه جملة الجوهري أولاً: ربط العبارات السابقة مع هذه، فالكاتب يتحدث عن السابقين من العلماء وعن منهجهم في الدعوة وسكوته عن تلك الشركيات وبدلاً من إعادة أخطائهم ونشر نقصانهم نسأل الله لهم المغفرة وهذا لا يفرض علينا السكوت والإنصات كما فعلوا، وصل الجملة الفوقية مع ما بعدها قال: "وإنصاتهم على بعض الشركيات والبدعيات لا يوجب علينا-نحن-التغاضي عنها" أي سكوته لا يوجب علينا أن نسكت وإنصاتهم لا يصيرنا منصتين ولا يفرضها علينا وأوجب أي صار واجبا وهذه بمعنى الصيرورة التي هي ثاني معاني أَفْعَلَ كما بيّنه الشيخ الحملاوي في شذا

العرف، والشيخ رضى الدين الإستراباذي في شرح شافية ابن الحاجب، والدكتور ثيظ في تيسير تصنيف الأفعال وغيرهم، وبالتالي؛ استعمال فعل "أَوْجَبَ" أنسب لهذا المقام من وجب.

وهناك نقطة يجب الالتفات إليها وهي استعمال أَفْعَلَ بمعنى فَعَلَ وكلّ من قرأ كتاب "بحث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية" يجد فيه ما يسمنه ويغنيه من جوع اضطراب معاني الصيغتين ألم تر لو قال قائل سبقت فلانا وأسبقت فلانا فكلاهما بمعنى واحد وإذا أردنا معنى باي: أَفْعَلَ بمعنى فَعَلَ عند أهل اللغة وآراء العلماء في فعل وأفعل بمعنى واحد في الكتاب نجرم القول بأن أوجب قد يستعمل أحدهما مكان الآخر في بعض الأحيان وقال المؤلف: "باب الباء من فعلت وافعلت والمعنى واحد تقول: بشرت الرجل وأبشرته أبشر وأبشره"^{٦٣}.

ورحم الله شيخنا أبا منصور الجواليقي اللغوي وهو من المتقدمين حيث ألف كتابا في هذا الموضوع عنوانه: "ما جاء على فَعَلْتُ و أَفْعَلْتُ بمعنى واحد"، مؤلف على حروف المعجم، أورد في هذا الكتاب معظم الأفعال التي يسير وزن فَعَلَ و أَفْعَلَ فيها على منوال واحد ورتبها ترتيب الحروف الهجائية وقال فيه: "وَفَيْتُ بالعهد و أَوْفَيْتُ به، وَفَقْتُ الدابة و أَوْفَقْتُهَا، وَحَيْتُ إلى الرجل الكلام و أَوْحَيْتُ وهو أن تكلمه بكلام تخفيه"^{٦٤}.

وثانيا: الإتيان بضمير "نحن" بعد "علينا" كما في الجملة شيء مرحب به في هذا المقام لأنه توكيد ويأتي المؤكّد بعد المؤكّد، وفي الوقت نفسه كلمة معترضة لذلك جعلها الكاتب بين علامة التنصيص ولعدم وجود سند لغوي يدّعي حذفها فتركها أولى إذن. ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿...وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، وأيضا قوله تعالى: ﴿...وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. فالكلام مع ذكرها أبلغ وفيه دلالة على الاختصاص أيضا، وهذا ما يقصد بذكر الضمير المتوسط بين المبتدأ والخبر في عرف علماء البلاغة كما أشار إليها المؤيد بالله في طرازه.^{٦٥} وعلى هذا فالجملة واضحة وضوح الشمس لا يحتاج إلى أي شرح أو بيان لعدم غموضها فعلى المنفلوطي الرجوع إليها مرة ثانية.

ومعهما في مسألة أخرى:

وهي أفراد الصفة للموصوفين الجمع، قال الجوهري، ص: ١٠ "والطلاب الباقي يكتظون حوله لتحصيل هذا السحر منه" وأخذه عليه المنفلوطي في "الطلاب الباقي" بأن عليه أن يقول: "الطلاب الباقيون" والجوهري في هذا على خطأ مبين أما المنفلوطي فقد حالفه الصواب لما عليه جميع علماء النحو فالطلاب جمع تكسير من طالب فالباقيون جمع مذكر سالم للباقي ولن يوجد هناك حجة لغوية تحكم بعدم المطابقة بين الصفة والموصوف، فالذي عليه علماء النحو هو أن الصفة تناسب موصوفه في التذكير والتأنيث، والجمع والتثنية والإفراد والتنكير والتعريف حتى في الرفع والنصب والجر. فلا يعتبر كون أولها جمع تكسير وثانيها جمع مذكر سالم حجة ودليلاً لم تر لو قال القائل: "العلماء المسلمون والعلماء المسلم، فالأول صحيح والثاني غير صحيح فهذا التعبير (الطلاب الباقي) هو ما يسمى بالنعته المفرد الذي هو ما ليس جملة ولا شبه جملة أي: ما كان لفظاً واحداً وإن دلّ هذا اللفظ على مثنى أو جمع" كما في الطلاب الباقي^{٦٦}. فمن هذا المنطلق نجد أن استعمال الجوهري هذا استعمال لا يناسب القاعدة النحوية.

وإلى مسألة أخرى قال فيها الجوهري:

"وكلها أثر الاستخفاف مُني الدعاة السابقون من المداهنة لشطحات الصوفية الأوائل النابعة عن جهلهم" صواعق الرحمن، ص: ١١. أشار المنفلوطي في كتابه التدمير الأقطع، ص: ٢١ إلى خطئين مختلفين في هذه الجملة، الأول كتابة "الإستخفاف" بقطع الهمزة والصحيح أن يكتب ألفاً يوصل وهذا صحيح لما عليه علماء الصرف بأن الألف في الأفعال السداسية والخماسية تكتب وصلاً لا قطعاً سواء في الماضي أو في الأمر وكذا ألف الثلاثي في الأمر فالاستخفاف كما ترى من استخفَّ يستخفُّ استخفافاً فلا سبيل إلى كتابة ألفه قطعاً.

والثاني ردّ عليه المنفلوطي في استعمال "النابعة" مع "عن" وقال: "وكذلك قوله: "النابعة عن جهلهم" فهذه الكلمة من نبع بمعنى خرج فهي دائماً يتعدى ب"من". وكان علماء اللغة وراء هذا الحكم المنفلوطي كما كانوا وراء استعمال الجوهري، فهذا هو الفيروزبادي في قاموسه يفسر لنا نبع الماء وقال خرج من العين ولم يقل خرج عن العين، ولا يدلّ هذا على أن خرج لا يتعدى

بغيرها من الحروف، كما يقال في العربية: "خرج من"، كذا يقال: "خرج في" أو "خرج عن" و"خرج إلى" لمعان مختلفة.

وفي الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنهما "أنّ النبي ﷺ: "دعا بإناء من ماء فأُتي بقدرٍ رحاحٍ فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه، قال أنس: فحَزَرْتُ مَنْ تَوْضَأُ ما بين السبعين إلى الثمانين"^{٦٧} فما العيب إذن في قول نافع: "النابعة عن جهلهم" وإذا صحَّ "النابعة من جهلهم" كما زعمه المنفلوطي فقد صحت "... عن جهلهم" أيضا، فلا داعي إلى كتابة الرد عن هذا.

وكذلك أيضا في مسألة "أنّ" الذي هو أحد الحروف التي تنصب المضارع قال الجوهري في ص: ٣٢ "ومن العجب أن نر بعض الأقزام من الصوفية الضلال يدعون أنهم ورثوا الأسرار عن الرسول مع أن الله قد نفاه".

وقال المنفلوطي بعد ما أورد هذا القول في تدميره ص: ٢٦: "فإني لا أدري متى صار "أن" المصدرية أداة من أدوات الجزم كما جعل نافع "أن" في تعبيره هذا عاملة من عوامل الجزم". فالصحيح كما وضعه علماء النحو أن يكتب نافع هكذا: "ومن العجب أن نرى" بإثبات الألف لأن الفعل "نرى" المضارع المعتل الآخر وعلته بالألف كما في سعى يسعى فيكتب بإثبات الألف الأخير مع فتح الحرف قبلها في محل النصب والجرّ ويحذف في محلّ الجزم، فيكون إعراب "نرى" بعد دخول "أن" عليه إذن: فعل مضارع منصوب بـ"أن" وعلامة نصبه فتحة مقدّرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

فهذه سبع مسائل اخترناها من جملة المسائل اللغوية التي اختلف فيها المنفلوطي مع صاحبه الجوهري وأوردنا بعض حجج المنفلوطي في ذلك ووافقنا مع ما بجانبه الصواب.

الفصل السادس: المآخذ اللغوية والدلالية

كان لهذا الباب شطران، الأول: المآخذ النحوية أوردنا في السابق بعض المسائل النحوية والصرفية المختلف فيها في مؤلّفات علماء نيجيريا وحتى يتمّ هذا الباب ويستوعب عنوانه الموسوم بـ"المسائل الخلافية النحوية واللغوية لدى علماء نيجيريا"، صار من اللازم الاتيان بنماذج للمآخذ

اللغوية تكملة لشطره الثاني، وإليك الآن بعض ما تأخذ عليها بعضهم بعضا في الاستعمالات العربية والتركيبات اللغوية مع المصطلحات المعجمية.

بين الأستاذ عبد الواحد أريبي وهيئة التدريس بمركز السلام أجوكورو في مسألتين لغويتين

كان الأستاذ عبد الواحد جمعة أريبي عميدا إداريا لمركز التعليم العربي الإسلامي، أغيني- نيجيريا لمؤسسه الشيخ آدم عبد الله الإلوري ونظم قصيدة في ثلاثين بيتا عاتب فيها الأستاذ مشهود جبريل رمضان الكيتوي مؤسس مركز السلام، أجوكورو مقاطعة ألموشو، أغيني- لاغوس، نيجيريا عقب مغادرته لمركز شيخه العلامة الإلوري لمشاجرة جرت بينهم -الله المستعان وعليه التكلان-، وقامت هيئة التدريس بمركز الأستاذ الكيتوي بالرد على القصيدة ولها معه فيها وقفتان لغويتان بعد ما قد نظمت نقائض على تلك القصيدة وجمعت هذه كلها في كتاب موسوم بـ"ردود الأقالام تقديم هيئة التدريس بمركز السلام" مشيرة فيها إلى بيتين أخطأ- في نظرها- فيهما الأستاذ أريبي تركيباً واستعمالاً، ويتمثل ذلك في البيت الأول في مطلع القصيدة والبيت السابع اللذين سوف نتعرض لهما أثناء هذه الدراسة، وجاء بعد ذلك أريبي بتنفيذه لهذه الردود الكيتوية ومبرهنا لنفسه في تلك الوقفتين المشار إليهما وأدّى به ذلك إلى تأليف كتابه المعنون بـ"قذائف حاسمة في تنفيذ ردود الأقالام" وأماننا الآن الكتابان في مسألتين لغويتين.

أرى من اللازم ذكر تلکم البيتین أولاً قبل الإشارة إلى محل النقاش:
قال صاحب القصيدة:

تضاءل بعد شهرته الأميري ** ليدرك كاملا سوء المصير

سلوه ما يريد وما يروم؟ ** وقد غفل الوسائل في المسير.^{٦٨}

ومحل انتقاد هيئة التدريس في هذين البيتین هو "تضاءل بعد شهرته الأميري" و"سلوه ما

يُريد وما يروم" وإلى هاتين العبارتين تشير في قصيدتها المسمى بـ"تائية الرد" قالت فيها:

أرى شعره هدم القواعد نحوها ** ترى مطلع الأبيات ضعف البلاغة

تأخر فيه الصاحب لضميره ** ألم تدر أن الضعف عيب الفصاحة

فما موقع الإعراب في "ما" أتى بها ** وذلك من بعد "سلوه" الإرادة

أحسبها المفعول ثانية وقد ** أتى بضمير غائب في الكتابة.^{٦٩}

وخلاصة ما تهدف إليه هذه الأبيات هي تلك الوقفتين، الأولى: إتيان أربي بضمير "الهاء" في شهرته قبل ذكر مرجعه الذي هو الأميري أي تضاعف الأميري بعد شهرته وهذا معنى قول الشاعر: "تأخر فيه الصاحب لضميره".

والوقفة الثانية: في "سلوه ما يريد وما يروم" وغاية نقدهم هي أن استعمال فعل سأل مع "ما" الاستفهامية لا بد أن يقترب بـ"عن" واحتجوا بالاستعمال القرآني حيث قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ...﴾ [البقرة ١٨٩]، وهذا معنى بيته السابق الذكر:

فما موقع الإعراب في "ما" أتى بها ** وذلك من بعد "سلوه" الإرادة

هذا ما عند هيئة التدريس تتحدى بها العميد في بعض الاستعمالات والتراكيب وأما العميد فقد احتكم إلى شيءين واحتج بنقطتين للتخلص من الوقفة الأولى. أولاً: أن هناك خصوصيات للجملة الاسمية والجملة الفعلية كليهما لأن العلماء قد اتفقوا على تقسيم الجمل العربية إليهما لا غير وجميع علماء اللغة والنحو والبلاغة في هذا التقسيم على السواء وما سواهما تابعة لهما. وهذا صحيح ومعروف.

ثم برهن لنفسه ثانياً في هذا المطلاع أن من شروط الفاعل أن يأتي مؤخراً بعدما قد تقدم فعله وليس من الواجب ذكره مباشرة بعد الفعل أي قد يليه مباشرة وقد يأتي بعد ذكر بعض جمل أخرى جوازاً لا وجوباً وقد يكون مستتراً مع فعله إذا ذكر بعض لوازمه^{٧٠}. وهذا حكم مقبول أيضاً فالفاعل في هذه الجملة هو "الأميري" وخلل بين الفعل والفاعل بجملة "بعد شهرته" وهذا لا ينقص من شرف القصيدة شيئاً ولا يرمى إليها العيوب ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾ [الإنسان: ١]. فالفعل: "أتى" جاء فاعله مؤخراً بعد ذكر جملة الجار والمجرور "على الإنسان" وفاعله "حين" ففي مثل هذه المناسبة ذكر الفاعل مباشرة بعد الفعل أو آخر عنه سواء، كأن قيل: هل أتى حين على الإنسان.

وأرربي بهذا البيان لم ينتبه إلى محلّ نقاش هذه الهيئة معه ونقدها إياه، هي تتحدث عن ذكر الضمير قبل ذكر صاحبه فبدلاً من أن يوضح هذا الغموض ويخلص نفسه من هذا القيود أَوَّلَ إجابته إلى ترتيب الفعل مع فاعله وإليك مؤاخذة الهيئة على مطلع قصيدته مرة ثانية لتكون على بصيرة بما نشرح، قالت الهيئة: "لقد جرى الكلام في هذا المطلع على خلاف ما عليه جمهور علماء البلاغة وهو الإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورتبة"^{٧١}.

هذا ما قالتها هيئة التدريس موجهة به إلى العميد الإداري فأين وجه الملائمة بين نقدها وبيانها؟ كأن يقول المتكلم: رجع بعد غيابه إبراهيم بدلاً من رجع إبراهيم بعد غيابه" فأيهما أصحّ فهل هذا التركيب الأول جائز معنى وترتيباً؟ فهذا محلّ حديثنا، وبذلك اختتمت الهيئة نقدها بأن قصيدة أربي خالية مما يسمى ببراعة الاستهلال أو حسن المطلع والابتداء في عرف علماء البديع في علم البلاغة. فهل هذا صحيح كما زعمت؟ وهل في هذا الاستعمال خطأ عند النحويين والبلاغيين؟ هذا ما يحاول الباحث تحليله في السطور التالية.

من الحقيقة التي لا تخفى على أحد أن اللغويين أجازوا تقديم الفاعل على المفعول والمفعول على الفاعل، ثم جوّزوا كذلك ذكر الإضمار قبل ذكر مرجعه في مواضع منها:

- أن يتقدم في الصورة لا في المعنى نحو: "ضرب غلامه زيد" فغلامه مفعول به وزيد فاعله وذكر الضمير قبل مرجعه لكنه في اللفظ لا في المعنى لأن المعنى: "ضرب زيد غلامه" وهذا ما حدث نفسه في مطلع قصيدة أربي إذ المعنى "تضاءل الأميري بعد شهرته" وتقديم الضمير قبل ذكر المرجع هنا في اللفظ فقط لا في المعنى.

ورحم الله الإمام شهاب الدين القسطلاني حيث يجزونا بجواز ذكر الإضمار لفظاً ورتبة، الذي قامت الهيئة ضدّه، وقال الإمام: "قد نصّوا على جواز عود الضمير على المتأخر لفظاً ورتبة إذا كان مخبراً عنه بخبر يفسره، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا...﴾

[الأنعام: ٢٩].^{٧٢}

- ما عليه ابن جني في قول النابغة الذبياني حيث قال:

جزى ربه عني عدي بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقال ابن جني: "وأنا أجزى أن تكون "الهاء" عائدة على عدي في قوله "ربه" ٧٣ فالجمهور قالوا بأن الضمير عائد إلى المصدر المحذوف والتقدير- في نظرهم- "جزى رب الجزاء" كمن قال: من كذب كان شرا له أي الكذب شرا له.

وهذا الرأي أيضا ينطبق على مطلع قصيدة هذا العميد.

- أن يقع التقديم في المعنى لا في الصورة كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. فالضمير قبل الذكر غير حاصل في الصورة لكنه حاصل في المعنى لأن الفاعل مقدم في المعنى ومتى خرج بتقديمه لزم الإضمار قبل الذكر.

هذه جملة ما عليه علماء اللغة في جواز ذكر الإضمار قبل مرجعه وتوافق قصيدة أرببي رأبي الأول والثاني لأن الذي امتنع هو ذكر الإضمار قبل مرجعه لفظا ومعنى لا لفظا ورتبة كما زعمته هيئة التدريس إذن فلقصيدة أرببي براعة الاستهلال وحسن المطلع والابتداء معا بناء على هذا البيان النحوي واللغوي.

أما في الوقفة الثانية التي يرد فيها الهيئة على العميد في استعماله "ما" الاستفهامية مع السؤال بدون اقتراحها بـ"عن" الجار استشهادا بآيات قرآنية حيث قالت: "يقول صاحبنا" سلوه ما يريد وما يروم" فهل حرف "ما" للاستفهام أم مفعول ثان؟ وإذا كانت "ما" للاستفهام فهي لا تأتي إلا مصحوبة بـ"عن" لقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الروح﴾ وقال: ﴿يسألونك عن الجبال﴾ وقال: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾ والصواب أن يقول صاحبنا: "سلوه عما يريد" ٧٤.

هذا نص هيئة التدريس الكيتوية وتلك جملة ما لديهم من الحجة لتتحدى بها العميد أرببي في استعماله، وإليك فيما يأتي بيان العميد ودلائله في تصويب عبارته وتثبيت قوله وقد قطع بحججه قول خطيبهم وسكتهم بنقاطه وبكتهم بها ويتمحور ذلك في ثلاث:

١- اقتران "عن" مع السؤال في تلك الآيات المشار إليها لا تعتبر حجة ولا دليلا لهم وإنما هي حجة عليهم لأن الآية خالية من "ما" الاستفهامية وكل آيات قرآنية جاءت فيها "السؤال" مصطحة مع "ما" الاستفهامية خالية من "عن" الجار مثال ذلك قوله تعالى:

﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]. وقال تعالى أيضا: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مِمَّا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلَئَوْلَا دِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]. وقال تعالى أيضا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] وهكذا.

٢- عدم اقتران "عن" الجار مع "ما" الاستفهامية عند السؤال من باب الوجوب لا من باب الجواز لأن "ما" اسم معرب وإذا دخل "عن" الجار عليها وجب إسقاط الألف دلالة على جرهما، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، ولذلك طبق أحمد شوقي هذه القاعدة في بيته التاليين:

إلام الخلف بينكما إلاما ** فهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكد بعضكم لبعض ** وتبدون العداوة والخصاما.^{٧٥}

٣- إذا رأيت "ما" مصحوبة بـ"عن" الجار بدون إسقاط الألف فاعلم أنها موصولة لا استفهامية نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣] وعقب بيانه بقوله: "لأن الموصولات مبنيات"^{٧٦}.

فانطلاقاً من هذه البيانات التي أتى بها أربي ندرك أن حججه أقوى وعبارته أفصح مما كان عليه هيئة التدريس إذا قسناها بأحكام علماء اللغة في "ما" الاستفهامية فجميع الآيات الواردة في بيانه وقد اتفق جميع المفسرين إلى أن هذه "ما" استفهامية بدون أي خلاف بينهم واستعملها جل وعلا بعد السؤال غير مصحوبة بـ"عن" الجار فمن أفصح ممن احتكم في تعبيره إلى القرآن الكريم، وقد دلّ كلام ابن عقيل وغيره من النحويين على نقطته الثانية بأن "ما" الاستفهامية تحذف ألفها لدخول حرف الجر عليها ثم فيما قال بأن اقتران "عن" بـ"ما" يدل على أنها موصولة لا استفهامية وهذا صحيح لأن في مثل هذا الموضع لا تسقط الألف إذ هي مبنية لا يتأثر فيها الإعراب، إلا أن إطلاقه هذا الحكم على جميع الموصولات وهذا فيه نظر لأن فيها ما يبني وفيها ما يعرب وحبذا لو قال العميد في هذا الرد: لأن ما الموصولة اسم مبني لكان أحسن وأنحى من قوله: "لأن الموصولات أسماء مبنيات" فلن يقبل منه هذا في أوساط النحويين واللغويين

لأنهم قد قسّموا الموصولات إلى الاسمىة والحرفية وشتان ما بينهما، ووقعت "ما" في الموصولات الحرفية التي قد تكون مصدرية أو ظرفية نحو: عجبت "مما ضربت زيدًا" أو قول الشاعر:

أطوف ما أطوف ثم آوى ** إلى البيت قعيدته لكاع.^{٧٧}

وأما الموصولات الاسمىة فهي: "الذي والتي وغيرهما" فهذه في حالة التشنية ترفع بالألف وتنصب وتجرّ بالياء وتبنى على حالة واحدة عند الجمع أي "الذين" في كل الأحوال خلافا لبعض العرب كبنى هذيل الذين حكموا بـ الذون في حالة الرفع والذين في حالة النصب كما في قول الشاعر:

نحن الذين صبحوا الصباحا ** يوم النخيل غارة ملحاحا.^{٧٨}
ولذلك عندما قال ابن مالك في ألفيته:

موصول الأسماء الذي الأثنى التي ** واليا إذا ما ثنيا لا تثبت

بل مـ تليه أوله العلامة ** والنون إن تشدد فلا ملامة

والنون من زين وتين شددا ** أيضا وتعويض بذاك قصدا.^{٧٩}

فيشير الناظم في هذه الأبيات إلى الموصولات مع إثبات أحكام نحوية وإعرابية تخصها- كما ترى- وبناء على ما تقدم من بياننا قال ابن عقيل عند شرحه لهذه الأبيات من ابن مالك: "فقول المصنف "موصول الأسماء" احتراز من الموصول الحرفي"^{٨٠} أي كلّما ما وضعه الناظم من الأحكام النحوية في تلك الأبيات إنما هي تنطبق- فقط- على الموصولات الاسمىة لا الحرفية.

تطرقنا إلى هذه البيانات لننبه القراء إلى ما أثبتته العميد الإداري في تعميم حكم البناء على جميع الموصولات ولنشير إلى ما في ذلك من الأغلاط والأخطاء ولا نريد بذلك توسيع المعلومات عن أحكام الموصولات النحوية.

ومع هذا وذاك، فإن أربي قد غلب خصومه بدلائله القاطعة وبراهينه الدامغة في تلك المسألتين (ذكر الضمير قبل مرجعه لفظا ورتبة واستعمال فعل سأل مع "ما" الاستفهامية بدون مصاحبته بـ "عن" الجار) وتوصلنا أخيرا إلى أن ما اعتمد عليه هيئة التدريس في تخطيء صاحبهم حجج أوهم من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

الفصل السابع: بين عبد الفتاح يس وسميه عبد الفتاح سارومي^١ في بعض القضايا اللغوية

حدث بينهما الردود والمآخذ في بعض الاستعمالات اللغوية والتراكيب النحوية والصرفية شأنهما في هذا كثنان المنفلوطي مع الجوهري حسب ما تقدم من البيان وجرى بين يس وسارومي مثل ما جرى بين ذالكما صاحبين حيث ينتمي يس إلى العقيدة الأشعرية ويؤيد المذاهب الصوفية بأساليب دعوية أدرك عليها علماءنا السابقين في بلاد يوربا-رحمهم الله جميعا-وصديقنا سارومي ينتصر للمذهب السلفي ولا يرحب من الأساليب الدعوية إلا ما تمت لها صلة وثيقة بمنهج أهل السنة والجماعة وتسير على عقيدته ودربه، وقد قام السيد عبد الفتاح يس بمعارضة كتاب: "الصراع بين الباطل والحق" لأخيه عبد الفتاح سارومي مشيرا إلى جوانب النقص وأماكن القصور فيه، منها العقدية والدينية مع اللغوية ويهمننا فقط في هذا الصدد الجوانب اللغوية، والكتاب أي (الصراع بين الباطل والحق) أصلا ردّ به صاحبه على كتاب: "قذائف الحق" للدكتور عبد المؤمن يوسف أومالاجا في بعض مواقف دينية قد لا يتماشى مع شروط البحث العلمي الجامعي-وخاصة في مثل هذا المستوى-الاشتغال بذكر تلك المواقف هنا، وهذا مما أدى بيس إلى تأليف كتابه الموسوم بـ"حلاوة التحقيق في كتاب الصراع بين الباطل والحق".

وتجاوبا مع هذه الظروف ألف صاحبه سارومي كتابا آخر معنونا بـ"نفحات التعليق على رسالة "حلاوة التحقيق" لعبد الفتاح يس" أجاب فيه على بعض تساؤلات أخيه يس وأفصح في ذلك لنفسه في بعض الاستعمالات والتراكيب أولا وأثار على يس نار حرب علمية أخرى في تعابيره ووصفها بالركاكة حيناً والتعقيدات اللفظية والمعنوية حيناً آخر لا في كتاب حلاوة التحقيق فحسب بل في بعض مؤلفاته السابقة على الحلاوة وخاصة في كتاب: "قراءة في جرائم عبد الرزاق عبد المجيد أالرو ونفاقه" وهكذا كانت نار حرب الردود والهجوم تلتظي بينهما إلا أن السيد عبد الفتاح يس لم يستطع الاستمرار بهذا التبادل الردودي إذ لم يلبث طويلا حتى عجلته منيته أثناء هذه المعركة العلمية الأدبية والدينية سنة ٢٠١٣م رحمه الله رحمة واسعة وجميع الموتى المسلمين.

وفيما يلي بعض ما أشار إليها يس في "حلاوة التحقيق" لتخطيء سارومي في كتابه

"الصراع":

- اعترض يس على صاحبه سارومي في وضع عنوان كتابه ودلّه إلى ما هو أفصح- في نظره-
مما كان عليه وخاصة في ترتيب الكلمات لأن عنوان كتاب سارومي- كما يبدو- هو
"الصراع بين الباطل والحق" وادّعى يس بأن في هذا الترتيب خطأ فأولى له أن يقدم الحق
على الباطل واقترح له عنوانا آخر بقوله: "لو كان عنوان الكتاب "الصراع بين الحق
والباطل" لجُمِّل أي التجميل وليوافق أسلوب القرآن من حيث التركيب^{٨٢} والقرآن يقول:
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

احتكم يس بهذا الاقتراح إلى شيءين مهمين:

الأول: الاستعمال القرآني كما ترى في عبارته حيث قدم الله تبارك وتعالى الحق على
الباطل لغلبته عليه.

الثاني: اعتماده على بعض الكتب المؤلفة في الميدان في العالم الإسلامي قبل تأليف
سارومي وذكر أسماء بعضها حيث قدّم هؤلاء العلماء الحقّ على الباطل في نسج العناوين إما
اقتداء بالقرآن الكريم أو احتذاء حذو أسلوب العرب الفصيح ومن بين هذه الكتب: كتاب
الفرقان بين الحق والباطل لابن تيمية وغيره.^{٨٣}

ولقد ردّ سارومي على هذه الشبهات بانيا رده على ثلاثة أسس:

أولاً: أن الباطل هو أول ما انتشر في أوساط المسلمين في بلاد يوربا وصاروا يتدينون-
حسب اعتقاد سارومي- على العقيدة الشركية الفاسدة جهلا منهم حتى مات أكثرهم على ذلك
قبل تحديد هذا الدين وهذه العقيدة بواسطة خريجي المملكة العربية السعودية فهم الذين أتوا أخيرا
بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ودعوا المسلمين إلى الإسلام الحنيف ومنعهم من الشركيات
والرواسب الجاهلية التي يبنون عليها إسلامهم من قبل، وجاء الحق بعد انتشار الباطل وبناء على
هذا الأساس كوّن عنوان الكتاب بتقديم الباطل على الحق نظرا لما قد حدث في بيئتنا اليورباوية.

ثانيا: عدم وجود قاعدة وضعها علماء اللغة في إنشاء العنوان أو تسمية الكتاب،
فالكاتب في ذلك حر يختار من الأسماء ما يوافق ذوقه ويناسب مضمون كتابه ويراعى تركيب
كلماته من حيثية تقديم كلمة أو أخرى وخاصة إذا احتاج المؤلف إلى ما يسمونه بالسجع لدى

علماء البديع وذلك توافق الحرفين الأخيرين ومثّل في ذلك بكتاب "سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب" لأبي عمار مُجَّد بن عبد الله باموسى في تقديم السنة على الكتاب.

ثالثا: احتكم إلى القواميس العربية أخيرا في معنى الصراع التي هي أحد المصدرين لفعل "صارع" وهما: "الصراع والمصارعة" فالقرآن في ترتيبه استعمل المجيء لا الصراع أو المصارعة ولعدم وجود التوافق بين "جاء" و"صارع" رفض استدلال صاحبه بتلك الآية القرآنية في الموضوع^{٤٤}.

هذه هي خلاصة بيان قدمه سارومي للتخلص من قيود صاحبه في تقديم الباطل على الحق في عنوان كتابه. وأمامنا الآن تعليق الباحث على اعتراضات يس وردّ سارومي على تلك الاعتراضات.

قد أتى سارومي بأقوال تدعّم بها استعماله في تقديم الباطل على الحق ولكن باعتبار الباطل أول ما انتشر في أرض بلاد يوربا قبل مجيء كتابه الذي عدّه محاربا لهذه البواطل ليست حجة مقنعة لأنه مهما انتشر الفساد في أوساطنا الإلورية أو اشتهر الباطل في بلداننا اليورباوية لن يبلغ مرحلة انتشاره في أوساط العرب قبل مجيء الإسلام فالناس في بيئتنا قبل كتابك قد عرفوا الإسلام ووصلتهم الرسالة المحمدية واعتنقوها اعتناقاً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من شعائر الإسلام وتعاليمه إلا قبلوها وتعبدوا بها، أما العرب قبل نزول القرآن فلم يعرفوا الإسلام وحتى بعد البعثة المحمدية رأينا منهم من أصرّ على عبادة الأصنام فهذه كعبتنا وضعت حولها ثلاثمائة وستون نُصُبا طوال سنين وقبل عام الفتح الذي جعل النبي (ﷺ) يطعن هذه الأصنام بمخصرة في يده^{٤٥} حسب اتفاق المحدثين والمفسرين في كتبهم، ومع هذا وذاك نزل القرآن مقدما الحق على الباطل لا في سورة الإسراء التي احتجّ بها يس فحسب، بل في أماكن أخرى من سور القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

لما في ذلك من تفاوت الفضل بين الحق والباطل لأن للحق دوام الشرف وإن كان للباطل شرف فمؤقت ولقد صدق الشيخ المراغي حينما يتحدث عن مزايا التقديم في علم البلاغة وقال: "الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي"^{٤٦}. هذا ومن

طبيعة الحق دوامه وطبيعة الباطل انقطاعه فيقدم الحق على الباطل في الترتيب، وقد قال علماء البلاغة بأنه ليس في التقديم والتأخير لعبا وعبثا فيتغير المعنى بتغيير اللفظ وتحويله عن مكانه^{٨٧}. ولذلك أرجع الشيخ المؤيد بالله الحكمة وراء تقديم "رجالا" على "ضامر" في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]. أرجعها إلى تفاوت الفضل بين من حجّ راجلا وبين من حجّ راكبا اعتمادا على قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال: "وددت لو حججت راجلا فإن الله قدم الرجالة على الركبان في القرآن فدلّ في ذلك على أنه فهم من التقديم في الآية الفضل"^{٨٨}.

وأما استشهاد سارومي بعنوان كتاب أبي عمار المذكور أي (سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب) فاستشهاد واهٍ لأن المؤلف في ذلك الكتاب يراعى "توافق الحرفين في العقاب والكتاب" كما ظهر ذلك جليا، ولو سُئل: هل فضّلت السنة على الكتاب بهذا التقديم؟ ليجيب بأن السجع هو الذي قاده إلى ذلك الترتيب، وأين السجع في عنوان كتاب سارومي؟.

وفحوى حديثنا في هذا الباب هو: إن عنوان كتاب سارومي (الصراع بين الباطل والحق) راجح وفصيح ولكن الأرجح والأفصح (الصراع بين الحق والباطل) كما نبهه إلى ذلك صاحبه عبد الفتاح يس.

ما أخذ عليه يس من التركيبات اللغوية

أشار سارومي إلى أماكن الخطأ في تعبيرات صاحبه في كتابيه هما: "قراءة في جرائم عبد الرزاق عبد المجيد أثارو ونفاقه"، و"حلاوة التحقيق في كتاب الصراع بين الباطل والحق" ومن هذه المآخذ ما يلي:

قول يس في الكتاب الأول: "ثم لا يقوم إلا على الرغبة في الهدم ما قد بنوه أشخاص لا يستهان بجهودهم"^{٨٩}. وسطرّ سارومي تحت جملة "بنوه أشخاص" وقال: "إن الكلمة التي تحتها السطر خطأ لأنه أتى بفعل الجمع قبل اسم الجمع وهذا تعبير خبيث لغة "أكلوني البراغيث"^{٩٠}. أرجع سارومي ذلك التركيب إلى لغة أكلوني البراغيث كما شاع على السنة الأعوام وأطلق عليها علماء اللغة باسم "المطابقة" أي مطابقة المسند مع المسند إليه في التذكير، والتأنيث، وفي

الثنية والجمع وحتى في حالة الأفراد، وقد شرحنا ما فيه الكفاية عما يتعلق بالموضوع (المطابقة) في حديثنا عن الجملة الاسمية والجملة الفعلية أي في نقاش دار بين المخزومي ونائب سويد، وسنين-فقط- في هذا الموضوع ما تمت له صلة وثيقة بلغة "أكلوني البراغيث" لأن العرب يلتزمون المطابقة إذا تقدم المسند إليه وأما إذا تأخر فيجعلون المسند موحدًا نحو: جاء المسلمون والمسلمون جاءوا وهذا ما يسمى بتوحيد الفعل لدى علماء النحو، قال ابن مالك:

وجرّد الفعل إذا ما أسندا ** لاثنين أو جمع كفاز الشهداء.^{٩١}

وفي الحقيقة هذا أوضح الأسلوب وأقربها إلى الفهم وأكشف عن سر العربية وروحها. ولكنّ المؤرّخين الحقيقيين قد رووا إلينا نسبة مطابقة الجمل العربية-سواء قدم المسند أو آخر- إلى الطائيين وبلحارث بن كعب وهاتان القبيلتان من أشهر القبائل اليمنية وأعظمها شأنًا إبان ظهور الإسلام ولشهرتهم ومكانتهم بين العرب وفضل لهجتهم منذ العصر قبل الإسلام اعتقد معظم اللغويين بأن ما كانوا عليه من ناحية المطابقة هو الأصل في العربية الفصحى وأن ما حكم به النحويون في التفريق بين تقديم المسند وتأخيره في مطابقة الفعل فرع ونادر، ولقد فصل القول في هذه الشبهات التاريخية شيخنا إبراهيم مصطفى بقوله: "وأنا أرجح أن تلك المطابقة العددية وشمولها كل مسند- كانت الأصل في العربية، ثم خصصت بالمسند إذا تأخر فإنه يحتاج إذاً أن تكون فيه إشارة إلى المسند إليه المتقدم، وبقي من مطابقة المسند إذا تقدم أثر كبير في لغات اليمن وأثر نادر في لغات سائر العرب ومنه أمثلة في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وفي شيء من أشعار المضريين"^{٩٢}. هذا ما سجله إبراهيم في الموضوع وأشار أخيراً إلى أن في القرآن والحديث وأشعار العرب ما يوافق هذا الاستعمال، والآية قوله تعالى: ﴿...وَأَسْرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ [الأنبياء: ٣]. ولقد عقب المفسرون أقوالهم في هذه الآية بعد تأويلات وبيانات وتفلسفات بأنها جاءت على لغة أكلوني البراغيث. ومن هذه البيانات ما ذهب إليه الإمام الدرويش في إعرابه: بأنّ "الذين ظلموا" في موضعه ثلاثة أوجه، الإعراب:

الأول: الرفع، وفيه أربعة أوجه

أ- أن يكون بدلا من الواو في "وأسروا".

ب- أن يكون فاعلا والواو حرف للجمع لا اسم.

ج- أن يكون مبتدأ والخبر: هل هذا، ويكون التقدير إذن "هل هذا؟"

د- أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: "هم الذين ظلموا".

الثاني: أن يكون منصوبا على إضمار "أعني".

الثالث: أن يكون مجرورا صفة للناس.^{٩٣}

ولنكون على قدم وساق بأن هذه اللغة أصلية وصحيحة بعد ما قد طبقها القرآن الكريم نرى في الصحيحين ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون^{٩٤}، واتفق المحدثون بدون أي خلاف بينهم ولا تأويل بأن العبارة جاءت على لغة أكلوني البراغيث وإليك ما قاله الإمام بدر الدين العيني في عمدته: "قوله: يتعاقبون أي يتناوبون وهو نحو أكلوني البراغيث"^{٩٥}.

فبالنظر إلى هذه الجولة ندرك أنّ استعمال لغة أكلوني البراغيث لا يوصف بالخبث لثلاث

نقاط:

- كون أشهر قبائل العرب ينطقون بها وهم أولى بلغتهم من غيرهم.
 - ووجود آية قرآنية جاءت على هذه اللغة فالقرآن أول مرجع علمي عند الاحتجاج باللغة العربية الفصحى وقد قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].
 - سلك النبي صلى الله عليه وسلم هذا المسلك الطائي ليدل دلالة واضحة على أن هذا الاستعمال يستساغ في العربية الصحيحة ولم لا؟ وقد وصف نفسه بأفصح العرب ولا فخر.
- وإذا اقتدى عبد الفتاح يس بأحد هذه النقاط فحري به، فأبي عيب تُسجل لمن احتذى حذو العرب في تركيب الكلمات العربية؟ أو وافق أسلوبه مع أسلوب القرآن؟ أو تحرى نحو فصاحة سيد البشر عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وإن كانت الهجرة من ذلك الأسلوب أولى وأرجح لما كان عليه جمهور العرب وعلماء اللغة. ولقد تحدى سارومي صاحبه أيضا في استعمال

الضمائر متبادلا بين التذكير والتأنيث أي عدم التفريق بين هذه الضمائر في حالة التذكير والتأنيث وذلك في قول يس: "لا شيء فيها يلتفت إليها النظر، أما الحقيقة هو أن ذلك الرجل المعروف"^{٩٦}، وقال سارومي: "فالصحيح: لا شيء فيها يلتفت إليه النظر-لأن الهاء يرجع إلى شيء، و"الحقيقة" مؤنث وضميرها: "هي" ليس "هو" فالصواب: أما الحقيقة هي "أن ذلك الرجل"^{٩٧}.

لا ملجأ ولا منجى لعبد الفتاح يس في هذا الأوان سوى قبول هذا الحق الصادر من صاحبه والرجوع إلى صواب أرشده إليه، لأن جملة "لا شيء فيها" فضمير الهاء هنا عائد إلى الروايات التي سبق ذكرها في الفصل، أما جملة: "يلتفت إليها النظر" فيعود الهاء إلى "شيء" لا إلى الروايات يعني: "ذلك الشيء الحقيقي" فماذا يبرهن يس لنفسه بأن كلمة: الشيء مؤنث-نظرا لمقتضى بياننا-أحقيقي أم مجازي؟ أما إذا قضى يس بأن الضمير غير عائد إلى "شيء" فينطبق اللحن على جملة حنيئذ لعدم استساغته أن يرجع إلى "الروايات" كما رجع إليها ضمير الهاء الأول، فرحم الله الإمام الأنباري حيث شرح لطالب العلم ما يكفيه من معرفة المذكر والمؤنث بأنواعهما، فالمذكر الحقيقي-حسب بيانه-ما كان له فرج الذكر كالرجل، وغير حقيقي ما لم يكن له ذلك كالجدار، فالمؤنث الحقيقي ما كان له فرج الأنثى نحو: المرأة والناقاة، وغير حقيقي ما لم يكن له ذلك كالنار"^{٩٨}.

وهو بهذا التعريف الوجيز يخبرنا بنوعي المذكر ونوعي المؤنث مع علامة كل منهما ونفهم من ذلك أن من المذكر ما ينطبق تذكيره على صورة المسمى كما في مثال "الرجل" ومنه ما لم يظهر في صورته سوى اتفاق علماء اللغة بحسبانها في زمرة التذكير كمثل "الجدران" فأين علامة التذكير في معنى هذه الكلمة؟ أو صورتها؟ وكذلك نفهم أيضا معنى التأنيث سواء أكانت تاء مربوطة كما في فاطمة ومدرسة، أو ألفا ممدودة كما في: بُشرى حُسنَى وشُكرى، أو ألفا مقصورة كما في بيضاء وعلياء، حينما يتمشى مع غير المقيس كلمات لم تكن فيها علامة التأنيث ولكن علماء اللغة قد أثنوها كالسما والنار، كما يوجد أيضا ما لم يُتفق على تذكيرها أو تأنيثها فتعيش عيشة التذكير حينما ثم تحشر مع المؤنثات حينما آخر كالشمس والأرض وغيرها.

هذا غيـض من فيض من بيانات علماء النحو في تقسيم الكلمات العربية إلى المذكر والمؤنث فما حجة صاحبنا يس في تذكير كلمة "شيء"؟ وكذلك في استعماله كلمة: "الحقيقة" استعمالاً مذكراً حيث وصفها بـ"هو" "الحقيقة هو" فمثل هذا التركيب لا يسانده دليل نحوي ولا يوافقه رأي لغوي فالصواب إذن: "الحقيقة هي".

ثم علّق سارومي أيضاً على قول يس حين قال: "وقرأته ورأيت أنه من الواجب علي أن لا أتجمّد فقط"^{٩٩} وقال سارومي: "قلت إن الإنسان لا يتجمّد بل يسكت فالعبارة الصحيحة: أن لا أسكت"^{١٠٠}.

فسارومي بهذا القول غير واع ولا مطلع للمعاجم والقواميس العربية قبل تخطئة صاحبه، فكلمة جمّد أو تجمّد تستعار للإنسان وخاصة إذا كان السكوت عن الحق، وللجمود معان كثيرة أشهرها ضدّ الذوب أو السيل، ولنستعين بالمعاجم لنذكر حقيقة هذا الاستعمال، قيل في المنجد: "فلان جماد الكف أي بخيل، جمادله بالبناء على الكسر كلمة تقال للبخيل وعاء عليه أي لا زال جامد الحال"^{١٠١}. وهذا منجدنا العربي المعروف استعمل الجماد للبخيل، ثم لنحتكم إلى غيره من المعاجم، وفي القاموس المحيط: "يقال للبخيل جماد كقطام ذمّاله وهو جماد الكف، وجمّد: بَجَل"^{١٠٢}.

وفي هذا القول الإشارة الدلالية لمعنى جمّد حيث فسرها ببخل وأما جماد بكسر الدال إنما بني على ذلك لأنه معدول عن المصدر أي الجمود. وإذا لم تك مقنعا بقول المنجد وبيان القاموس فلنرجع مرة أخرى إلى أكبر المعاجم العربية، قيل في لسان العرب نقلاً عن مُجّد بن عمران التيميّ: "إنا والله ما نجمد عند الحق ولا نتدقق عند الباطل" وحكى ابن الأعرابي هذه العبارة مفسراً معناها بقوله: "وهو جامد إذا بخل بما يلزمه من الحق"^{١٠٣}.

ولقد أفصح ابن منظور بالبيان في هذه العبارة وهي أوضح من وضوح الشمس، وكما ترى كشف الغطاء وفصل الجدل وحكم بينهما لأنه صرّح القول بأن الجمود تستعمل للإنسان إذا أبي أن ينطق بالحق وهذا البيان يوافق ما عليه عبد الفتاح يس في تركيبه لأنه أراد بكتاب الحلاوة أن يثبت بعض الحقائق التاريخية التي شوّه وجهها سارومي في كتاب "الصراع" ولذلك عدل إلى

استعمال كلمة "التجمّد" التي تعني السكوت عن الحق حسب ما قررته تلکم المعاجم العربية وقد يسأل سائل فلما ذا تجمّد ولا جمّد؟ فالجواب على ذلك هو: إنّ "تجمّد" جاء على وزن تفعل وهو فعل لازم يتعدى بأحد حروف الجرّ على حدّ قاعدة علماء الصرف، ومن معانيها المطاوعة مثل: علّمته فتعلّم، وجمّعه فتجمّع، وأيضا: التكلّف مثل: تحمّل، وتشجّع، وتصبّر. ويعني في تركيب يس التكلّف أي لا أحمل الجمود ولا أستطيع السكوت في وقت يجب عليّ قول الحق.

وأخيراً، ننظر في أحد كتب اللغة القديمة كيف استعمل هذه الكلمة لتحقيق جمود الإنسان ولنتيقن أنه يتجمّد خلافا لقول سارومي، قال الإمام الحريري: "ومن حكم أن ابذل وتخزن... وأذوب وتجمّد"^{١٠٤}. فالصواب بجانب عبد الفتاح يس في تركيبه واستعماله بهذه الحجج الواردة.

الفصل الثامن: بين سعيد الرفاعي الإبداني ونوح إبراهيم الإلوري في استعمال حرف "في" مع "الأمس" أو "اليوم"

فهذه مسألة من المسائل النحوية والصرفية التي جرت بين بعض الباحثين في نيجيريا، وحاصل القصة ما يلي:

هناك كاتب اسمه آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني من مدينة إلورن استوطن مدينة كونا في شمال نيجيريا وله مؤسسة علمية يديرها هناك إضافة إلى بعض الكتب العربية والإسلامية التي أثير بها المكتبات العربية، ومن بين هذه الكتب، كتاب "مع المؤرخين" وهو عبارة عن دراسة مقارنة بين بعض مؤلّفات شيخه آدم عبد الله الإلوري التاريخية وبين كتاب تلميذ الشيخ (الشيخ مصطفى زغلول سنوسي)، وبعد ما تم تجهيز الكتاب "مع المؤرخين" زعم أحد تلاميذ زغلول يقال له أحمد سعيد الرفاعي أن فيه بعض أخطاء لغوية وتاريخية وتركيبية وأفرد لذلك كتابا بالتأليف أورد فيه جميع هذه الأخطاء وسماه (الإلوري وزغلول إزاء السرقات والمغالطات دراسات في اللغة والفكر ومناهج التحقيق).

ثم قام أحد أعوان آدم يحيى عبد الرحمن الفلاني من مدينة إلورن اسمه نوح إبراهيم باز الله الإلوري مساندا لسيدة وألف كتابا معنونا بـ"الجاسوس دراسة نقدية في أقلام الرفاعي ضعّف فيه الحجج والبراهين التي أتى بها الرفاعي في كتابه ليشير إلى أخطاء الفلاني اللغوية وأوهاها مع

الدلائل والاستشهاد من القرآن الكريم ومن كلام العرب الأقفاء. وتم اختيار الباحث لمسألة من هذه المسائل اللغوية الموجودة في هذه الكتب الثلاثة والتي هي محور الخلاف بينهم ووقع ذلك في استعمال حرف "في" التي هي إحدى حروف الجر مع كلمة (الأمس) أو (اليوم).

استعمل الفلاني حرف "في" مع الأمس في جملة من كتابه "مع المؤرخين" وهاك نص الجملة: "... دولة الأمراء التي أسست في الأمس "وأسست دولة الأمراء في اليوم" ^{١٠٥} وأخذ عليه الرفاعي في هذه الحملة أنها ضئيلة وواهية لا تقبل في الفصحى، وهذه عبارته:

"... الخطأ: قوله: دولة الأمراء التي أسست في الأمس إلى دولة العلماء التي أسست في اليوم.

الصواب: دولة الأمراء التي عرفناهم اليوم" ^{١٠٦} هكذا خطأ الرفاعي الفلاني في عبارته وأتى بما هو أصوب عنده وحجته في ذلك هي ما قال: "والسبب الشاهد في القرآن الكريم" فجعلناها حصيذا كأن لم تغن بالأمس" ^{١٠٧} إلى آخر ما قال:

وجملة القول هي أن الرفاعي استشهد بآية قرآنية ليدعم بها موقفه وليظهر للقراء أن الله تبارك وتعالى عند ما استعمل كلمة "الأمس" في كتابه أردفه بالباء لـ"في" وقال: "... بالأمس" وهذه دلالة واضحة على أن "في" لا يجوز أن يقترن بالأمس في العربية الفصحى، وهذا غاية ما عند الرفاعي من الحجة. وأجابه نوح إبراهيم في كتابه "الجاسوس" موافقا لتعبير الفلاني وردا على حجة الرفاعي بأنها أوهن من بيت العنكبوت. لا يشتغل الباحث بإيراد جميع كلام نوح إبراهيم جملة بجملة وحرفا بحرف ولكن يأتي بيان هذه النقاط مع تصرف يسير.

يتمثل الدلائل والبراهين التي اعتمد عليها نوح إبراهيم في ثلاث نقاط هي:

النقطة الأولى: استعمال حرف "في" مكان أربعة من حروف الجر وهي: من، إلى، في،

الباء في العربية الصحيحة ومثاله في ذلك.

"أنت بصير في عملك" أي به

"رد يده في حبيبه" أي إليه

"مضت علي ثلاثة أشهر في ثلاث سنين" أي من نحو ثلاث سنين

"أقام في مكان" أي أقام به

النقطة الثانية: أن الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم استخدم حرف "في" بمعنى الباء مع الفعل غَنِيَ الموجود في الآية التي استشهد بها الرفاعي وظهر هذا جليا في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم وبما أن هذه المواضع كلها يأتي غني بمعنى أقام. وإليك الآيات:

١- ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا^٤ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف ٩٢].

٢- ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا^٥ أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ^٦ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [سورة هود ٦٨].

٣- ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا^٧ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ﴾ [سورة هود ٩٥].

النقطة الثالثة: احتجاجه بقول أحد شعراء العرب الجاهليين والذي وقع استعماله حرف "في" مع الأمس واليوم والغد معا، وهاك يتيم البيت:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ** ولكنني عن علم ما في غد عم.^{١٠٨}

وهذه حجة كل فريق أوردها الباحث ليجلو للقارئ ما اعتمد عليها كل منهما وسيقوم بدراسة نقدية لهذه الآراء.

الدراسة النقدية لآراء الطرفين

الطرف الأول: هو أحمد سعيد الرفاعي الذي قال بعدم صحة استعمال حرف "في" مع "الأمس" أو "اليوم" معتمدا في ذلك على آية قرآنية سبق إيرادها وللباحث في هذه الآية أقوال.

الأول: مما لا يختلف فيه اثنان ولا يعترضه شك هو أن القرآن باتفاق جميع علماء اللغة مصدر من المصادر الأصلية اللغوية والإسلامية بل هو في الطليعة الأولى من هذه المصادر لأنه كلام الله تبارك وتعالى وهو مرجع أساسي يرجع إليه الباحثون عند الجدل والتنازع لغة كان أو دينا لذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: "من أراد علم الأولين والآخرين فليتبدر القرآن"^{١٠٩}.

ولهذا يرى أن الرفاعي احتكم إلى القرآن الكريم لتأييد مذهبه ولو أن للاحتكام إلى القرآن آداب وضعها علماءه ومن هذه الآداب الالتفات إلى ما اتفق عليها المفسرون عند الاستدلال أو الاستشهاد بآية قرآنية مع ربط الآية بسابقتها أو لاحقتها إذا دعت الحال إلى ذلك وقراءتها كاملة

وهذه الآية التي كانت رأس الحجة عند الرفاعي يأتي بها الباحث كاملة تأدبا مع القرآن وأسلوب الاستدلال به قبل التطرق إلى أقوال المفسرين فيها: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة يونس: ٢٤].

الثاني: لا يهتم الباحث بتفسير وبيان معنى الآية في هذه اللحظة بل ينتقل مباشرة إلى محل الشاهد الذي هو كلمة "...بالأمس" ولقد قام جمهور المفسرين بتفسير الكلمة قبل بالأمس يعني: "تغن" وأصله من فعل غَنِيَ بمعان منها: أقام، يقال غَنِيَ بِمَكَانٍ إِذَا أَقَامَ بِهِ، قال الإمام الطبري "كأن لم تغن بالأمس... وأصله من غَنِيَ فلان بمكان كذا يعني به إذا أقام به" ثم استشهد بقول النابغة الذبياني الذي قال:

غنيت بذلك إذ هم لك جيرة * * منها بعطف رسالةٍ وتودد.^{١١٠}

وإذا استعمل كلمة "غني" بمعنى أقام جاز فيه وجهان:

أولاً: أقام به الذي غني به

وثانياً: أقام فيه، وبذلك يكون السر المكنون وراء هذا الإستعمال القرآني "كأن لم تغن في الأمس" لجواز كلا الاستعمالين، لذلك قال الإمام الثعلبي: "... كأن لم تغن... " وأصله من غني المكان إذا أقام فيه وعمره...^{١١١}

ومن هذه المعاني أيضاً العمر والعيش والنزول والنعيم وغيرها ولقد أورد الإمام الماوردي أربعة من هذه المعاني في تفسيره وهذه الأربعة هي: القيام، العمر، العيش، والنعيم.^{١١٢} هذه هي المعاني التي يرمى إليها كلمة "تغن" كما أقر بذلك علماء التفسير على اختلاف عصورهم ومستوياتهم وكتبتهم ومذاهبهم، اكتفى الباحث بذكر هذا القدر اليسير من أسماء كتب التفسير التي استفاد منها للحصول على هذه المعاني خوفاً من أن يملأ البحث بأسماء كتب التفسير.

ورأس ما في القول هو: إن الاعتماد على هذا الاستعمال أي (استعمال حرف الباء مع كلمة الأمس في القرآن الكريم) اعتمادا كلياً حجة تحتاج إلى النظر ما دام علماء اللغة والمفسرون قد ذهبوا إلى أن فعل غني من معانيه ما يصلح أن يقبل "في" أو "باء" إذا أراد المتكلم أو الكاتب أن يجعلها متعدياً بإحدى حروف الجر لأن الفعل غَنِيَ فعل لازم.

أما الطرف الثاني فهو نوح إبراهيم الذي يؤيد عبارة الفلاني ويقوم معه ويسانده وحججه في ذلك يتمثل في ثلاث نقاط كما سبق.

١- استعمال حرف "في" مكان بعض حروف الجر، ومن هذه الحروف "على" وأمثله في ذلك كثيرة يخشى الباحث من تكرارها وأما ما يقوي حجة نوح إبراهيم بأن حرف "في" يستعمل مرادفة "على" ما حدث أو مارآه الباحث عند ابن فارس من حيث استعمال "في" مكان "على" في نسخ واستعمل "على" مكان "في" في نسخ أخرى ولم ير من علماء اللغة سواء السابقين منهم واللاحقين من رد عليه هذا الاستعمال وقال في كتابه المشهور بـ"الصاحبي"

"باب: القول في لغة العرب وهل يجوز أن يحاط بها" ^{١١٣} وعندما أراد الإمام السيوطي أن يشير إلى هذا الباب في كتابه استعمال "على" بدلا من "في" وهذا نصه:

"قال ابن فارس في فقه اللغة: باب القول على لغة العرب وهل يجوز أن يحاط بها" ^{١١٤}

٢- الشاهد القرآني فقد مضى أن شرع الباحث في تأييد وجهة نظر كل منهما وخاصة عند الحديث عن الرفاعي وحجته وتوصل أخيرا إلى أن هذا الاستعمال القرآني استعمال جاز فيه الوجهان: استعمال حرف "في" واستعمال حرف "الباء" وقد يُستعمل للظرفية الحقيقية مكانية كانت أو زمانية فمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] يرى أن الله تبارك وتعالى استعمال الباء مع مكة وهو مكاني كتابة قرآنية.

٣- وأما النقطة الثالثة: فهي الاحتجاج بالشعر الجاهلي: فالشعر العربي الأصيل من المصادر التي تؤخذ منها اللغة وتعتمد عليها عند قبول كلمة أو رد كلمة أخرى وقال

الإشبيلي: "يعد الشعر أحد المصادر السماعية التي أمدت العربية بأفصح التراكيب وأبلغها وأحسن الأساليب وأجزل المعاني".^{١١٥}

علاوة على هذا فاستشهاد نوح إبراهيم بيت شعري قديم لتدعيم ما أتى به صاحبه من العبارة من المطلوب عند علماء اللغة. وهناك أبيات شعرية أخرى توافق هذا الرأي وتساند ذلك الاستعمال (استعمال حرف "في" مع الأمس أو اليوم) سوى ما أفادنا به نوح إبراهيم وهو بيت امرئ قيس الذي يقول:

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب * * ولا في غد إذ كان ما كان مشرب.^{١١٦}

وفي هذا البيت ما يروي الغلة ويشفي العلة وقطعت به جهيزة قول كل خطيب ولم لا؟ وصاحبه عاش في عصر كان العرب ينطقون بسليقتهم من دون قاعدة ترشدهم وشرع يقيدهم ووضعت بعدهم العلوم اللغوية تقتدي بآثارهم وتستنبط من تراثهم ولذلك ترى الأوائل من العلماء يبحثون عن قصائد هؤلاء ليأخذوا منها الأحكام وليمثلوا بأسلوبهم عند تركيب العبارات ولم يكن نوح إبراهيم بدعا من هذا، فذلكم سعيد بن مسعدة الشهير بالأخفش من رؤساء النحو البصري والكوفي معا احتج بعجز بيت شعري لامرئ قيس في عطفية حرف الفاء مع مخالفة بعض النحاة له في ذلك قال ابن فارس:

"وكان الأخفش يقول: "الفاء تأتي بمعنى الواو: وأنشد: بسقط اللوى بين الدخول فحومل".^{١١٧}

والأمثلة التي تدل على أن حرف "في" يستساغ استعماله مع "الأمس" أو "اليوم" في العربية الصحيحة كثيرة في كتب علماء اللغة وفي عبارات النحويين، يذكر الباحث اثنين منهم على سبيل المثال إضافة إلى ما قد سبق من البيان والاستشهاد:

١ - أستاذ النحو العربي سيبويه في كتابه:

فمناقب سيبويه النحوية والعلمية غنية عن التعريف والبيان، ناهيك ما أطلقه العلماء السابقون على كتابه من الألقاب الفخرية حتى عنونوه بقرآن النحو. وتراه

في كتابه الشهير استعمل حرف "في" مع اليوم عند الحديث عن كيفية وقوع
الأسماء ظرفا وإليك نصه:

"... متى سير .." ويكون أيضا على أنه يكون السير في اليوم كله لأنك قد تقول:

سير عليه في اليوم ويسار عليه في يوم الجمعة...^{١١٨}.

٢- ابن عقيل صاحب شرح الألفية المشهورة: ولقد أتى ابن عقيل بأمثلة كثيرة ليوضح

المراد ببيت شعري لابن مالك في ألفيته عند الحديث عن حروف الجر التي يعتبر

حرف "في" إحداها وقال: "فإن كان الزمان حاضرا كانت بمعنى "في" نحو ما

رأيته منذ يومنا أي في يومنا...^{١١٩}.

فهذه هي الدراسة النقدية حول هذه المسألة الخلافية النحوية بين سعيدا الرفاعي

الإبداني وبين نوح إبراهيم الإلوري أورد حجة كل فريق وآرائه بدون الحكم لأحد أو

عليه. وسيرد في الصباح ليله لمن قرأ وفهم أو تدبر وأمعن النظر، وعلى الله قصد السبيل وإليه

مثنأب.

هوامش الباب الرابع

- ١- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، مراجعة وتقديم محي الدين ديب مستو، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، الناشر: دار الكلم الطيب بيروت، ج٢، ص: ٩٠.
- ٢- خالد بن عبد الله الأزهري الوقاد الجرجاوي، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، الناشر: الرسالة-بيروت، ص: ٣٣.
- ٣- فاطمة الزهراء ردوزي، أقسام الجملة في اللغة العربية دراسة البنينة والدلالة في سورة مُجَّد، بحث غير منشور قدّمته صاحبتة إلى كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مُجَّد بوضياف-المسيلة-الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، للحصول على شهادة الماجستير، سنة ٢٠١٧م، ص: ١٦.
- ٤- أحمد بن مُجَّد شهاب الدين الأندلسي، الحدود في علم النحو، تحقيق نجاة حسن عبد الله نولي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢-السنة ٢٠٠١م، ص: ٤٧٥.
- ٥- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ص: ٧٠-٧٤.
- ٦- عبد الرحمن مُجَّد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، الطبعة غير مذكورة، الناشر: مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع-كويت، ص: ٣٥.
- ٧- علي نائي سويد، صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة توجيه، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، الناشر: دار الأمة-لوكالة المطبوعات، كانو-نيجيريا، ص: ٥٢-٥٤.
- ٨- علي نائي سويد، المرجع نفسه، ص: ٥٦.
- ٩- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، الطبعة الثانية بدون التاريخ، الناشر غير مذكور، ص: ٥٩-٦١.
- ١٠- علي نائي سويد، المرجع السابق، ص: ٥٨.
- ١١- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، المجلد الثاني، ص: ٢٨٦.

- ١٢- أحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، الطبعة غير مذكورة، الناشر: المكتبة العصرية-بيروت، ص:٦٧.
- ١٣- علي نائي سويد، **المرجع السابق**، ص:٧٢-٧٣.
- ١٤- سعيد بن مسعدة أبو الحسن البلخي الأخفش الأوسط، **معاني القرآن للأخفش**، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى: ١٩٩٠م، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، المجلد الثاني، ص:٤٤٧.
- ١٥- محي السنة أبو مُجَّد الحسين بن مُجَّد بن الفراء الشافعي البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن-تفسير البغوي**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، المجلد الثالث، ص:٢٨٣.
- ١٦- مهدي المخزومي، **في النحو العربي قواعد وتطبيق**، الطبعة الأولى: القاهرة ١٩٦٦م، الناشر: مكتبة القاهرة، ص:٨٤.
- ١٧- اسمه مُجَّد فتحا بن عبد الواحد بن الحسن النظيفي، أصله من بني الثرى ولد بقرية تبكن ١٢٧٠هـ، وعاش في مراكش بني فيها زاوية كبيرة الحجم يراودها النساك من كل صوب، له مؤلفات كثيرة في شتى المجالات وخاصة في التصوف، والمدح، واللغة، وغيرها، أشهرها: "الدرة الخريذة على شرح الياقوتة الفريذة" في جزئين، زبدة الخريذة على الياقوتة الفريذة، و"الطَّبَّ الفائح في الورد السائح في صلاة الفائح"، و"زبدة الإعراب في نظم قواعد الإعراب"، وغير هذه من الكتب، توفي-رحمه الله- سنة ١٣٦٦هـ عن عمر يناهز قرنا واحدا، وقبره في مراكش يزار. اقرأ له مقالة تلك المفكرة الإسلامية زينب أبو عقيل، نشرت في موقع الطريقة التجانية عام ٢٠٢٠/٠١/٠٨.
- ١٨- مُجَّد بن عبد الواحد النظيفي، **الطيب الفائح والورد السائح في صلاة الفائح**، الناشر: مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، ص:٣٨.
- ١٩- مُجَّد فتحا السوسي النظيفي، **الدرة الخريذة شرح الياقوتة الفريذة**، الطبعة الأخيرة: ١٩٨٤م، الناشر: دار الفكر، الجزء الرابع، ص:٦٣.
- ٢٠- عبد الله العقيلي المصري ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: مُجَّد محي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون: ١٩٨٠م، الناشر: دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، المجلد الثالث، ص:١٧٥.
- ٢١- عبد الله العقيلي المصري ابن عقيل، **المرجع نفسه**، والصفحة نفسها.

- ٢٢- علي نائبي سويد، تعليق لغوي على كلمة الأسمم الواردة في الصلاة المعروفة بجوهرة الكمال، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، الناشر: زاوية أهل الفيضة التجانية كانو-نيجيريا، ص: ١٣.
- ٢٣- علي نائبي سويد، المرجع نفسه، ص: ٢١-٢٦.
- ٢٤- أورد الإمام السيوطي قولي ابن فارس والخليل في مزهره، انظر في: ج ٢/٣٥٥.
- ٢٥- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص: ٣٥٥-٣٥٦.
- ٢٦- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة: ١٩٨٨م، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ص: ٢٥.
- ٢٧- محمد بن عبد الله الطائي الجبائي ابن مالك، إيجاز التعريف في علم التصريف، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، ص: ٩٨.
- ٢٨- أبو الفتح عثمان الموصلي ابن جنبي، سر صناعة الإعراب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م، ج ١، ص: ٢١١-٢١٥.
- ٢٩- محمد محي الدين عبد الحميد، دروس التصريف القسم الأول في المقدمات وتصريف الأفعال، عدد الطبعة غير مذكور، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ص: ٤٩.
- ٣٠- علي نائبي سويد، المرجع السابق، ص: ٢٥-٢٦.
- ٣١- عبد الرحمن أحمد الإمام (الدكتور)، عن صحيح البخاري، الطبعة الأولى: ٢٠١٧م، الناشر: دار إيمائيس للطباعة والنشر والترجمة، ص: ٢.
- ٣٢- أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، ج ١، ص: ١٨١.
- ٣٣- أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني ابن حجر، تهذيب التهذيب، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٢٦هـ، ج ٧، ص: ٢٤٢-٢٤٣.
- ٣٤- صلاح الدين بن كيكليدي الدمشقي العلائي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تحقيق: حسن موسى الشاعر، الطبعة الأولى: ١٨٦٠م، الناشر: دار البشير-عمان، ص: ٥٨-٥٩.
- ٣٥- عبد الرحمن أحمد الإمام، المرجع السابق، ص: ٢.

- ٣٦- عبد الله بن العقيلي المصري ابن عقيل، المرجع السابق، ج ٣، ص: ٢٢٦.
- ٣٧- أبو الليث نصر بن مُجَّد السمرقندي، بحر العلوم، الطبعة والناشر غير مذكورين، ج ٢، ص: ٤٨٠.
- ٣٨- شمس الدين مُجَّد بن أحمد الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)-القاهرة: ١٢٨٥هـ، الطبعة غير مذكورة، ج ٢، ص: ٥٧٩.
- ٣٩- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، ج ٣، ص: ٢٦٢.
- ٤٠- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، المرجع السابق، ج ٢، ص: ٤٦٩.
- ٤١- فاضل فتحي والي، النحو الوظيفي، الطبعة الثانية ١٩٩٧م، الناشر: دار الاندلس للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية، ص ٨٩.
- ٤٢- عبد الرحمن أحمد الإمام، الخطيب الشربيني، وجهوده النحوية التوفيقية، الناشر: دار الأمة لوكالة المبيعات، كانوا نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م.
- ٤٣- عبد الرحمن أحمد الإمام، (المرجع السابق نفسه) ج ١، ص ٩٧.
- ٤٤- أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ١١ ج، ص ٢١٦.
- ٤٥- محمود بن الحسن بن الحسين النيسابوري، إيجاد البيان عن معاني القرآن، تحقيق الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الطابعة الأولى: ١٤١٠هـ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ج ٢، ص ٥٥١.
- ٤٦- أبو مُجَّد الحين بن سعود الشافعي البغوي محي السنة، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ الناشر: ك دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٣، ص ٢٦٦.
- ٤٧- جمال الدين أبو الفرج الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ج ٣، ص ١٦٤.
- ٤٨- إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ج ٣، ص ٣٦١.

- ٤٩- عبد الرحمن أحمد الإمام، (المرجع السابق) ج ١، ص ٩٧.
- ٥٠- عبد الرحمن أحمد الإمام، (المرجع السابق) ج ١، ص ٩٧.
- ٥١- عبد الرحمن أحمد الإمام، (المرجع السابق) ج ١، ص ١٠٥.
- ٥٢- أحمد الملاوي، **شذا العرف في فن الصرف**، الناشر: دار الأقبص بالقاهرة . الطبعة غير سنكور، ص: ٨٠.
- ٥٣- كان هذان الرجلان من شباب علماء إلورن المجتهدين درس الأول في مدرسة مصباح الدين الإسلامي، غاما وفي كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن، ثم جامعة إلورن في مرحلة الليسانس متخصصا في الأدب العربي، وله من المؤلفات: "الوصف بين امرئ قيس والمتنبى دراسة مقارنة"، و"المنهج التقعيدي في الدرس البلاغي"، و"التدمير الأقطع" وغير هذه من الكتب اللغوية الأدبية، وهو الآن مدرس الأدب والنقد في مركز النهضة العربية والإسلامية الوجي، إلورن. وأما الثاني فهو من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن آدم يحيى الفلاني حيث درس بدار الهجرة-كنو قبل التحاقه بمركز الشيخ الإلوري بأغيغي، فجامعة الحكمة، إلورن، ثم حضر الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة ولاية كوارا، مليتي.
- ٥٤- نافع أحمد الجوهرى، **صواعق الرحمن على السحرة الكهان**، تقديم ومراجعة الدكتور/ عبد الرحمان أحمد الإمام، الناشر: حركة الدعوة الإسلامية، جامع مدينة إلورن-نيجيريا، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ، ص: ٨.
- ٥٥- عبد الحكيم أحمد المنفلوطي، **التدمير الأقطع على نافع الأقطع**، الناشر: مركز النهضة العربية والإسلامية الوجي-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م، ص: ١٩.
- ٥٦- مُجَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، الناشر: شركة القدس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م، باب الباء فصل الهمزة، ص: ٥٣.
- ٥٧- مكتب الدراسات والبحوث بمشاركة: أدبية فرح: لغة إنكليزية، رياض كريم: لغة إنكليزية، مُجَّد سعيد: لغة عربية، سليم إدوار: مراجعة، قاموس عام لغوي-علمي، المزدوج، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة: ٢٠١١م، ص: ٧.
- ٥٨- نافع أحمد الجوهرى، (المرجع السابق)، ص ٩.
- ٥٩- عبد الحكيم أحمد المنفلوطي، (المرجع السابق)، ص: ٢٠.

- ٦٠- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة غير مذكورة، ص: ١١٦٦.
- ٦١- محي الدين يحيى بن شرف النووي أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ، المجلد الثالث، ص: ٩٤.
- ٦٢- عبد الحكيم أحمد المنفلوطي، المرجع السابق، ص: ٢٤.
- ٦٣- مصطفى أحمد النماس، بحث في صيغة أفعال بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة غير مذكورة، ص: ٢٣٩.
- ٦٤- موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور الجواليقي، ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد، تحقيق ماجد الذهبي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة غير مذكورة، ص: ٧٣.
- ٦٥- يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي المؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعدم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العصرية-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣، المجلد الثاني، ص: ٧٧.
- ٦٦- أبوبكر علي عبد العليم، مكتبة الأسرة في النحو، الناشر: مكتبة الساعي للنشر والتوزيع-باليضاء، الطبعة الجديدة: ٢٠١٤م، ص: ١٩١.
- ٦٧- محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم ٢٠٠.
- ٦٨- عبد الواحد جمعة أربي، قذائف حاسمة في تفنيد ردود الأقلام، الناشر: غير مذكور، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م، ص: ١٣.
- ٦٩- هيئة التدريس بمركز السلام أوجوكورو، مقاطعة ألموشو، أغيني-لاغوس، نيجيريا، ردود الأقلام، الناشر، والطبعة غير مذكورين، ص: ١٧.
- ٧٠- عبد الواحد جمعة أربي، المرجع السابق، ص: ١٣.
- ٧١- هيئة التدريس بمركز السلام، المرجع السابق، ص: ١٨.
- ٧٢- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، إرشاد السارى لشرح صحيح البخاري، الناشر: الطبعة الكبرى الأميرية، - مصر، الطبعة السابعة: ١٣٢٣هـ المجلد التاسع: ٢- ١١٤.
- ٧٣- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة بدون التاريخ، المجلد الأول، ص: ٢٩٥.
- ٧٤- هيئة التدريس بمركز السلام، المرجع السابق، ص: ٢١.

- ٧٥- عليّ حسن العماري، التاريخ الأدبي للعصرين: العثماني والحديث، الناشر: الإدارة العامّة للمعاهد الأزهرية، القاهرة، طبع سنة ١٩٨١م، ص: ٢٢.
- ٧٦- عبد الواحد جمعة أربي، المرجع السابق، ص: ١٣-١٧.
- ٧٧- عبد الله العقيلي المصري ابن عقيل، المرجع السابق، ج ١، ص: ١٣٩.
- ٧٨- عبد الله العقيلي المصري ابن عقيل، المرجع نفسه، ج ١، ص: ١٤٤.
- ٧٩- مُجّد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي، ألفية ابن مالك، الناشر: دار التعاون، ص: ١٥.
- ٨٠- عبد الله العقيلي المصري ابن عقيل، المرجع نفسه، ج ١، ص: ١٣٨.
- ٨١- هما: عبد الفتّاح أحمد حنبلي يس الإلوري درس في مركز الشيخ صالح أبتا في إلورن، وتصدر للتدريس بعدما قد تخرج منه، وأسّس مركزا يقال له مركز النهضة العربية الإسلامية، إلورن يديره ويخطب في جامعه إلى أن وقته منية سنة: ٢٠١٣م رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وعبد الفتّاح سارومي إلوريا كزميله درس في دار العلوم لجبهة العلماء والأئمة إسالي كوتو-إلورن قبل التحاقه بالجامعة العالمية في السودان لمرحلة الليسانس ثم الجامعة الحكمة، إلورن للماجستير.
- ٨٢- عبد الفتّاح يس أحمد حنبلي، حلاوة التحقيق في كتاب "الصراع بين الباطل والحق"، الطبعة الأولى: ٢٠١١م، الناشر: مركز النهضة العربية والإسلامية، أولوجي، إلورن، ص: ٦.
- ٨٣- عبد الفتّاح يس أحمد حنبلي، المرجع نفسه، ص: ٧.
- ٨٤- عبد الفتّاح سارومي، نفحات التعليق على رسالة "حلاوة التحقيق" لعبد الفتّاح يس، الناشر: بإذن الله لخدمات الكمبيوتر باللغة العربية والإنجليزية أومادا-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م، ص: ٤-٧.
- ٨٥- أبو عبد الله مُجّد بن أحمد الأنصاري القرطي، الجامع لأحكام القرآن-تفسير القرطي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٦٤م، الجزء العاشر، ص: ٣١٤.
- ٨٦- أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة: "البيان، المعاني، البديع"، الناشر والطبعة غير مذكورين، ص: ١٠٠.
- ٨٧- عثمان عبد السلام أكنبي، المبسوط في دراسات علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع، الناشر: مركز الهدى للكمبيوتر-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠١٦م، ص: ٩٥.
- ٨٨- يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي المؤيد بالله، المرجع السابق، المجلد الثاني، ص: ٣٤.

- ٨٩- عبد الفتاح يس أحمد حنبلي، قراءة في جرائم عبد الرزاق عبد المجيد أيارو ونفاقه، الناشر: شركة المضيف للطباعة والنشر بوبو إبنى-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، ص: ١٣.
- ٩٠- عبد الفتاح سارومي، المرجع السابق، ص: ١٠.
- ٩١- مُجَّد بن عبد الله بن مالك، ألفية ابن مالك، المرجع السابق، ص: ٢٥.
- ٩٢- إبراهيم مصطفى، المرجع السابق، ص: ٦٠.
- ٩٣- محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، الناشر: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص-سورية، الطبعة الرابعة: ١٤١٥هـ، ج ٦، ص: ٢٨٢.
- ٩٤- مُجَّد بن إسماعيل الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسننه وأيامه-صحيح البخاري، تحقيق: مُجَّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُجَّد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، المجلد التاسع، ص: ١٢٦. روى الإمام مسلم هذا الحديث في باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما رقم ٦٣٢، ورواه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ...﴾ [المعارج: ٤].
- ٩٥- أبو مُجَّد محمود بن أحمد الحنفي بدر الدين العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة غير مذكورة، الجزء ٢٥، ص: ١١٨.
- ٩٦- عبد الفتاح يس أحمد حنبلي، قراءة في جرائم، المرجع السابق، ص: ٥٩.
- ٩٧- عبد الفتاح سارومي، المرجع السابق، ص: ١٢.
- ٩٨- عبد الرحمن بن مُجَّد أبو البركات كمال الدين الأنباري، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواء، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، مصر، الطبعة الثانية: ١٩٩٦م، ص: ١.
- ٩٩- عبد الفتاح يس أحمد حنبلي، حلاوة التحقيق، المرجع السابق، ص: ٣.
- ١٠٠- عبد الفتاح سارومي، المرجع السابق، ص: ١٥.
- ١٠١- دار الشرق، المنجد في اللغة والأعلام، الناشر: المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة والأربعون: ٢٠٠٨م، ص: ١٠٠.
- ١٠٢- مُجَّد بن يعقوب بن إبراهيم الفروزآبادي، المرجع السابق، ص: ٢٧١.

- ١٠٣- مُجَّد بن مكرم بن إبراهيم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ، المجلد الثالث، ص: ١٣٠.
- ١٠٤- أبو مُجَّد القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، الناشر: مطبعة المعارف-بيروت، الطبعة الأولى: ١٨٧٣هـ، ص: ٤٣.
- ١٠٥- آدم يحيى الفلاني، مع المؤرخين، الناشر: مطبعة الفلاني، عدد الطبعة وسنتها غير مذكورتين، ص: ٣٢.
- ١٠٦- أحمد سعيد الرفاعي، الألوري وزعلول إزاء السرقات والمغالطات، دراسات في اللغة والفكر ومناهج التحقيق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، الناشر: مطبعة القبلة، لاجوس، ص: ٧٧-٧٨.
- ١٠٧- أحمد سعيد الرفاعي، المرجع والصفحة نفسها.
- ١٠٨- نوح إبراهيم باز الله، الجاسوس دراسة نقدية في أقلام الرفاعي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م الناشر: مكتبة الأبرار للطباعة والنشر، ص: ٤٥-٤٦.
- ١٠٩- مُجَّد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة-القاهرة، عدد الطبعة وسنتها غير مذكورتين، ج ٢، ص: ٣٤٩.
- ١١٠- مُجَّد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد مُجَّد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، ج ١٥، ص: ٥٦.
- ١١١- أحمد بن مُجَّد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الامام أبي مُجَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ج ٥، ص ١٢٨.
- ١١٢- أبو الحسن علي بن مُجَّد حبيب البصري-تفسير الماوردي- الماوردي، النكت والعيون، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان عدد الطبعة وسنتها غير مذكورتين، ج ٢، ص ٤٣١.
- ١١٣- ابن فارس أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الناشر: مُجَّد علي بن بيضون، ص ٢٤.
- ١١٤- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-ج ١، ص: ٥٢.

- ١١٥- عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع العثماني الإشبيلي، تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، تحقيق علي بن سلطان الحكي، الطبعة الأعداد ٨٥-١٠٠٠، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ج١، ص٣٦٠، ١٧٠.
- ١١٦- أبو عمر الشيباني، شرح المعلقات التسعة، تحقيق وشرح عبد المجيد همو، الطبعة الأولى: ٢٠٠١، الناشر: مؤسسة الأعلمي للطباعة - بيروت لبنان، ص ١٧٥.
- ١١٧- سعيد بن مسعدة أبو الحسن البلخي الأخفش الأوسط، معاني القرآن للأخفش، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى: ١٩٩٠م، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، المجلد الثاني، ص: ٤٤٧.
- ١١٨- عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة ١٩٨٨هـ، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، ج١، ص ٢١٦.
- ١١٩- ابن عقيل، المرجع السابق، ج٢، ص ٣٠٠.

الباب الخامس :

حصيلة المآخذ النحوية واللغوية في المجتمع النيجيري بين الواقع والاحتمال

الفصل الأول : هل أضافوا إلى النحو العربي جديدا؟

كررنا سابقا في غير باب واحد بأن معظم أسباب هذه الاختلافات ظهرت نتيجة التنازع في الأمور الدينية التي أدت بهم إلى تأليف الكتب وكتابة المقالات وإقامة الندوات والمؤتمرات وإلقاء المحاضرات ونشر الفيديوهات وإرسال الأصوات المرئية والسمعية، وكثرت إثر ذلك المآخذ اللغوية في كتبهم وتعاييرهم وكيف يضيف-من كانت همته هكذا-شيئا جديدا إلى علم ثبتت أركانه وتم بذره وكمل نشره منذ زمان قبل إقبال علماء إفريقيا برمتها على درسه وعلماء نيجيريا خصوصا على فهمه وتعليمه فضلا عن التأليف فيه، هذه من ناحية؛ ومن ناحية أخرى، إذا أردنا تركيز الحديث على ما أضافه علماء نيجيريا من الجدد إلى النحو العربي كما في عنوان هذا الفصل فلا بدّ من الالتفات إلى نقاط تتمحور في تقسيم علماء نيجيريا إلى ثلاثة أصناف حتى نصف ونعدل بينهم على اختلاف مستوياتهم وعصورهم وبيئتهم ولكي لا نهمل جهود بعضهم ونكون من الظالمين وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من ذلك في غير موضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى: (إن الله لا يحب الظالمين).

وغير ذلك من الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، فالجمع بين جهود هؤلاء العلماء النيجيريين ومؤلفاتهم وحركاتهم النحوية سلفا وخلفا في الثناء والتوبيخ-مع اختلاف جودة هذه المؤلفات شكلا ومضمونا- مما لا يقبله عرف ولا شرع ولم لا؟ فهذا أَلْف كتابه لنفع العباد وتنوير البلاد وإفادة أبناء الجلدات من تقريب العباد وتفصيل الجماد وتسهيل الصعاب، ونشر ذلك تأليفه لإشعار نار الفتن في البلاد وليفرق شمل العباد وتنتج من ذلك العداوة والبغضاء مما قد نمانا الإسلام عنها وينطبق عليه تلك القاعدة الشائعة بـ"خالف تعرف" ويدرب نفسه على الشتم واللعنة والقذف والقتال لعدم التزام ما يلزمه والتمسك بما يهمه والاشتغال بما يعنيه ومع هذا وذاك يحسب الكتابان في صفوف المؤلفات النحوية النيجيرية ويحشر كلاهما في زمرة الانتاجات النيجيرية

الصرفية أو يعد في صفوف التراث اللغوي النيجيري والأمر بخلاف ذلك وكلا ثم ألف كلا، وعلى هذا يجب على البحث الرجوع إلى الأصناف الثلاثة المذكورة.

الصنف الأول: الذين أضافوا أشياء إلى النحو العربي في نيجيريا من العلماء السابقين وبعض اللاحقين من الذين سبق ذكرهم ونتاجاتهم العلمية واللغوية، فليعلم القارئ المنصف أولاً في هذا الصدد أننا لا نقصد بهذه الإضافة في حديثنا إضافة الأبواب والأحكام أو مدرسة جديدة إلى المدارس النحوية المعروفة أو زيادة آراء حديثة على الآراء اللغوية القديمة فكيف السبيل إلى ذلك؟ وقد اكتملت العناصر النحوية وانتشرت مدارسه قبل إقبال علمائنا على درسها والتأليف فيها وليسوا من أعضاء تأسيسه.

ولكن أملنا بذلك هو ما قدموه للنحو العربي من جهود تتمثل في نشره وتبنيه إلى قلوب أبنائهم وتلاميذهم واهتمامهم بإصدار المؤلفات ونشر المقالات وإنشاء الحلقات وتأليف المجلدات بعد ما قد درسوه وفهموه وأتقنوه وبلغوا مرحلة العرب الأقحاء في هذا العلم من حفظ الأحكام والاعتناء بالآراء وتطبيق القواعد ووضع الكتب وشرح الغموض ونظم الأراجيز وتحويل كتاب غيرهم من المنثور إلى المنظوم وكذا العكس مع مراعات الأمانة العلمية في ذلك بدون انتساب جهود غيرهم إلى أنفسهم أو انتحال أسماء مؤلفات العرب ومضامينها، ولا يشتغلون فرصة مستوى الثقافة في البلاد آنذاك للاختلاس أو ما يسمونه اليوم بالسرقة العلمية بل ينسبون الأقوال إلى أصحابها ولا يدعون أفكار غيرهم، ولا يعتبر هذا عيباً عليهم ولا يعدّ فضيحة لهم بمجرد أنهم لم يكتشفوا قاعدة نحوية جديدة ولم ينشئوا مدرسة نحوية نيجيرية حديثة على غرار ما نشاهده من جهود المدرسة البصرية والكوفية والبغدادية والمصرية والأندلسية والشامية أو المغربية أو كما نسمع عن آراء الخليل النحوية أو يونس ابن حبيب اللغوية أو سيبويه والكسائي والاختش وثلعب وابن درستويه وولاد وابنه والمبرد وتأليفه، بل معظمهم ينقلون الآراء ويجمعون الأشتات يوازنون بين المذاهب ومع ذلك خلد ذكرهم وعظم تراثهم ونشرت كتبهم وكتبت أسمائهم بماء الذهب في صفحات الصدور.

فهذا الإمام السيوطي المشهور يتهمه بعض الباحثين بأنه ناقل وليس بخاطر ومقتد وليس بمبدع ولم ينقص ذلك من شرفه شيئاً ولم يحطّ من قدره سبة ولولا قيامه بهذه المنقولات لما نعرف أسماء معظم المؤلفات الممقوتة وكذلك غيره من العلماء، وإن لم تؤمن بهذا فبقارن بين عدد أسماء المؤلفات وبين عدد الأفكار والآراء العلمية ستري أن الثانية أقل من الأولى ففي هذه دلالة واضحة أن أكثر المؤلفين ينقلون أفكار غيرهم وآراء سابقهم أو معاصريهم وينشرونها في كتبهم ومؤلفاتهم كما كان شأن علمائنا السابقين وبعض اللاحقين في نيجيريا، وقد قدمنا ما فيه الكفاية من ذكر أسماء الكتب النحوية والصرفية مع عزو كل إلى أبي عذره في السابق من الأبواب لذلك لا نرجع إليها مرة ثانية في هذا الباب لئلا يحدث من ذلك تكرار، ومهما يكن من شيء فإن الذي لا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة هو أن لعلماء نيجيريا مؤلفات نحوية وصرفية ضخمة مثلما لأقرانهم من العرب وغيرهم ابتداء من قبيل تأسيس الدولة العثمانية بصوكوتو إلى يومنا هذا، فرحم الله علماءنا الماضين من نيجيريا وأطال أعمار الأحياء منهم مع كثرة الخيرات والبركات.

الصنف الثاني: علماء نيجيريون لهم جهود نحوية ينافسون بها العرب ويناقشونهم في الآراء النحوية ويخالفونهم في بعض مواقفهم اللغوية ونتجت إثر هذه الاختلافات المواقف النيجيرية الجديدة في بعض القضايا النحوية لأن ما ذهبوا إليها وما اقترحوها هم أول من قال بذلك- في علم الباحث - حيث لم يسبقهم إلى ذلك أحد لا في العرب ولا في العجم وكلّ من أدلى دلوه في الموضوع بعدهم تبع لهم مثال ذلك جهود البروفيسور قاسم بدماصي إذ هو أول من نشر كتاباً عن الاستصحاب في العالم العربي، وكذا ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور علي نائبي سويد في نقاشه مع أهل العراق في مسألة الجملة الاسمية والفعلية واقتراحه على العرب النحويين جميعاً بأن تقسيم الجمل العربية إلى هاتين المسألتين يجب فيه نظر وقد شرحنا موقفه في ذلك في الباب الرابع، ومثل هذا الاقتراح- في علم الباحث المتواضع- هو أول من دعى إليه لأن المؤلف لدى العرب أن الجمل العربية إن لم تكن اسمية فتكون فعلية.

ثم بعد هذا الأستاذ أيضاً أستاذ نحوي آخر اسمه عبد الرحمن أحمد الإمام المشهور بالكاكوري له مواقف نحوية خاصة منها: كتابة "وكتبه فلان" مع إثبات الواو في آخر كلّ مقالة

أو كتاب أو تاليف وهذا الأسلوب هو المشهور والمألوف من لدن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وجاء هذا الأستاذ أخيراً وفضل "كتبه" بدون الواو على "وكتبه" بالواو وعقب قوله بيانات وتأويلات وحجج أوردناها في الباب الرابع أيضاً يزعم فيها أنها تظهر موقفه وتجعله فوق موقف الجمهور من النحويين واللغويين فهذه جرأة محبوبة لإبداء مستواهم العلمي وفهمهم اللغوي والنحوي معاً، ومكنتهم ذلك من مناظرة علماء اللغة والنحو السابقين وإبداء الرأي الجديد سواء كان هذا الرأي مقبول قوم أو مردود قوم آخر، ووافقه شعب أو عارضه شعب آخر، فصحيح جماعة ضعيف جماعة أخرى لأن طعام الزيد قد يكون سؤماً لعمرو، ونستنبط من ذلك عدم إغلاق باب الاجتهاد في كل علم من العلوم، وأحسن الله إلى الشيخ عبد الخالق حيث يرى أن من زعم انقراض الجيل المجتهدين فقد زعم تعطيل باب من أبواب الإسلام وقال: "... وبذلك عطلوا باباً من أعظم أبواب الإسلام وهو باب الاجتهاد التطبيقي ووقفوا جامدين أمام مشكلات التطبيق وتغير الأحوال... إلى أن قال: "إن الفهم يتغير ويختلف باختلاف الأفراد والحالات والحق في ذلك كله واحد لا يتعد". ويشهد كتاب "الخطيب الشربيني وجهوده النحوية والصرفية" للأستاذ عبد الرحمن أحمد الإمام علي مواقف النحوي الأخرى وعلى تجرئه في إبداء الآراء اللغوية الجديدة وغيره من النحويين النيجيريين.

أما الصنف الثالث والأخير: فيندرج تحت ذلك شباب نيجيريون لهم مؤلفات علمية دينية كانت أم لغوية خالف فيها بعضهم بعضاً في بعض المواقف النحوية والتركيبات اللغوية، فحديث الباحث عن هؤلاء الشباب ليس بكثير لأن معظم هذه الاختلافات النحوية بينهم ظهرت نتيجة الحقد والضغينة والحسد وغير ذلك من الأخلاق المذمومة عرفاً وديناً ولم يضيفوا شيئاً إلى علم النحو العربي بل أكثر مؤلفاتهم - إن لم يكن كلها - تضييع للأوراق والأوقات، وإلا! فأى عيب يتلى لمن أتى بتركيبه على القاعدة الكوفية؟ أو أي فائدة تسجل لمن خطأ غيره في قاعدة نحوية جاز فيه الوجهان وتمسك هذا بالوجه الأول واحتكم ذلك إلى الوجه الثاني فضلاً عن الذي يحكم بقاعدة رأسه لا بقاعدة علماء النحو واللغة، ورحم الله عباسنا العقاد حين قال: "إن الكلمة

الواحدة تختلف معانيها باختلاف قائلها... إلى أن قال: انظر إلى ما قيل لا إلى من قال، قاعدة لا صح إطلاقها في كل حال".^٢

ففي هذا البيان العقادي إشارة إلى أن الإنسان لا يعقل له أن يصدر الحكم على قول غيره تعظيمًا أو تحقيرًا إلا بعد دراسة نفسيات القائل ومراده وإلى أين يهدف مع سبب ذلك القول وحجته عليه، وهذه التساؤلات مفقودة في معظم الاختلافات النحوية في مؤلفات شباب هذا العصر في بيئتنا النيجيرية وقد سجلنا هذه الحقائق عند دراستنا لاختلافاتهم في الباب الرابع وانتقدنا حجج وبراهين كل منهم مع عزو الحق إلى من أحق به منهم نسأل الله العافية والسلامة.

الفصل الثاني: أثر هذه الاختلافات في تعليم النحو العربي في نيجيريا

أريد-فقط- في هذا الفصل إثبات بعض الفوائد التي ظهرت إثر هذه المآخذ النحوية في درس النحوي في بيئتنا (نيجيريا)، ولا يخفى على كل من له بصيرة ما للاختلافات النحوية من يد طولى في تطور النحو العربي في العالم العربي خاصة وفي العالم الإسلامي عامة، واستطاع بذلك جميع العلماء وطلبة العلم التصرف في الأفكار النحوية المتعددة والأخذ بالآراء اللغوية المحبوبة لديهم ولم يكونوا مجبورين على التمسك برأي دون آخر وكثرت المدارس النحوية وتعددت الكتب المؤلفة وانتشرت الآراء المختلفة ونبعت الأقوال المتنوعة وامتألت المؤلفات النحوية بـ"قال فلان أو أجازة علان وكرهه سبحانه ونسمع منهم أباحت قبيلة كذا استعمال كذا أو رفضت مدينة تلك الإفصاح بذاك.

وأما في نيجيريا فتختلف الحال لأن الاختلافات النحوية عندنا لم ترم إلى ما ترمى إليها عند هؤلاء ولم تفد النحو العربي بما أفادته عندهم، بل ساعد-فقط-طلبة العلم وأساتيدهم على التشمير عن ساعد الجد في الأخذ والعطاء وكلّ ينصح تلاميذه بتنقيح المكتوبات قبل إصدارها وبكثرة المطالعة وطول القراءة وملازمة الكتب النحوية ونفخ الغبار عن المراجع والمصادر العلمية الأصلية التي طالما علّقوها وزينوا بها مكتباتهم لوجود من يردّ عليهم رأيهم السقيم وفكرتهم الضئيلة وتعابيرهم السخيفة ويأبى قبول حججهم الواهية ويبحثون في أمهات الكتب عن أنواع الحجج القوية والبراهين الساطعة لتدعيم مواقفهم من قبل أن يأتي يوم حساب النقاد ويكشف عن ساق

مؤلفاتهم وتعابيرهم ويدعى إلى سجود الكتاب لبرهان دعواهم فلا يستطيعون، وبدأت أساتيد النحو العربي في المدارس العربية والإسلامية في نيجيريا يتوسعون في القراءة بدون الركون على حجة مدرسة نحوية دون غيرها وازدحمت الفصول النحوية يجلس التلاميذ للاستماع إلى الدرس النحوي وأقبل عليه الطلاب أكثر مما كانوا من قبل وظفرنا من ذلك بظروف لها جانبان أو جناحان هما:

الجانب الإيجابي والجانب السلبي

والجانب الإيجابي ساعد أصحاب المقالات الأدبية والكتب العلمية-حتى الذين هم بمثابة لسان قومهم في الدعوة والتربية يتكلمون أمام الجمهور بصفتهم دعاة وعاظ-كل من هؤلاء وغيرهم يدرّبون أنفسهم على علم وهدى بما يقولون وينقحون مكتوباتهم تنقيحا عميقا قبل إخراجها للقراء ويلازمون القراءة والبحث مع الإطلاع على أمهات المصادر العربية والإسلامية القديمة والحديثة على اختلاف آراء مؤلفيها وعصورهم ومذاهبهم بالجدية قبل الوقوف أمام القوم متحدثا أو متكلما. علما منهم بأن هناك رجالا بالمرصاد يتفقدون عن من يخطئ في القراءة والاستدلال ويشيعون أخطائه أو يتفحصون عمن يسيء في الاستعمال العربي أو في التراكيب اللغوية والتعبيرية فيشيرون إلى أماكن قصوره ويردّونه إلى صوابه مستهزئين به علنا ومتسايرين بفضائحه بين الركبان ومشتغلين بعيوبه في التأويب والإدلاج قصدا للنيل من شرفه مهما علا كعبه وكثر علمه وسما مكانه في المجتمع.

وهم أميل إلى تحقيره من تصحيحه وإلى شتمه من تقويمه لما أملى عليهم شيطانهم أنهم بهذه الأعمال الشنيعة وبتلك التصرفات الفظيعة سيعلون عليه شرفا وسينقلب الرأس ذنبا ويحلّون مكان كرامته في المجتمع، ناسين أنهم لن يهدموا شهرة قوم لبناء شهرتهم ومتجاهلين بأن انفلات الجاه من شعب لا يساعد شعبا آخر على الفوز به والجلوس على عرشه أو الاتكاء على كرسیه.

وهذه الردود مع كثرة انتشارها تحمل كلا على أن يتخلق بأخلاق زهير بن أبي سلمى حيث ينقح أشعاره حولا كاملا ويصحح أخطائه بنفسه قبل أن يبصّر بها ويجلس مع قصائده لمدة سنة قبل إخراجها للناس وسميت لذلك حوليات زهير. وبدأ الناس يبحثون عن أخطائهم بأنفسهم ويقومونها قبل نشر نتاجاتهم العلمية وفازت معظم التراث العلمي بالجودة وتنتجت إثر ذلك

المسابقة العلمية والفكرية في المؤلفات اللغوية وغيرها وارتفعت مكانة العربية الفصحى في مجتمعنا أكثر مما كانت عليه من ذي قبل ووصل أكثر طلبة العلم إلى مرتبة البحث الحقيقي واشتغلوا بالقراءة الجهنمية الحارة وامتثلت المجموعات الواسية بالحوار العلمي واكتظت المساجد بالحلقات الدينية والأدبية.

وأما الجانب السلبي فيبدو في خوف فريق من العلماء وعشاق اللغة العربية من إصدار الكتب أو نشر المقالات والمؤلفات بحجة أن هؤلاء الشياطين يقفون لهم ببندقيات الأقوال ودبابات الفيديوهات ويرمون إليهم الشتائم إذا لمسوا خطأ-ولو يسيرا-في كتبهم أو تفرسوا زينا في مقالهم وبدأ هؤلاء الجماعة يطأطئون رؤوسهم في أوساط العلم ولا يرفعون أيديهم بين يدي القوم وقلت المكتوبات من ناحية هؤلاء واطفأت نار الحركة العلمية من جوانبهم متعامين عن تلکم المقولة المشهورة: "من خاف السكوت لم يقم أبدا" ولو علم هؤلاء ما للجهود العلمية والحركات الأدبية من فوائد وجزاء وإبقاء الأثر لما يرفعوا أقلامهم عن الكتابة أو يمسكوا أدواتهم عن التسجيل أو جفت صحائفهم من الفوائد العلمية بحجة الخوف من الوقوع في الخطا فالقصور من صفات جميع البشرية وجل شأن من تفرد بالكمال والعظمة وقد روي الأثر أن الإمام الكسائي قال: "صليت بهاون الرشيد فأعجبني قراءتي فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط أردت أن أقول: "لعلهم يرجعون" فقلت: "لعلهم يرجعين" قال فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لي أخطأت ولما سلمت قال لي يا كسائي أي لغة هذه؟ قلت يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد فقال أما هذا فنعم"^٣. فانظر إلى الكسائي مع كثرة علمه وغزارة فهمه دينا ولغة ناهيك في قدره ما سجله المؤرخون من كون صفاته قارئا ونحويا لغويا ثم ما قاله الإمام الشافعي-رحمه الله تعالى- في حقه: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي"^٤.

ومع هذا وذاك أخطأ في قراءة آية ظهرت كتابتها وتم شكلها ونقطها فانظر أيضا إلى أدب الخليفة هارون الرشيد في رد الكسائي إلى الصواب لذلك قال الإمام الذهبي معلقا على هذه الحادثة: "إن العالم مهما علا كعبه وبرز في العلم إلا أنه لا يسلم من أخطاء وزلات لا تقدر في علمه ولا تحط من قدره ولا تنقص من منزلته".

هذا فنصيحة الباحث إلى هؤلاء الفريق من الناس الذين عطلوا مواهبهم وتعطلت من ذلك أذهانهم وعقولهم من إصدار الانتاجات العلمية وانطبقت عليهم تلك الجوانب السلبية المشار إليها، وتلك النصيحة هي ما نصح بها العلامة الإلوري-رحمه الله تعالى-تلاميذه وشباب شعبه بل وطلبة العلم جميعا حيث قال: "ونصيحتي إلى الشباب أن يجدوا ويجهدوا في الكتابة لا يبالوا بالخطأ ولا يكثرثوا بالمادح والقادح كما فعلت أنا حتى ظهرت بالكتابة".^٥

ويقول الباحث أيضا لنقاد بيتنا: اعلموا أن الخطأ لاصق بالإنسانية-إن صح الاشتقاق- أو أقول: لا معصوم من الخطأ ما دمت إنسانا، فاتصاف سيد البشر بالعصمة لا يعني أنه لا يخطئ ولكن الله تبارك وتعالى زينّه بالوحي وأكرمه بنزول جبريل حيث إذا صدر منه خطأ يرسل إليه أستاذه جبريل ليصوبه في الحال وهكذا عاش طوال ما يربو على ستين سنة وإلا فما موقع آيات العتاب التسجيلي في القرآن الكريم منها: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١] و﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرَضَاتٍ أَرْوَاكِ...﴾ [سورة التحريم: ١]. وفي سورة الأحزاب أيضا: ﴿...وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ وغير هذه من الآيات التي تشير إلى أماكن قصوره أمام رب العباد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الثالث: التقويم اللغوي والتعبيري في مؤلفات علماء نيجيريا

ظفرت نيجيريا بوجود العديد من سدنة اللغة العربية وحماة الثقافة الإسلامية وعباقره العلوم والمعارف منذ ستة قرون مضت-تقريبا- إلى يوم الناس هذا، ولم يزل العدد يتكاثر والانتاجات تتعدد والمؤلفات تتضاحم والتراث تتزايد منذ ذلك وصارت العلوم العربية والدراسات الإسلامية ما يتوارثها أبناء نيجيريا فيما بينهم سلفا وخلفا كابرا عن كابر وأثروا المكتبات العربية العلمية بمؤلفات قيمة وبحوث زاخرة ومقالات مفلقة ونشرات مفيدة مما لو اطلع عليها العرب الأقياء لما يسعهم سوى أن يطأطئوا رؤوسهم إعجابا للقرائح التي جادت بهذه النتاجات العلمية المتضاعفة مع بعد المكان واختلاف اللسان، ولنأخذ-على سبيل المثال-بعض المكتوبات العربية من السابقين واللاحقين النيجيريين ونقارن بينهما في وضع العبارات ونسج التراكيب واستعمال الكلمات

واختيار الألفاظ وقد نوازن بين المکتوبتين-أخيرا-وبين کتابات العرب أنفسهم لعرف هل تماثل العبارات العربية النيجيرية عبارات العرب العربية وهل توافقها في الفصاحة والترکیب أم لا؟ هذا ما سيرها القارئ ويحكم بينها بالحق إما مثبتا لدعوانا أم منفيها.

نص رسالة الشيخ مُحَمَّد الأمين الکانمي راسل بها العلماء الفلانیين وقال: "الحمد لله فاتح أبواب الهداية ومانح أسباب السعادة، والصلاة والسلام على من بعث بالحنفية السمحة وعلى آله وأصحابه الذين هدوا وأوضحوا شرعه، من المتعفر بتراب الذنوب المتدثر بجلباب العيوب العبد الذليل مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد الکانمي، إلى العلماء الفلانیين ورؤسائهم، السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فالباعث لرسم هذا المزبور إنه لما ساقنتي المقادير لهذا الإقليم وجدت نار الفتن بينكم وبين أهل الوطن موقودة، فسألت عن السبب فقيل بغي وقيل سنة. وتخيرنا في الأمر فكتبت لإخوانكم المجاورين لنا وثيقة طلبت منهم بيان السبب والدليل على الجواز، فأجابوني بجواب ركيك لا يصدر عن عاقل فضلا عن عالم وفضلا عن مجدد، وعدوا فيه أسماء كتب لنا اطلاع على بعضها ولكن لم نفهم منها ما فهموه. وبينما نحن في حيرة التردد هجم بعضهم على دار الإمارة ونزل المهاجرون لنا قريبا منا فكاتبتناهم ثانيا وناشدناهم الله والإسلام أن يكفوا عنا شرهم فامتنعوا وصالوا علينا فقمنا مدافعين عن أنفسنا متبرئين إلى الله من سوء صنيعهم حين ضاقت علينا الأرض ولم نجد مقاما ولا مجالا ووقع منا ما وقع، وحين وجدنا راحة وفشا هذا، والله أعلم بالمستقبل، رأينا المكاتبة وإن لم تنجح كانت أحسن من السكوت...".^٦

سامحي أيها القارئ-سامحنا الله جميعا-على إطالة هذا النص وكثرة سطورها، أوردتها على هذه الصورة-كما وعدت سابقا-لنشارك جميعا في هذه المقارنة فهو-كما يبدو-كتبه أحد علمائنا النيجيريين السابقين في القرن السابع عشر الميلادي وكل من كان خيرا باللغة العربية علما بأسرار كلماتها يثبت ويقرّ بأن صاحب هذا النص طبق ما يجب تطبيقها في تركيب الكلمات وراعي أحوال المخاطبين واختار من الألفاظ أنسبها للمقام وأولها للخطاب وزين رسالته بالمحسنات اللفظية والتراكيب البديعية واحتذى حذو علماء البلاغة فيما يسمونه ببراعة الاستهلال لأنه في بداية مقدمة خطابه نسب فتح أبواب الهداية إلى الله تبارك وتعالى علما منه بأن المخاطبين

قد مالوا عنها لمحاربتهم قوما آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالكعبة قبله وبالقرآن دليلاً وإماماً لا اختلاف المفاهيم في بعض فروع الدين-فقط-لا في أصوله، أو لأمر يجب أن يتصلحوا منها فيما بينهم بدون أن يسري بهم إلى المحاربة والقتال.

ثم لننظر في جملة "وصالوا علينا" نرى أن الكاتب تنقاد له الكلمات العربية وتستخدمها كما شاء وفهم خباياها، فكلمة "صال" بمعنى وثب وغار أي وثبوا وغاروا علينا، وصفوة القول إن هذه الرسالة خالية من الركاقات والتعقيدات اللفظية والمعنوية وليست مملوءة بغرائب الألفاظ فتستعان بالمعاجم والقواميس العربية قبل إدراك معانيها وفهم كنهها. وإليك النص الثاني:

قال الدكتور سليمان صالح الإمام الحقيقي: "... أثمرت هذه الحقول السردية بين المناهج النقدية والأدبية الجديدة بشتى الأزهار والثمار اليانعة في الأوساط العلمية المعاصرة حيث نُفخت بها من الروح على معظم تراثنا العربي الذي أكل عليه القبر وشرب نتيجة شدة وضوحها وقوة ثرائها في الدراسات الأدبية والنقدية العالمية. ذلك أن نظرية السرد بأبعادها التركيبية والدلالية والبنائية من أهم ما أنتجته الحركة النقدية والأدبية خلال ستينيات القرن الماضي بجهود الشكلايين الروس وكانت تعتبر أقوى النظريات النقدية الوافدة من الفكر الغربي دقة وقدرة في استكشاف مكونات البنية النصية السطحية والعميقة، ولذا، حاول عدد غير قليل من النقاد والأدباء العرب والغربيين تطبيق هذه النظريات على الكثير من الإبداعات الشعرية والنثرية القديمة من قصص وروايات ومسرحيات ومقامات وتواريخ...".^٧

نقلنا هذا الخطاب من كتاب أحد الشباب المعاصرين النيجيريين درس العربية من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة الدكتوراه من مركز التعليم العربي الإسلامي-أغيجي-نيجيريا، وجامعة بايرو، كنو-نيجيريا، وهو إلوري نسبا ومولدا، اقتفى أثر سابقه من العلماء في تركيب العبارات العربية الفصيحة وكل من ردّد قراءة هذا النص وقارن بينه وبين سابقه يعرف أنه كما أوتي الأولون من علماء نيجيريا من العلوم والمعارف وزمام البيان في اللغة العربية رزق كذلك الآخرين سحر البيان وفصاحة سحبان، فالكاتب يتحدث عن مفهوم نظرية السرد في الأدب العربي وجهود الشكلايين الروس في إنتاجه ولقي قبولا منقطع النظير في أوساط الأدباء لأنها من أقوى النظريات الأدبية التي

استفاد منها العرب من فكرة المغاربة وطبقوها على معظم تراثهم شعرا ونثرا قديما وحديثا. قل لي بربك ماذا يقول العرب إذا قرءوا نصّ هذا الدكتور الحقيقي وهو مملوءة بالعبارات الفصيحة واتّصف بما اتّصف بها أوله حيث لا تشم فيه رائحة العجم حتى وقد يمكن للعربي انتحاله إلا أن الملاحظة الوحيدة هي في جملة: "حيث نفخت بها من الروح" ولو قال الكاتب "نفخت فيها" لكان أفصح وأبلغ لأن الفعل نَفَخَ لازم يتعدى بـ"في" وحتى في القرآن الكريم لم يرد كلمة "نفخ" مصطحبة بـ"الباء" مثاله قوله تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [الحجر: ٢٩]. قوله أيضا: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) [ص: ٧٢]. وقوله أيضا: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) [الحاقة: ١٣]. وما سوى ذلك من الآيات القرآنية والشواهد اللغوية وهذا لا يحط من قدر الكاتب شيئا ولا ينقص من شرف الخطاب سبة وسبحان من تنزه عن النقصان واتصف بالكمال.

ثم إلى الموازنة بين ذالكم النصين السابقين وبين نص عربي أتجه رجل عربي اللون واللسان، قال عميد الأدب الإسلامي العالمي الدكتور طه حسين: "ولن يتم الحديث عن سياسة عثمان وعامله لمصر حتى نذكر فتين من فتیان قريش كان لهما فيما انتهت إليه هذه السياسة عن الثورة أثر أي أثر، وهما مُجَّد ابن أبي حذيفة ومُجَّد بن أبي بكر. فأما مُجَّد بن أبي حذيفة فقد كان فتى شريفا لأب شريف كريم النسب في قريش عظيم المكانة بين زعمائها فأبوه عتبة ابن ربيعة أبو هند زوج أبي سفيان وأم معاوية. وقد كان أبو حذيفة من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل أن يدخل النبي دار الأرقم ويدعو فيها وهاجر بامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى بلاد الحبشة ثم هاجر إلى المدينة مع غيره من المهاجرين...".^٨

هذا ما قاله طه حسين في أحد مؤلفاته وتلك عباراته العربية وتراكيبه اللغوية ولا يخفى لأحد ما لطفه حسين من مكانة مرموقة في أوساط الأدباء وجلالة مغبوبة بين الأذكياء والفصحاء، وهل هناك فرق بين نصه هذا وبين النصين النيجيريين السابقين في القيمة والجودة بل في الفصاحة والبلاغة فالنص الأول النيجيري خطاب انذاري جاء على لسان الرسالة والثاني خطاب أدبي في بيان ما للنظرية السردية من مفهوم ومكان والثالث بيان قصصي في بيان ما جرى

بين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنا، ووزرائه في خلافته، ومع هذا وذاك، هل هناك أخطاء نحوية ارتكبتها النيجيريان في نصهما أم فيهما عيوب لغوية خلا منها نص طه حسين وكل من هذه النصوص اتصف بجزالة الألفاظ وزين بسهولة التركيب لا تكلف فيه، وذلك مستوى اللغة العربية في نيجيريا في القرون الماضية وهذا مستواها في هذا القرن وفي هذه الأيام، وقد بلغت مقالات علماء نيجيريا العربية أوج المجد في الفصاحة والتعبير ووصلت مؤلفاتهم العلمية مستوى النضوج والكمال قيمة وروعة حتى تساوى مثلها من قبل العرب أنفسهم، وإذا رأينا اليوم من أشار إل أماكن القصور في بعض مؤلفات علماء نيجيريا التعبيرية وسجل الأخطاء في بعض تراكيبيهم اللغوية وهذا لا يعني أن كتابة العربية الفصحى لم تنزل في مستوى الحضيض أو المؤلفون والكتاب لم يبلغوا مرحلة العرب في الكتابة والتأليف، فالحققون من الأدباء والنقاد لم يزالوا ينتقدون قصائد العرب ونثراتهم سلفا وخلفا ويشيرون إلى بعض الأخطاء اللغوية في نتاجاتهم إلا أنهم يراعون مكاتتهم العلمية لكونهم أصحاب اللغة ويحسبون معظم هذه الأخطاء اللغوية في زاوية النقل والسمع ويترك بعضها للقارئ أن يحكم بنفسه، وما أمثلة قصيدة المتنبي المملوءة في كتب البلاغة عنا ببعيد، وما تعليقاتهم على القصيدة وغيرها بغموض وإلا فلماذا نقد أحد أبيات قصيدته التي قال فيها:

جللاً كما بي فليكن التبريح * * * أغذاء ذا الرشا الأغنّ الشيخ.^٩

فقد قال أهل الإعراب بأن حذف النون عن "تكن" إذا استقبلتها اللام خطأ لأنها تتحرك إلى الكسر، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت.^٩ وقد ارتكب أبو الطيب المتنبي هذه الجريمة النحوية في هذا البيت لحذفه تلك النون وهذا مما عابه العلماء عليه ولم ير مؤيديه بدّاً سوى أن يلجأوا إلى الضرورة الشعرية كما نسب إلى بعض الشعراء العرب الآخر بعض العيوب التركيبية منها قول عبيد بن عبد الله بن عتبة بن سعود:

"أعاذل عاجل ما أشتهي * * * أحب من الأكثر الرائث"^{١٠}

وعلق الإمام الموزباني على هذا البيت بأن الشاعر أراد أن يقول: "عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلى من الأكثر البطئ" وسقطت كلمة من القصيدة وبها تتم المعنى ولذلك عدّه من عيوب تسبب ائتلاف اللفظ والمعنى في نظر النقاد.^{١١}

هذا غيظ من فيض ما عارض عليها النقاد بعض الشعراء العرب وخطئوهم فيها من عيوب نحوية وقصور تركيبية فلا غرو إذن أن نرى مثل ذلك في الكتابات العربية لدى النيجيريين المؤلفين هم رجال ونحن رجال نخطئ كما هم يخطئون.

هوامش الباب الخامس

- ١- عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، السلفيون والأئمة الأربعة - ﷺ، الناشر: الدار السلفية- الكويت، الطبعة الثانية: ١٩٧٨م، ص: ٢١-٢٣.
- ٢- عز الدين الأمين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية: ١٩٧٠م، ص: ١٥٩.
- ٣- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة الثانية: ٢٠٠٦م، المجلد السابع، ص: ٥٥٥.
- ٤- شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، المرجع نفسه، المجلد السابع، ص: ٥٥٤.
- ٥- آدم عبد الله الإلوري، الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، الناشر: دار النور للطباعة والنشر، لاجوس- نيجيريا، الطبعة الثانية: ٢٠٠٩م، ص: ١٨٣.
- ٦- آدم عبد الله الإلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الناشر غير مذكور، الطبعة الثالثة: ١٩٧٨م، ص: ١٢٢-١٢٣.
- ٧- سليمان صالح الإمام الحقيقي، جماليات الخطاب السردي في النص الرّحلي، الناشر غير مذكور، الطبعة الأولى: ٢٠١٨م، ص: ١-٢.
- ٨- طه حسين، الفتنة الكبرى عثمان، الناشر: دار المعارف-القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة: ٢٠٠٩م، ص: ١٢٦.
- ٩- أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتني وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة غير مذكورة، ص: ٤٤١.
- ١٠- أبو عبيد الله بن محمد المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، الناشر والطبعة غير مذكورين، ص: ٢٩٦.

الباب السادس

الخاتمة

خلاصة البحث:

وصل الباحث -بمشيئة الله تبارك وتعالى- خاتمة المطاف في جولة البحث عن المسائل الخلافية النحوية في مؤلفات بعض علماء نيجيريا، وهي عبارة عن حركات علمية وجهود نقدية قام بها بعض علمائنا النيجيريين قديما وحديثا خلال كتبهم المؤلفة نتيجة اختلاف المفاهيم اللغوية والنحوية، وأكثروا في الردود العلمية لتخطيء بعضهم بعضا وتعددت من هذه الردود الكتابات وتنوّعت المؤلفات أدّت ببعضهم إلى الشتائم، واللعن، وقد قام الباحث في هذه الرسالة بعرض بعض هذه المسائل المختلف فيها ودراسة وجهة نظر كل منهم مع النقد العلمي الموضوعي الدقيق وعزو كل قول إلى صاحبه وأسمينا البحث: "المسائل الخلافية النحوية في بعض مؤلفات علماء نيجيريا: دراسة ونقد".

وقمنا بتبويبه إلى ستة أبواب. فالباب الأول عبارة عن أساسيات البحث وفيه ثمانية فصول حاول الباحث في الفصل الأول: أن يعرّف هذا الموضوع تعريفا علميا يشمل جانبه اللغوي ويحيط بأفراد كلماته بمعانيها المعجمية ومشيرا إلى معناه الاصطلاحي في هذا البحث وبررنا اختيار الموضوع في الفصل الثاني مع تسجيل الأسباب والدوافع التي حفز بالباحث إلى الكتابة فيه وقام الفصل الثالث بدور تحديد مشاكل البحث، ويدور الفصلين الرابع والخامس حول الأهداف وأهمية البحث وجاء بيان المنهج الذي اتبعه الباحث في كتابة بحثه في الفصل السادس، وانتهى بنا الحديث إلى الدراسات السابقة التي تمت لها صلة بموضوع هذا البحث في الفصل السابع قبل الفصل الثامن والأخير الذي سيلتقى فيه القارئ مع بعض المصادر والمراجع المهمة التي لها صلة قوية بالبحث. وينص الباب الثاني على تطوّر النحو العربي عبر العصور وله ثلاثة فصول: فالأول عرض يسير عن أولية النحو العربي حيث تطرق الحديث إلى تاريخ علم النحو بداية ونشأة واختلافات العلماء في واضعه وكيف تطورت وجهود العلماء الأولين في تطوره ونشره ثم إلى الفصل الثاني الذي يخبرنا عن الفرق بين النحويين القدماء والنحويين المحدثين مع إظهار موضع

الاختلاف والاختلاف بينهما وماذا قدمه السابقون أو أضافه اللاحقون ودور ابن مضاء في رده على النحاة القدامى ومن معه في بعض المواقف قبل أن ينتهي هذا الفصل إلى بعض الوقفات التي وجه فيها الباحث أموراً إلى المحدثين تنبيهها وإرشاداً لهم، وأما الفصل الثالث الذي هو آخر فصول هذا الباب يندرج تحته تاريخ المدارس النحوية وكيف أثرت في نشر وتطور النحو العربي وما ذا استفاد هذا العلم من تعدد هذه المدارس على اختلاف مستوياتها وبيئاتها وكيف يربط الدارسون بين هذه المدارس مع معاملتهم مع كثرة الاختلافات النحوية المنتجة من ذلك حتى يتمكنوا من تطبيق ذلك القول المشهور: "اختلاف الأئمة رحمة للأمة". والباب الثالث رجع فيه الباحث من العالم العربي إلى العالم النيجيري وعنوانه بالنحو العربي وتطوره في نيجيريا، وله من الفصول خمسة، يتمثل الأول في النحو العربي وأوليته في نيجيريا حيث عرفنا نيجيريا وموقعها الجغرافي وكيف أقبل علمائها على درس وتدريس علم النحو بعد ما قد أتينا بخبر يسير عن دخول الإسلام واللغة العربية إلى نيجيريا وتحديثنا في الفصل الثاني عن الكتب النحوية المعتمدة عليها في هذه المرحلة الأولية حتى نضج الدارسون وتطور الأسلوب وكثرت المراجع وتعددت المصادر إلى ما نشاهده اليوم حتى لا يستطيع أحد أن يثبت للناس نوعية الكتب النحوية التي يلم بها الدارسون النيجيريون في دراسة علم النحو العربي، وأما الفصل الثالث ففيه ذكر أسماء رجال لهم إنتاجات نحوية قيمة من العلماء الأولين النيجيريين ألفوا الكتب المتعددة وأنجبوا التلاميذ النجباء ثم سجلنا أسماء مؤلفاتهم النحوية قبل الفصل الرابع الذي يدور حول بداية هؤلاء العلماء النيجيريين بتلك المؤلفات النحوية- وإن لم يمكن تحديد أول من ألف في النحو من علماء نيجيريا- فالمعلوم هو أن معظم تراث علمائنا- بما فيها التراث النحوي- غالت عليه يد الضياع وأكلت الأرضة بعضها فالباحثون يعتمدون عند تسجيل الحقائق التاريخية على بعض ما وصلهم ثم إلى آخر فصول هذا الباب فالحديث فيه يتركز على تراث علماء نيجيريا النحوي بكثرتها وتنوعها ولم يقتصر الباحث في بيان هذا التراث على العلماء القدامى فحسب بل تطرق حديثه إلى تراث المحدثين من الشباب وغيرهم ومن الأكاديميين ومؤسسي المدارس العربية الإسلامية وماذا قدمه هؤلاء وأولئك لتقديم عجلة علم النحو العربي إلى الأمام في نيجيريا.

ووصلنا بعد هذا إلى الباب الربع الذي يعتبر رائد هذه الأبواب ورأس ما قمنا بالبحث من أجلها ويحمل عنوان البحث بعبارته وأسمينا الباب: "المسائل الخلافية النحوية لدى علماء نيجيريا"، وفي الفصل الأول قام الباحث بتوضيح أمور قد يراود العقل منذ بداية صفحات هذا البحث وذلك هل لعلماء نيجيريا مدارس نحوية خاصة لها آرائها ونشاطاتها كعلماء بصرة وكوفة وغيرهما من الأمصار الإسلامية حتى يقوم الباحث بدراسة المسائل الخلافية النحوية خلال مؤلفاتهم وانتهى بنا الحديث إلى عدم وجود موقف أو رأي نحوي خاص لأن المدارس النحوية المتعددة التي قرأنا عنها اعتمدوا على أشياء مكنهم من إبداء آراء نحوية متنوعة منها اعتمادهم على السماع والنقل ثم على القياس وغيرهما أضف إلى ذلك أن معظمهم عرب عاشوا بين ظهران العرب وهم أصحاب هذه اللغة عرفوا خباياها وتدريبوا على أسرارها وفي هذا الأوان لما يتعرف علماء نيجيريا على هذا العلم فكيف يضيفون رأيا جديدا؟ فالذي وجد عندهم إرجاع بعضهم إلى إحدى هذه المدارس عند الحكم النحوي وترجيحه رأيا نحويا على آخر. فمحاولة الأستاذ علي نائبي سويد في تحطيم العرب عند تقسيم الجمل العربية إلى الاسمية والفعلية ثم محاولة الأستاذ عبد الرحمن أحمد الإمام في تفضيل كتابة "كتبه" بدون الواو على "وكتبه" بالواو في آخر كل مكتوب لا يعتبر رأيا جديدا في النحو العربي لأن ما يعتمد عليه كلاهما حجج نحوية قد وضعها علماء النحو منذ زمان ومع هذا وذاك فهي مبادرات طيبة وجهود نحوية قيمة وحركات علمية محبوبة تستحق التقدير وثاني فصول هذا الباب بيان أسباب هذه الاختلافات النحوية في مؤلفاتهم وأرجعنا هذه الأسباب إلى عوامل ثلاث أدت بهم إلى تلك الحركات، ومن هذه العوامل الممدوحة ومنها المذمومة، وهي العامل الثقافي والترسيخي، والعامل الديني العقدي ثم العامل الاجتماعي، وإلى الفصل الثالث في عرض هذه المسائل الخلافية النحوية ونقدها ابتداء من مسألة الجملة الاسمية والفعلية التي جرت بين الأستاذ نائبي سويد والأستاذ مهدي المخزومي ثم في أصل اشتقاق كلمة "الأسقم" بينه وبين التجانيين وإلى الأستاذ عبد الرحمن أحمد الإمام ثم ما جرى بين الأستاذ عبد الواحد جمعة أربي وهيئة التدريس بمركز السلام في أجوكورو-لاغوس وغيرهم. عرضنا هذه المسائل النحوية ونظرنا في موقف كل منهم وفتدنا ما لا أساس له من الصحة.

والباب الخامس يقوم تراث علماء نيجيريا النحوي وأطلقنا عليه: اختلاف علماء نيجيريا النحوية والصرفية في الميزان، فصلناه إلى ثلاثة منها: ماذا أضاف علماء نيجيريا إلى النحو العربي من جديد وهل أثرت هذه اختلافاتهم في تعليم النحو العربي في نيجيريا أم مجرد رعونات وإيذاء؟ وفي الأخير أشرنا إلى القيم اللغوية والتركيبية في مؤلفاتهم وقارنا بين تراث القدماء والمحدثين ووازننا بين ما كتبه نيجيري وما كتبه عربي من قيمة وجودة.

وأتى دور الباب السادس والأخير الذي كنا في صدده الآن وهو بمثابة الخاتمة التي لها أربعة فصول، فخلاصة البحث أولها قمنا فيها بتلخيص جميع ما كتبنا في البحث من عدد الأبواب والفصول وما فيها باختصار شديد، ونتائج البحث ثانيها فالإسهامات ثالثها قبل أن ينتهي بالاقتراحات والتوصيات.

نتائج البحث:

إن كل عمل إنساني أو بحث أكاديمي وجهود علمي لا بد لها من نتائج يتوصل إليها صاحبها في نهاية الأمر ليظهر للقارئ ما اكتشفه من النقاط المهمة أثناء عمله وقد توصل الباحث-أخيرا- في هذا الجهد الأكاديمي إلى هذه النتائج الآتية:

- نرى من النحويين النيجريين من آثار بعض المواقف في القضايا النحوية منها ما اقترحه نائبي سويد في عدم تقسيم الجمل العربية إلى الاسمية والفعلية ومنها ما حكم به عبد الرحمن أحمد الإمام في تجريد كلمة "كتبه" عن الواو في آخر كلِّ مقالة أو مكتوب، وغير ذلك.

- وجد النحو العربي طريقه إلى نيجيريا منذ أربعة قرون مضت تقريبا.

- اختلف العلماء المؤلفون النيجريون في قضايا اللغوية المختلفة إثر اختلافاتهم الدينية والاجتماعية إلا أن هذه الاختلافات لم تصل درجة اختلافات القدماء في المسائل النحوية في القرن الثاني والثالث الهجريين.

- حاول الباحث أن يوازن بين المواقف المختلفة في القضايا النحوية الخلافية لدى العلماء النيجيريين، ومن هذه القضايا: مسألة "الاشتقاق"، إعراب "المتى أو بنائه"، و"صيغة التفضيل"، ومسألة "الجملة الاسمية والفعلية"، وغيرها.
- بدأ ظهور الاختلافات والمناقشات في الأمور النحوية في نيجيريا في القرن العشرين الميلادي لأنّ المحاولات التي سبقت توافق أو تحلّل ما قد كتبه العرب.
- قد حصلت هذه الاختلافات إيجابيا على المؤلفين في تنقيح وتحقيق مؤلفاتهم في الجوانب اللغوية وخاصة في النحو.
- وسلبيًا حيث إنّ هذه المناقشات اللغوية والنحوية حدثت التعجيز في نفوس بعض المؤلفين خوفًا من الأخذ عليهم.
- ظهرت الاختلافات في المسائل النحوية لدى الشباب النيجيريين نتيجة التنازع الديني والتخالف العقدي والتمرد الحقدي.
- لا يلتزم بعضهم بأدب الحوار وشروط النقاش لأن معظم كتبهم مملوءة بالشتائم واللعان أدّت إلى الحروب الكلامية نسأل الله العافية والسلامة.
- هناك فرق كبير بين ما يدعوا إليها ابن مضاء وبين ما يعلنها أولئك المحدثون، ففكرة ابن مضاء فكرة إسلامية لا تشم فيها غير ذلك وأما معظم أفكار هؤلاء فقد خالطها الاستشراق ولا يخفى ما للمستشرقين من سموم دسوها للإسلام.

إسهامات البحث:

فقد أسهم هذا البحث إسهامات كثيرة في تطور اللغة العربية عامة والنحو العربي خاصة في هذه الديار منها؛ إخبار الأديبي والأقاصي من العرب وغيرهم أن في نيجيريا علماء أكفاء في التعليم والتدريس والتأليف معا لا في علم النحو فحسب بل في جميع المجالات العلمية وكثرت إنتاجاتهم العلمية ولهم مجهودات مضيئة في تطور النحو العربي في نيجيريا حتى رأينا منهم من ساوت مؤلفاته النحوية مؤلّفات العرب، ثم أظهر الباحث أسماء رجال لهم رأي نحوي جديد أبدوها نتيجة تمكنهم في علم النحو مثل محاولة البروفيسور علي نائبي سويد، والبروفيسور عبد

الرحمن أحمد الإمام، وأفاد الدارسين النيجيريين بما في الحركات النقدية والنشاطات العلمية التي شرع فيها بعض الشباب النيجيريين من القيم العلمية والتحرك العقلية إذا التزموا شروط النقاش والجدال وخلت مؤلفاتهم من العتاب وصفت قلوبهم من الضغينة.

الاقتراحات والتوصيات:

بما أن هذا البحث يهدف إلى تحليل المسائل الخلافية النحوية في نيجيريا وقد اعتاد شبابنا تصيّد أخطاء إخوانهم ونقد أقوالهم إذا نظموا شعرا أو كتبوا مقالة أو ألفوا كتابا، وإن لم يستطيعوا إبداء رأي جديد أو إصدار كلمة سديدة، واهتمّ معظم الدارسين بمثل هذه النشاطات النقدية والمؤلفات الردودية أكثر من اهتمامهم للكتب العلمية والأدبية الأخرى، لأن الأولى تُقوى حيوياتهم وتنشّط أجسامهم لما فيها من الأقوال البظيعة، والثانية تضعّف عضلاتهم وتلعب بعقولهم في نظرهم. وإلى كل من هؤلاء وغيرهم اقترح بعض هذه الاقتراحات الآتية واتبعها بتوصيات قد فاز من أخذ بها وعمل بمقتضاها:

- على كلّ من أراد أن يكتب شيئا نثرا كان أو شعرا أن ينقح مکتوباته من التعابير السخيفة والأفكار السقيمة سواء الأفكار اللغوية أو الدينية قبل أن يُخرجها للقراء، ولهذا يرجى تقديم المکتوبات إلى المتخصصين في اللغة وخاصة في النحو قبل طبعه وعرضه.
- على النقاد أن يكونوا موضوعيين في نقدهم وأن لا يتمسكوا بالقشور ويتركوا اللباب، وليعلموا أيضا أن لا معصوم من الخطأ مهما علت كعبته وانتشرت صيته بما فيهم النقاد أنفسهم.
- وعليهم جميعا أن يقرءوا للعلم وللفوائد لا للأغلاط والأخطاء وأن يكونوا في خير ظن وحسن نيّة لإخوانهم ثم يعتذروا لهم، وقد رغبنا الإسلام في هذه الأخلاق المحمودة ونهانا عن أضدادها.
- وأن يتقوا الله في مکتوباتهم ومؤلفاتهم وأقوالهم وردودهم وأن لن تنسوا أن جميع هذه الكتابات ستحاسبوا عليها ويجازيهم ربهم الجزء الأوفى إِمّا خيرا أو شرا، فلا تكتب بخطك غير شيء ** يسرّك في القيامة إن تراه.

- واقترح عليهم أخيرا أن يقرءوا من هنا وهناك ويتوسعوا في الاطلاع على آراء المذاهب اللغوية المختلفة قبل إصدار الحكم لأحد أو عليه.
- ثم أوصى الدارسين وغيرهم بتجنب الهوادة والاستهزاء بجهود غيرهم، لأن الكاتب سهر الليالي واقتحم العوالي قبل إخراج كتابه، فاعتماده على حجة معارضة شيء غير مقبول إلا إذا بحثت عن حجته فيما حُطِّئَ عليه، من هنا تقدر جهود الكاتب.
- وأوصى طلبة العلم جميعا بعدم الاعتماد على التقليد الأعمى والاعتزاز بداء الحب، فالأغلبية الساحقة من القراء يتأثر في قلوبهم حب الكاتب ومكانته لديهم ويؤمنون بموقفه ولو كان باطلا وينشدون برأيه ولو كان واهيا ويعارضون خصيمه ويخالفون حكمه، ولو كان حقا ويسجلون له الأخطاء ولو كان الأمر خلاف ذلك.

المصادر والمراجع العامة

- أوتويو، إبراهيم جامع دروس أساسية في جغرافيا نيجيريا، الطبعة الثانية ١٩٨٨م الناشر غير مذكور.
- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، الطبعة الثانية بدون التاريخ، الناشر غير مذكور.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- الكردي، ابن الحاجب، عثمان بن عمر الشافية في علم التصريف، تحقيق حسن أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية-مكة، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحيي عبد الحسين القتلي الناشر: مؤسسة الرسالة لبنان-بيروت.
- الموصللي، ابن جتي، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.
- العسقلاني، ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- العسقلاني، ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٢٦هـ.
- الإشبيلي، ابن عصفور، علي بن مؤمن، الممتع الكبير في التصريف، الناشر: مكتبة لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م
- العقيلي المصري، ابن عقيل، عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث-القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جوده النجار وشركاه، الطبعة العشرون، ١٩٨٠م.

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- الطائي، ابن مالك، **مُجَّد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية**، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
- الطائي الجبالي، ابن مالك، **مُجَّد بن عبد الله، إيجاز التعريف في علم التصريف**، تحقيق: **مُجَّد المهدي عبد الحي عمار سالم**، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية.
- الطائي، ابن مالك، **مُجَّد بن عبد الله ألفية ابن مالك**، الناشر: دار التعاون، الطبعة غير مذكورة.
- ابن مضاء، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن، **الرد على النحاة دراسة وتحقيق للمركز مُجَّد ابن القيم الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر**، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، الناشر: دار الاعتصام.
- الأنصاري، ابن منظور **مُجَّد بن مكرم بن إبراهيم، لسان العرب**، الناشر: دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.
- الأنصاري، ابن منظور **مُجَّد بن مكرم، لسان العرب**، الناشر: دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: يوسف الشيخ **مُجَّد البقاعي**، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة غير مذكورة.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق عبد الغني الدقر، الطبعة غير مذكورة، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع-سوريا.

- ابني جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة بدون التاريخ.
- العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، **مسائل خلافية في النحو**، تحقيق: محمد خير الحلواني، الناشر: دار الشرق العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.
- الجرجاني، أبو الحسن علي بن عبد العزيز، **الوساطة بين المتني وخصومه**، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة غير مذكورة.
- أبو الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، الطبعة غير مذكورة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الرابعة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **اللمع في العربية**، تحقيق فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت، الطبعة غير مذكورة.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **الجمال في النحو**، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م.
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.
- المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، الناشر والطبعة غير مذكورين.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي بدر الدين، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة غير مذكورة.
- أبوبكر علي عبد العليم، **مكتبة الأسرة في النحو**، الناشر: مكتبة الساعي للنشر والتوزيع-باليابض، الطبعة الجديدة: ٢٠١٤م.

- الهاشمي، أحمد إبراهيم مصطفى، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، الطبعة غير مذكورة، الناشر: المكتبة العصرية-بيروت.
- القزويني، أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلهما وسنن العرب في كلامها**، الناشر: مُجَّد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ابن فارس، أحمد بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام مُجَّد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر ١٩٧م.
- الأندلسي، أحمد بن مُجَّد شهاب الدين، **الحدود في علم النحو**، تحقيق نجاة حسن عبد الله نولي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢-السنة ٢٠٠١م.
- المجاشعي البصري، الأخفش الأوسط، أبو الحسن، **معاني القرآن للأخفش**، تحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- أربي، عبد الواحد جمعة، **قذائف حاسمة في تنفيذ ردود الأقلام**، الناشر: غير مذكور، الطبعة الثانية: ٢٠١٣م.
- لرفاعي، أحمد سعيد، **تفريغ الأورام وتنفيذ الأوهام**، دراسة تفكيكية لآراء الإلوري في طبقات العلماء ببلاد يوربا، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، الناشر: مطبعة القبلة، لاغوس، نيجيريا.
- الأشموني، علي بن مُجَّد بن عيسى الشافعي، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.
- الألباني، مُجَّد ناصر الدين، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة**، الناشر: دار المعارف الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- الإلوري، آدم عبد الله، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلان**، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.
- الإلوري، آدم عبد الله، **الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا**، الطبعة الثانية ٢٠١٩م، الناشر: دار النور للطباعة والنشر أولرنشوغو، ولاية لاغوث- نيجيريا.

- الإلوري، آدم عبد الله، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، الناشر غير مذكور، الطبعة الثالثة: ١٩٧٨م.
- الإلوري، آدم عبد الله، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م، الناشر: مكتبة وهبة شارع الجمهورية-عابدين-القاهرة.
- الإلوري، آدم عبد الله، الدين النصيحة، الطبعة الثانية، بدون التاريخ، الناشر غير مذكور.
- الإلوري، آدم عبد الله، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، الناشر: مكتبة وهبة عابدين القاهرة.
- الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.
- الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، الطبعة الأولى مع الإعادة: ٢٠١٢م، الناشر: مكتبة وهبة شارع الجمهورية-عابدين-القاهرة.
- الإلوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.
- الإلوري، آدم عبد الله، نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة دار النور لاجوس-نيجيريا.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تفسير الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات كمال الدين، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواء، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، مصر، الطبعة الثانية: ١٩٩٦م.

- الأنباري، عبد الرحمن بن مُجَّد أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيّين**، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، الناشر: المكتبة العصرية.
- الأنباري، عبد الرحمن بن مُجَّد بن مُجَّد أبو البركات الأنصاري، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق إبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة المنار الزرقاء-الأردن، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- الأنباري، عبد الله بن مُجَّد أبو البركات كمال الدين، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيّين**، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م.
- البخاري، أبو عبد الله مُجَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة غير مذكورة.
- العيني، بدر الدين، أبو مُجَّد مُجَّد محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة غير مذكورة.
- المرادي، بدر الدين حسن بن علي، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبد الرحمن عليّ سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م.
- البزار، أبو طاهر عبد الواحد بن عمر، **أخبار النحويين**، تحقيق مجدى فتحى السيد، الناشر: دار الصحابة للتراث-طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- بشير لون، **موازنة بين العلامة بيروك عبد الله بن يعقوب السملالي وبين الشيخ عبد الله أويس في شرح نظم الجردية في الجمل**، بحث غير منشور، قدمه صاحبه إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كنو، نيجيريا، وفاء لبعض متطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية سنة ٢٠١٢/٢٠١٣م.
- البغوي، محي السنة أبو مُجَّد الحسين بن مُجَّد بن الفراء الشافعي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن-تفسير البغوي**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت.

- بن فودي، الشيخ عبد الله، تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات، شرح وتحقيق المسمى ب: توضيح الغامضات على كتاب تزيين الورقات لعمر بن مُجَّد بوي، الطبعة غير مذكورة، الناشر غير مذكور.
- التنوخي، أبو المحاسن المفضل بن مُجَّد، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق الدكتور عبد الفتاح مُجَّد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٢م.
- ثيط، يحيى فاروق، مروى الصدى في علم الصرف للشيخ مُجَّد بن صالح الفلاقي، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات، كنو-نيجيريا ٢٠١٠.
- الجرجاوي، خالد بن عبد الله الأزهرى الوقاد، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م، الناشر: الرسالة-بيروت.
- الجمهورية العرافة وزارة التربية، النقد وموازن الشعر للصف السادس الأدبي، الطبعة الخامسة: ١٩٧٤م، الناشر: مطبعة الأزهر-بغداد.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر: دار الساقى، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م.
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي-بيروت الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- الرفاعي، الحاج أحمد بن مُجَّد ألفا أوكي أرى، هبة المولى في بيان معاني لا، الطبعة الأولى، الناشر: مطبعة التهئة، رقم ٥٨٠ إسالي أوس، إبادن-نيجيريا.
- الحريري، أبو مُجَّد القاسم بن علي، مقامات الحريري، الناشر: مطبعة المعارف-بيروت، الطبعة الأولى: ١٨٧٣هـ.
- الحقيقي، سليمان صالح الإمام، جماليات الخطاب السردى في النص الرحلى، الناشر غير مذكور، الطبعة الأولى: ٢٠١٨م.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد البصري، **الجمل في النحو**، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة: ١٩٩٥م.
- دار الشرق، **المنجد في اللغة والأعلام**، الناشر: المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة والأربعون: ٢٠٠٨م.
- سنقرط، داود عبد العفو، **العروبة والإسلام**، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م، الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-قرب الجامع الحسيني.
- سوداني، الدكتور عبد الحق، **محاضرات في أصول النحو**، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.
- الدكتور محمود فجال، **الإصباح في شرح الاقتراح**، الناشر: دار القلم دمشق الطبعة الأولى: ١٩٨٩م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، الناشر: دار الحديث-القاهرة، الطبعة الثانية: ٢٠٠٦م.
- الإستراباذي، رضى الدين بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة غير مذكورة.
- أحمد، رفعت سيد، **آيات شيطانية جدلية الصراع بين الإسلام والغرب**، الطبعة الثالثة، المنقحة ١٩٩٠م، الناشر: الدار الشرقية-القاهرة.
- رمضان عبد التواب، **بحوث ومقالات في اللغة**، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الزّخشي، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق الدكتور علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م.
- الحنفي الرازي، زين الدين أبو عد الله مُجَّد بن أبي بكر، **مختار الصّحاح**، تحقيق يوسف الشيخ مُجَّد، الناشر: مكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت-صيدا، الطبعة الخامسة: ١٩٩٩م.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُجَّد، **بحر العلوم**، الطبعة والناشر غير مذكورين.

- سيويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام مُجّد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي-القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٩٨٨م.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، **أخبار النحويين البصريين**، تحقيق: طه مُجّد الزيني ومُجّد عبد المنعم خفاجي-المدرسين بالأزهر الشريف، الناشر: مصطفى الباي الحلبي، الطبعة: غير مذكورة، ١٣٧٣هـ-١٩٦٦م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الأشباه والنظائر**، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- السيوطي، منتقى عبد الرحمان، **مجهودات بعض النيجيريين في النحو العربي**، بحث غير منشور قدّم إلى قسم اللغة العربية، جامعة الحكمة، إلون وفاء لبعض متطلبات الحصول على شهادة الماجستير، سنة ٢٠١٦م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **كتاب الاقتراح في علم أصول النحو**، الطبعة الثانية السنة غير مذكورة، الناشر غير مذكور.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **كتاب الاقتراح في علم أصول النحو**، الناشر: إدارة جمعية دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية: ١٣٥٩هـ.
- الشربيني، شمس الدين مُجّد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)-القاهرة: ١٢٨٥هـ، الطبعة غير مذكورة.
- شوقي ضيف، **المدارس النحوية**، الناشر: دار المعارف.
- الطبري، مُجّد بن جرير أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد مُجّد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، المجلد الثاني والعشرون.

- طه حسين، **الفتنة الكبرى عثمان**، الناشر: دار المعارف-القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة: ٢٠٠٩م.
- الطيب دخير، **العامل والأثر في الدرس النحوي بين القديم والحديث دراسة وصفية تحليلية نقدية**، بحث مقدم إلى كلية الآداب، واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة السانية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، للحصول على إجازة العالمية (الدكتوراه).
- المنفلوطي، عبد الحكيم أحمد، **التدمير الأفطع على نافع الأقطع**، الناشر: مركز النهضة العربية والإسلامية الوحي-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠٠٩م.
- أحمد، عبد الرحمن الإمام، **عن صحيح البخاري**، الطبعة الأولى: ٢٠١٧م، الناشر: دار إيميس للطباعة والنشر والترجمة.
- أحمد، عبد الرحمن الإمام، **مقالة بعنوان: تيسير النحو بين التجديد والفوضى**، الجزء الثاني من أعماله للترقية إلى درجة الأستاذية قدم هذه المقالة في مؤتمر المجلس العالمي للغة العربية المؤتمر العاشر في لبنان ٨-٩/١٢/٢٠١٥م اللغة العربية بين الأصالة والتجديد (ذكرى المرحوم الدكتور عوضى القوزي).
- أحمد، عبد الرحمن الإمام، **الخطيب الشربيني وجهوده النحوية التصريفية**، الناشر: دار الأمة لووكالة المطبوعات-كانو، نيجيريا، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م.
- عبد الرحمن السيد، **مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها**، الناشر: توزيع دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى: سنتها غير مذكورة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية-مصر، عدد الطبعة غير مذكورة.
- اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق، **السلفيون والأئمة الأربعة-ﷺ**، الناشر: الدار السلفية-الكويت، الطبعة الثانية: ١٩٧٨م.

- أيوب، عبد الرحمن مُجَّد، دراسات نقدية في النحو العربي، الطبعة غير مذكورة، الناشر: مؤسسة الصباح للنشر والتوزيع - كويت.
- سارومي، عبد الفتاح، نفحات التعليق على رسالة "حلاوة التحقيق" لعبد الفتاح يس، الناشر: بإذن الله لخدمات الكمبيوتر باللغة العربية والإنجليزية أومادا-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م.
- حنبلي، عبد الفتاح يس أحمد، حلاوة التحقيق في كتاب الصراع بين الباطل والحق لصاحبه عبد الفتاح سارومي، الناشر غير مذكور، الطبعة الأولى: ٢٠١٣م.
- حنبلي، عبد الفتاح يس أحمد، قراءة في جرائم عبد الرزاق عبد المجيد أالارو ونفاقه، الناشر: شركة المضيف للطباعة والنشر بوبو إبنى-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م.
- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
- أكنبى، عثمان عبد السلام، المبسوط في دراسات علوم البلاغة: المعاني، والبيان، والبديع، الناشر: مركز الهدى للكمبيوتر-إلورن، الطبعة الأولى: ٢٠١٦م.
- عز الدين الأمين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية: ١٩٧٠م.
- الدمشقي العلائي، صلاح الدين بن كيكلدي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تحقيق: حسن موسى الشاعر، الطبعة الأولى: ١٨٦٠م، الناشر: دار البشير-عمان.
- علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، الناشر: مكتبة دار التراث، الطبعة دار التراث الأول ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- سويد، علي نائبي، تعليق لغوي على كلمة الأسمم الواردة في الصلاة المعروفة بجوهرة الكمال، الطبعة الأولى: ١٩٨٨م، الناشر: زاوية أهل الفيضة التجانية كانو-نيجيريا.
- سويد، علي نائبي، صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة توجيه، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨م، الناشر: دار الأمة-لووكالة المطبوعات، كانو-نيجيريا.

- سويد، علي نائي، صور من أسباب مشاكل النحو العربي دراسة وتوجيه، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات-كانوا-نيجيريا، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام مُجّد هارون، الطبعة السادسة، الناشر: دار التاريخ-بيروت، لبنان.
- الفوزي، عوض حمد، المصطلح النحوي نشأته وتطوّره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، الناشر: عمادة شؤون المكتبات-جامعة الرياض، الطبعة غير مذكورة.
- غلادني، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٦٦م، الناشر: دار المعارف كورنيش النيل-القاهرة، الطبعة غير مذكورة.
- غمبو حسن، ظواهر تصريف الأفعال في القراءات السبع الشهيرة دراسة صرفية تطبيقية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الرابعة: ١٩٨٧م.
- فاضل فتحى والي، النحو الوظيفي، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، الناشر: دار الأندلس للنشر والتوزيع-حائل.
- ردوزي، فاطمة الزّهاء، أقسام الجملة في اللغة العربية دراسة البنية والدلالة في سورة مُجّد، بحث غير منشور قدّمته صاحبتة إلى كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مُجّد بوضياف-المسيلة-الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، للحصول على شهادة الماجستير، سنة ٢٠١٧م.
- الديلمي الفراء، الفراء أبو زكريا، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، مُجّد علي النجار/ عبد الفتاح إسماعيل الشلي، الناشر، دار المصرية للتأليف والترجمة-مصر، الطبعة الأولى سنتها غير مذكورة.

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق دك مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة غير مذكورة.
- الفيروزآبادي، مُجَّد بن يعقوب، القاموس المحيط، الناشر: شركة الدار القدس للنشر والتوزيع، الطبعة غير مذكورة.
- قاسم إبراهيم، الإنتاجات النحوية العربية لبعض المؤلفين النيجيريين اليورباويين: دراسة تحليلية وصفية، بحث غير منشور قدّم إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، وفاء لبعض المتطلّبات للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.
- قاسم بدماصي، أصول النحو تاريخ وتأصيل، الناشر: شمس للنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة الأولى: ٢٠١٠م.
- القرطبي، أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن-تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٦٤م.
- القرطبي، أبو عبد الله مُجَّد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن-تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم الطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
- القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن مُجَّد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية-مصر، الطبعة السابعة: ١٣٢٣هـ.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن، إنباه الرواة على أنباه النحاة، الناشر: المكتبة العنصرية-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة غير مذكورة، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- مالم كبر، قريب الله مُجَّد الناصر المخترار الكبرى، الرسالة الجليلة لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان "صوكوتو" العاصمة العلية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر

المهجري، الطبعة الثالثة: ٢٠١٣م، الناشر: مطبعة الاتصال للطباعة العربية وغيرها، كنو-
نيجيريا.

● المبرد، مُجَدِّد بن يزيد الأزدي، المقتضب، تحقيق مُجَدِّد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم
الكتب - بيروت، الطبعة غير مذكورة.

● الطبري، مُجَدِّد ابن جرير أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد مُجَدِّد
شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.

● مُجَدِّد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، راجعه وعلق عليه سعيد مُجَدِّد اللحام،
الناشر: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

● بن فودي، مُجَدِّد بلو بن عثمان، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الطبعة الأولى:
١٩٦٤م، الناشر غير مذكور.

● الأزهري الهروي، مُجَدِّد بن أحمد، أبو منصور، تهذيب اللغة، تحقيق: مُجَدِّد عوض مرعب،
الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

● البخاري الجعفي، مُجَدِّد بن إسماعيل الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله
(ﷺ) وسننه وأيامه-صحيح البخاري، تحقيق: مُجَدِّد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار
طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُجَدِّد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى:
١٤٢٢هـ.

● الجمحي، مُجَدِّد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق مُجَدِّد شاكر، الطبعة غير مذكورة،
الناشر: دار المدني-جدة.

● بن عزيمة، مُجَدِّد بن عبد الخالق، المغني في تصريف الأفعال، الناشر: دار الحديث-
القاهرة، الطبعة الثانية: ١٩٩٩م.

● ابن الوراق، مُجَدِّد بن عبد الله أبو الحسن، علل النحو، تحقيق: محمود جاسم مُجَدِّد الدرويش،
الناشر: مكتبة الرشد، الرياض/السعودية، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م.

- مُجَّد حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الناشر: مكتبة الآداب علي حسن-القاهرة.
- حسين، مُجَّد صالح، مساهمة علماء غرب أفريقيا في نموّ وتطوّر النحو العربي دراسة لمنطقتي تمبكتو وبلاد هوسا في الفترة ما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين، بحث مقدّم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو-كنو، غير منشور.
- النظيفي، مُجَّد فتحا السوسي، الدرّة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة، الطبعة الأخيرة: ١٩٨٤م، الناشر: دار الفكر.
- مُجَّد فتحي الدجال، الاصباح في شرح الاقتراح، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر بدمشق.
- عبد الحميد، مُجَّد محي الدين، دروس التصريف القسم الأول في المقدمات وتصريف الأفعال، عدد الطبعة غير مذكور، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة غير مذكورة.
- درويش، محي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، الناشر: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص-سورية، الطبعة الرابعة: ١٤١٥هـ.
- المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة: "البيان، المعاني، البديع"، الناشر والطبعة غير مذكورين.
- النماس، مصطفى أحمد، بحث في صيغة أفعال بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة غير مذكورة.
- الغلاييني، مصطفى بن مُجَّد سليم، جامع الدروس العربية، الناشر: مكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الطبعة الثالثة والعشرون: ١٩٩٣م.

- مكتب الدراسات والبحوث بمشاركة أديبة فرح, مُجَّد سعيد, رياض كريم, سليم إدوار, القاموس قاموس عام الغوي-علمي, عربي الإنكليزي عربي, الناشر: دار الكتب العلمية بيروت, الطبعة الرابعة: ٢٠١١م.
- مكتب الدراسات والبحوث بمشاركة: أديبة فرح: لغة إنكليزية, رياض كريم: لغة إنكليزية, مُجَّد سعيد: لغة عربية, سليم إدوار: مراجعة, قاموس عام لغوي-علمي, المزدوج, الناشر: دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان, الطبعة الرابعة: ٢٠١١م.
- مني إلياس, القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العشرية لأبي علي الفارسي, الطبعة الأولى, ١٩٨٥م, الناشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع, والنشر, بدمشق.
- مهدي المخزومي, في النحو العربي نقد وتوجيه, الطبعة غير مذكورة, الناشر: دار الرائد العربي, بيروت-لبنان.
- مهدي المخزومي, في النحو العربي قواعد وتطبيق, الطبعة الأولى: القاهرة ١٩٦٦م, الناشر: مكتبة القاهرة.
- الحسيني العلوي, المؤيد بالله, يحيى بن حمزة بن عليّ, الطراز لأسرار البلاغة وعدم حقائق الإعجاز, الناشر: المكتبة العنصرية-بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٢٣.
- الفرماوي, عبد الحيّ حسين, قصة النقط والشكل في المصحف الشريف, الطبعة الأولى, الناشر: دار النهضة العربية, شارع عبد الخالق-القاهرة.
- الجوهري, نافع أحمد, صواعق الرحمن على السحرة الكهان, تقديم ومراجعة الدكتور/ عبد الرحمان أحمد الإمام, الناشر: حركة الدعوة الإسلامية, جامع مدينة إلورن-نيجيريا, الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.
- النسفي, أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود, مدارك التنزيل وحقائق التأويل, تحقيق: يوسف علي بديوي, مراجعة وتقديم محي الدين ديب مستو, الطبعة الأولى: ١٩٩٨م, الناشر: دار الكلم الطيب بيروت.

- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.
- هيئة التدريس بمركز السلام أوجوكورو، مقاطعة ألموشو، أغيجي-لاغوس، نيجيريا، ردود الأرقام، الناشر، والطبعة غير مذكورين.
- ثيظ، يحيى فاروق، لمع البرق فيما لدى تشابه من الفرق للشيخ عبد الله بن فودي دراسة وتحليل الدكتور يحيى فاروق ثيظ، الطبعة الأولى: ٢٠١١م، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات كنو-نيجيريا.
- ثيظ، يحيى فاروق، مروى الصيدي في علم الصرف للشيخ محمد بن صالح الفلاقي تحقيق وشرح الدكتور يحيى فاروق ثيظ، الطبعة الأولى: ٢٠١٠م، الناشر: دار الأمة لوكالة المطبوعات كانو-نيجيريا.
- مبعث الدراسات والاستشارات الأكاديمية: 28-10-2020 www.mobt3ath.com
- <https://alawg50.worldpresscom> 08-03-2018
- Alore Ilorin Journal of the Humanities, Vol. 129, 2020.

ABSTRACT

Grammar of any language is an essential tool in which communication; idea, feelings and thoughts, can be properly expressed and adequately comprehended. Arabic grammar has been fully codified and analyzed. Scholars sometimes differ on some issues which later transformed into scholastic argument among different schools of thoughts. This later became problem among Nigeria Arabic writers which, unfortunately, sometimes leads to social imbroglio and ideological war. Therefore, this thesis titled “a Critical Study of Controversial Grammatical issues in the selected Books of Nigerian Authors” uses descriptive analytical methodology to identify grammatical areas where Nigerian Arabic authors sharply differ and express their support on some grammatical issues in writing. This becomes imperative in order to show-case the contributions of Nigerian scholars to Arabic discourse in general and Arabic grammar in particular. In order to achieve all these, this thesis is segmented into six chapters. The first chapter which consists of an introduction to the work that contains the concept of the work, its aims and objectives, its significance, methodology and literature review among others. The second chapter discusses the development of Arabic grammar from its inception through the contributions of major Arabic grammarians and their school of thoughts. Chapter three analyses the development of Arabic grammar in Nigeria, issues like factors that led to its emergence, early scholars and their works are raised and studied. Chapter four itemizes some major grammatical issues often call for attention of Nigerian Arabic writers in the area of grammar (Morphology and Syntax). Such issues include: derivation, nominal and verbal sentences, concord, dual and uses of pronoun. Furthermore, chapter five concerned with assessment and evaluation of Arabic writings by Arab and Nigerian scholars, with the intent of identifying areas of competence and grammatical differences. The scholars studied for comparison are: Mohammed Al-Amin Al-Kanamy, Taah Hussain and Sulaiman Solih Al-Haqiqy, this is to enable us discover the effect of grammatical mastery on the writings of Nigerian Arabic scholars. Lastly, Chapter Six concludes the work, it contains summary, findings and contributions to the knowledge and recommendations, among the findings include, Nigeria writers are not inferior to the Arabs, especially in areas of grammar both in theory and practice, and that modernism theory in Arabic grammar has impacted on the Arabic writings of Nigerian scholars, hence the emergence of controversial issues. Therefore, the research recommends that controversial grammatical issue is a linguistic phenomenon which should not lead to social and ideological war, as it has been observed in some cases in this research.

**A CRITICAL STUDY OF CONTROVERSIAL GRAMMATICAL ISSUES
IN THE SELECTED BOOKS OF NIGERIAN AUTHORS**

By:

**MUNTAQO ABDUL-RAHMAN SAYUTY
B.A Arabic (University of Ilorin), 2007
P.D.E Kwara State College of Education, 2014
M.A Arabic (Al-Hikmah University), 2016
Matric No: 16/27/PAR008**

**IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE
AWARD OF DOCTOR OF PHILOSOPHY (Ph.D) IN ARABIC
LANGUAGE**

**SUBMITTED TO THE DEPARTMENT OF LINGUISTICS, AFRICAN
AND EUROPEAN LANGUAGES, FACULTY OF HUMANITIES,
MANAGEMENT & SOCIAL SCIENCES, KWARA STATE
UNIVERSITY, MALETE, NIGERIA**

SUPERVISED BY:

PROF. HAMZAT ISHOLA ABDULRAHIM

1442 A.H

2021 C.E

**A CRITICAL STUDY OF CONTROVERSIAL GRAMMATICAL ISSUES
IN THE SELECTED BOOKS OF NIGERIAN AUTHORS**

By:

MUNTAQO ABDUL-RAHMAN SAYUTY

Matric No: 16/27/PAR008

1442A.H / 2021C.E

APPROVAL PAGE

This is to certify that this Thesis by **Muntaqo Abdul-Rahman Sayuty** have been read and approved as meeting the requirements of the Department lingusitc, African and European languages for the award of Doctor of Philosophy (Ph.D) in Arabi Language, College of Humanities, Social and Management Sciences, Kwara State University, Malete.

Prof. Hamzat Ishola Abdulrahīm
Main Supervisor

Signature

Date

Dr. Ali Okuta
Co-Supervisor

Signature

Date

Dr. Salih M. Jum'ah
Head of Department

Signature

Date

Dr. Khalid Bello
Internal Examiner

Signature

Date

Prof. Abdulrahman Ahmad Al-Imam
External Examiner

Signature

Date

Prof. Hamzat Ishola Abdulrahīm
Dean, School of Post Graduate Studies

Signature

Date

ProQuest Number:28414925

All rights reserved

INFORMATION TO ALL USERS

The quality of this reproduction is dependent on the quality of the copy submitted.

In the unlikely event that the author did not send a complete manuscript and there are missing pages, these will be noted. Also, if material had to be removed, a note will indicate the deletion.



ProQuest 28414925

Published by ProQuest LLC (2021). Copyright of the Dissertation is held by the Author.

All Rights Reserved.

This work is protected against unauthorized copying under Title 17, United States Code
Microform Edition © ProQuest LLC.

ProQuest LLC
789 East Eisenhower Parkway
P.O. Box 1346
Ann Arbor, MI 48106 - 1346